شرح العقيدة الواسطية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

فتعلمون بارك الله فيكم قدر العقيدة ومكانتها؛ فدين الله تبارك وتعالى هو اعتقاد وقول وعمل، وأساس القول والعمل هو الاعتقاد، ودعوة الأنبياء كان أساسها للاعتقاد، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، وقال الله سبحانه وتعالى أيضاً: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} قال ابن عباس رضي الله عنه: (إلّا ليوحِّدون)، والتوحيد عقيدة؛ إذن فحكمة الله تبارك وتعالى والسبب في خلقه للعباد هو أن يعبدوه وأن يوحدوه، وبداية ذلك بالاعتقاد، والنبي ﷺ عندما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى"[١]، إذن العقيدة هي أول دعوة الأنبياء وهي أساسها.

والعقيدة ترتكز عليها سعادة العبد وتعاسته في الدنيا وفي الآخرة، وكلّ إنسان لا بدّ له من اعتقاد؛ إمّا أن يكون صالحاً أو أن يكون فاسداً، والأنبياء جاؤوا بتصحيح العقائد وإصلاحها بما يرضي الله تبارك وتعالى، وخالف في الاعتقاد أناسٌ فكفروا، وخالف آخرون فضلّوا، وعقيدة أهل السنة والجماعة مبنية على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفهم السلف الصالح رضي الله عنهم، فأنت إذا نظرت في هذه العقيدة؛ وجدت أنّ أهل السنة جميعاً متفقون عليها، ووجدت أنّ هذه العقيدة مبنية بالكامل على أدلة الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح رضي الله عنهم، وخالف هذه العقيدة أناسٌ وكفروا بذلك، وخالف أناسٌ وضلّوا.

---

[١]- أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرج مسلم نحوه عن معاذ رضي الله عنه بلفظ: "فادعهم إلى شهادة إن لا إله إلا الله وأني رسول الله".

وأُلفت كتبٌ كثيرة في الاعتقاد- اعتقاد أهل السنة والجماعة-، ومما أُلف في ذلك هذه الواسطية التي سنبدأ بإذن الله تعالى بتدريسها.

العقيدة الواسطية هي من تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو وإن كان كما قال فيه الحافظ ابن رجب رحمه الله: (وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره) هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إلّا أنّه لابد من ذكر بعض الأمور المهمة عنه رحمه الله ورضي عنه؛ كي يكون الطالب على بيّنَةٍ ومعرفة بمن يقرأ له؛ فالشخص إذا كان معروفاً بالعلم وغزارته ومعروفاً بالصلاح والخير وصحة المنهج وصحة الاعتقاد؛ تطمئن النفس إلى أقواله وترتاح؛ لذلك ينبغي أن يكون الطالب عارفاً عمن يأخذ العلم وما هي صفاته.

ابن تيميه رحمه الله هو: أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني، ذكر المترجمون أقوالاً في نسبته إلى آل تيمية؛ منها ما نقله ابن عبد الهادي رحمه الله: أنّ جدّه محمداً كانت أمّه تُسمى تيمية وكانت واعظة فنُسب إليها وعُرف بها، وقيل: إنّ جدّه محمد بن الخضر حجّ على درب تيماء فرأى هناك طفلة فلمّا رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً له؛ فقال يا تيمية يا تيمية، فلُقب بذلك.

وأمّا نسبته الحرّاني؛ فهي نسبة إلى حرّان وهي مدينة معروفة اليوم في سوريا.

ولد رحمه الله يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة (٦٦١) من الهجرة في مدينة حرّان.

وفي سنة سبع وستين وستمائة (٦٦٧) هجري أغار التتار على بلده فاضطرت عائلته إلى ترك حرّان متوجهين إلى دمشق، وبها كان مستقر العائلة حيث طلب العلم على أيدي علمائها منذ صغره، فنبغ ووصل إلى مصاف العلماء حيث تأهل هناك للتدريس

والفتوى قبل أن يتم العشرين من عمره.

أشهر المؤلفات التي ألّفها:

قال الحافظ البزار- وهو غير صاحب المسند رحمه الله-: (وأمّا مؤلفاته ومصنفاته فإنّها أكثر من أن أقدر على إحصائها أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد؛ لأنّها كثيرة جداً، كباراً وصغاراً، أو هي منشورة في البلدان؛ فقلَّ بلدٌ نزلته إلّا ورأيت فيه من تصانيفه رحمه الله) كانت له مؤلفات كثيرة.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (وأمّا تصانيفه رحمه الله فهي أشهر من أن تذكر وأعرف من أن تنكر، سارت سير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها الجبال والأمصار، قد جاوزت حدّ الكثرة فلا يُمكن أحدٌ حصرها ولا يتسع هذا المكان لعدّ المعروف منها ولا ذكرها).

من أبرز هذه المؤلفات: كتاب "الاستقامة"، وكتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم"، وكتاب "درء تعارض العقل والنقل"، و"الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح"، و"بيان تلبيس الجهمية"، و"الصَفَدية"، و"منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية"، وكتاب "النبوات"، وكتاب "الحمويّة"، و"التدمريّة"، و"الواسطيّة" هذه التي سندرسها مع بعضنا إن شاء الله، وكتبه كثيرة كما ذكروا، لا يمكن حصرها؛ لكننا ذكرنا جملة منها للفائدة.

وأمّا ثناء العلماء عليه فكثيرٌ أيضاً، أذكر بعضاً منه:

قال كمال الدين بن الزَمْلَكاني: (كان إذا سُئل عن فنٍّ من العلم؛ ظنَّ الرائي والسامع أنّه لا يعرف غير ذلك الفن) لأنّ الشخص إذا تخصص في فنٍّ وبذل جهده ووسعه فيه؛ صار متمكناً ومتوسعاً فيه، فكان إذا تكلم في فنٍّ؛ ظنّوا أنّه لا يعرف إلّا هذا الفن، لتوسعه وتمكنه في هذا الفن.

قال: (وحكم على أنّ أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا يعرفوه قبل ذلك) أي: من مذهب الفقيه، فالفقيه يكون شافعياً مثلاً يجلس مع ابن تيمية ويستفيد منه من المذهب الشافعي، فيعلمُه أشياء من المذهب الشافعي، وهذا ذكره هو نفسه -ابن تيمية رحمه الله- في أثناء مجادلاته مع أهل البدع؛ قال: (ما منكم أحدٌ يذهب إلى مذهب إلّا وأنا أعلم منه بمذهبه ومتى قيل وكيف قيل وفي أي زمن قيل"، رحمه الله كان موسوعة.

قال: (ولا يُعرف أنّه ناظر أحداً فانقطع معه) من الذي سينقطع معه؟

قال: (ولا تكلَم في علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلّا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطُّولى في حُسن التصنيف وجَودَة العبارة والترتيب والتقسيم والتأليف) هذا كلّه كلام فيه ثناء عطر وتزكية رفيعة في مجال العلم.

وقال عنه أيضاً: (اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها).

وقال ابن دقيق العيد: (لما اجتمعت بابن تيمية؛ رأيت رجلاً العلوم كلّها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد).

وقال أبو البقاء السبكي: (والله يا فلان ما يُبغض ابن تيمية إلّا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدُّه هواه عن الحقّ بعد معرفته به).

وحين عاتب الإمام الذهبي رحمه الله السُّبكي وكان من أعدى أعداء ابن تيمية رحمه الله؛ كتب السبكي معتذراً مبيناً رأيه في شيخ الإسلام بقوله: -وهذه شهادة عدو وليس صديقاً- قال: (أمّا قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبرى قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كلّ من ذلك

المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجلّ مع ما جمع الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحقّ والقيام فيه لا لغرض سواه وجَرْيه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان).

وقال الذهبي رحمه الله: (ابن تيمية: الشيخ الإمام العالم المفسّر الفقيه المجتهد الحافظ المحدّث، شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف الباهرة والذكاء المفرط).

وقال فيه أيضاً: (ونظر في الرّجال والعلل وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التدين والنبالة والذّكر والصيانة ثم أقبل على الفقه ودقائقه وقواعده وحججه والإجماع والاختلاف حتى كان يُقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف ثم يستدل ويُرجّح ويجتهد وحقّ له ذلك؛ فإنّ شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه، فإنني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يريدها منه، ولا أشدّ استحضاراً لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو إلى السنن منه، كأنّ الكتاب والسنن نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة الرشيقة وعين مفتوحة وإفحام للمخالف).

وقال الشوكاني رحمه الله: (إمام الأئمة المجتهد المطلق).

وثناءات العلماء عليه كثيرة يطول ذكرها، نكتفي بهذا القدر منها الذي فيه تزكية في علمه وفي دينه وأيضاً في عقيدته ومنهجه.

أمّا وفاته: فتوفي في ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمانية وعشرين وسبعمائة (٧٢٨)، توفي شيخ الإسلام بقلعة دمشق التي كان محبوساً فيها، وأُذن للناس بالدخول فيها، ثم غُسِّل فيها وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق وصُلّي عليه بالقلعة، ثم وضعت جنازته في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدّة

الزحام، ثم صُلّي عليه بعد صلاة الظهر، ثم حملت الجنازة واشتد الزحام؛ فقد أغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلّا القليل من النّاس أو من أعجزه الزحام، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر وتارة يقف حتى يمرّ الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلّها وهي شديدة الزّحام، رحمه الله رحمة واسعة؛ هذا هو مؤلف العقيدة الواسطية.

والعقيدة: مأخوذة من العقد والربط- هذا أصلها اللغوي-؛ وهي حُكم الذهن الجازم، يعني الحكم الذي يعقد المرء عليه قلبه بطريقة جازمة لا شكّ فيها؛ هذه هي العقيدة.

وأمّا الواسطية: فسُميّت بذلك نسبة إلى واسط، وواسط مدينة في العراق كان لها قاضي، هذا القاضي جاء إلى ابن تيمية رحمه الله وذكر له كثرة الانحراف في الاعتقاد وكثرة انتشار البدع والأهواء وما يُقال في ذلك، وطلب منه أن يضع له عقيدة يعتقدها هو وأهل بيته؛ فقال له شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنّ العقائد التي كتبها أهل السنة كثيرة، قال: فألحّ عليه أن يكتب له عقيدة منه هو بالذات، فكتب له هذه الواسطية؛ فسُميت بالعقيدة الواسطية لذلك.

وقد جمع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الكتاب زبدة عقيدة أهل السنة والجماعة.

وما وضعه في هذا الكتاب من عقيدةٍ؛ من خالفها فقد خرج من دائرة السنة إلى دائرة البدعة، كما يأتي في كلام ابن تيمية رحمه الله ما يشير إلى ذلك إن شاء الله.

قال المؤلف رحمه الله: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**

بدأ بالبسملة اقتداءً بالنبي ﷺ؛ حيث كان يبدأ بها في رسائله، ومعنى بسم الله: أي أؤلف أو أكتب حال كوني متبركاً بذكر الله تبارك وتعالى.

(الرحمن): اسم لله تبارك وتعالى يتضمن صفة وهي صفة الرحمة، والرحمن بمعنى صاحب الرحمة الواسعة.

و(الرحيم): اسم آخر لله تبارك وتعالى يتضمن أيضاً صفة الرحمة؛ ولكنّها رحمة خاصة بالمؤمنين، فالرحمن اسم أوسع من الرحيم، فالرحيم صفة خاصة بالمؤمنين.

قال: **(الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)**

الحمد ضد الذَّم، وهو قريب من معنى الشكر؛ إلّا أن بينه وبين الشكر فرق، فالحمد أعمّ متعلقاً أخصّ آلة، والشكر أعمّ آلة أخصّ متعلقاً.

معنى هذا الكلام: أنّ الحمد يكون على أمرين والشكر يكون على أمر واحد، والحمد آلته التي نستعملها في إخراجه واحدة والشكر آلته أكثر من واحدة، الحمد يكون على النعمة وعلى صفات الكمال، فنحمد الله على صفاته الكاملة ونحمده أيضاً على ما أنعم علينا من نعم، وأمّا الشكر فيكون على النعم خاصة، وأمّا آلة الحمد فهي اللسان فقط، تحمد الله بلسانك، وأمّا آلة الشكر فاللسان والعمل بالجوارح؛ {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} فالشكر يكون أيضاً بالعمل وليس فقط باللسان، يكون أيضاً بالجوارح؛ إذن فمن هذا الباب يكون الشكر أعمّ، الشكر يكون بالجوارح ويكون باللسان، أمّا الحمد فلا يكون إلّا باللسان، أمّا من ناحية المتعلق فالحمد يكون على النّعمة وعلى صفات الكمال، وأمّا الشكر فيكون على النعمة فقط؛ هذا الفرق بين الحمد والشكر.

(الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ) أي الله سبحانه وتعالى المحمود هو الذي أرسل رسوله.

و(رسوله): هو النبي ﷺ؛ هو المقصود هنا لما سيأتي، وإلّا فالرسل كثر، لكنّ المقصود هنا هو: النبي ﷺ.

(بِالْهُدَى) أرسل رسوله بالهدى، قال ابن تيمية رحمه الله: (فالهدى كمال العلم)

(وَدِينِ الْحَقِّ) أرسله بالهدى ودين الحقّ، قال: (ودين الحقّ كمال العمل) هذا معنى (بالهدى ودين الحقّ).

(لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) أرسل الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو كلّ ما جاء في شريعة الله من الكتاب والسنة ليُظهره على الدين كلّه، واللام هنا لام التعليل، أي لماذا أرسل؟ ما العلّة؟ ما السبب؟ ليُظهره على الدين كلّه، فدين الإسلام سيكون ظاهراً على جميع الديانات، يُظهره بالبيان والحجة والبرهان، هذا حال النبي بمكة، ويظهره أيضاً باليد والعزّ والسنان في المدينة؛ قاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله نفسه.

قال: **(وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)**

يعني شهادة الله على صدق محمد ﷺ كافية لا تحتاج إلى شهادة أخرى؛ هذا معنى: (وكفى بالله شهيداً) يعني: كفت شهادة الله، فليست بحاجة إلى شهادة أخرى، كيف تكون شهادة الله على صدق نبيه ﷺ؟

تكون بطريقتين:

الطريقة الأولى: بأقواله التي أنزلها قبل بعثة محمد ﷺ على أنبيائه، وبشّر به في التوراة وفي الإنجيل؛ فهذه طريقة التصديق الأولى.

الطريقة الثانية: تكون بأفعاله؛ وهو ما يُحْدِثُه من الآيات والبراهين الدالة على صدق رسله؛ فإنّه صدَّقهم بها فيما أخبروا به عنه، يأتي الرسول والنبي يخبر بشيء عن الله،

فيأتي كما أخبر تماماً؛ هذا تصديق من الله تبارك وتعالى لذلك، انظروا مثلاً من علامات النبوة التي ذكرها النبي ﷺ: من علامات القيامة التي ذكرها النبي ﷺ كثيرة، منها التطاول في البنيان، وهو الآن يقع بين أعيننا أمامنا، الآن وقوعها كما أخبر النبي ﷺ- يوقعها الله كما أخبر نبيه تماماً- هذا تصديق من الله لنبيه ﷺ، وإلّا انظروا في الذين كذبوا على الله وادعوا النبوة كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح وغيرهم، كانوا يقولون القول فينزل الله تكذيبه، ويبين تكذيبه في الواقع، وهو سائر على هذا الحال إلى زمننا هذا؛ ما أحد يكذب كذبة على الله تبارك وتعالى إلّا ويُبين الله سبحانه وتعالى أنّه كذّاب ويفضحه على رؤوس الأشهاد، فإيقاع ذلك كما أخبروا؛ دليل على تصديق الله تبارك وتعالى لهم، وشهادة منه لهم بالصدق، وكذلك القرآن فيه شهادة الله لما أخبر به الرسول ﷺ، وإنزاله على محمد وإتيان محمد به هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله؛ إذ كان البشر لا يقدرون على مثله، لا يقدر عليه أحد من الأنبياء ولا الأولياء ولا السحرة ولا غير ذلك، قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}؛ هذا كلّه فصّله وبينه شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح".

قال: **(وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)**

ما معنى الشهادة؟

أي: أقرّ بقلبي ناطقاً بلساني مبيناً أن لا إله إلّا الله.

الشهادة نطق وإخبار عمّا يكنّه القلب؛ فأنت تشهد أن لا إله إلّا الله، يعني: تقرّ وتعترف بأنّك تعتقد أنّه لا معبود بحقّ إلّا الله وتخرج ذلك بنطقك به، فتشهد به، كشهادة الشهود أمام القاضي.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، أي: أقرّ وأعترف وأعتقد بأنّه لا معبود بحقّ إلّا الله، فمعنى لا إله إلّا الله: لا معبود بحقّ إلّا الله {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} وكتاب التوحيد فيه تفسير كثير لمعنى هذه الآية، وذِكر آيات وأحاديث تدلّ على أنّ هذا هو المقصود من لا إله إلّا الله.

قال: **(وَحْدَهُ)**

هي توكيد للإثبات، وحده الله سبحانه وتعالى فقط.

قال: **(لا شَرِيكَ لَهُ)**

تأكيد ثاني أيضاً؛ لا يشاركه أحد في العبادة.

قال: **(إِقْرَارًا بِهِ)**

الإقرار هو التكلم بالحقّ اللازم على النفس، مع توطين النفس على الانقياد والإذعان؛ هذا ما ذكره أبو هلال العسكري في "الفروق اللغوية"

قال: **(وَتَوْحِيدًا)**

أي: تأكيداً لـ: (لا إله إلّا الله).

قال: **(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)**

أي: أقرّ بقلبي ناطقاً بلساني مبيناً أن محمداً عبده ورسوله
محمد: أصله اسم مفعول: حَمَّدّ- بفتحات، مشدد الميم-، يأتي للتكثير، أي: المحمود كثيراً؛ فهو علم منقول من الوصفية إلى العلمية.
عبده: أي: الخاضع المتذلل لله- هذا أصل العبودية- الخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى، وَصَفه بذلك لأنّه حقق كمال العبودية لله، والإضافة هنا إضافة تشريف؛ عبد لله تبارك

وتعالى.

وَرَسُولُه: الفرق بين الرسول والنبي: أنّ الرسول بُعث بشرع جديد، وأمّا النبي فيبعث لتقرير شرع من قبله، وهنا ذكر المؤلف وصفين: وصف العبودية ووصف الرسالة؛ وذلك لنفي أمرين؛ لرفع الإفراط والتفريط: الغلو والتقصير؛ فقوله: "عبده" فيه رفع للغلو وهو الإفراط، فهو عبد من عباد الله كبقية العباد، ليس إلهاً ولا ابن إله ولا شيئاً من ذلك، وليس له حقّ في العبادة فهو عابد وليس معبوداً؛ هذا بالنسبة لوصف العبودية، أمّا وصف الرسالة؛ فهو أيضاً تكريم له وإنزاله مكانه الذي يستحقه؛ فلا إفراط ولا تفريط في حقّه.

قال: **(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا)**

(صلى الله) الصلاة في الأصل الدعاء، وهي من الملائكة كذلك دعاء، جاء في الحديث: "الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مُصّلَّاه"[١]، إذن فهي تدعو له، وجاء في تتمة الحديث قال: "اللهم اغفر له اللهم ارحمه"؛ ففسّر صلاة الملائكة بالدعاء: (اللهم اغفر له اللهم ارحمه)، وأمّا من الله فكما رُوي عن أبي العالية رضي الله عنه قال: "صلاة الله على عبده ثناؤه عليه في الملأ الأعلى"؛ أي: عند الملائكة المقربين.

(وَسَلَّمَ): السلامة من الآفات والنقائص.

(تسليمًا مَزِيدًا): أي تسليماً زائداً على الصلاة.

قال: **(أَمَّا بَعْدُ)**

١- أخرجه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه

هذه الكلمة يُؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر في الكلام، وتقديرها: مهما يكن من شيء بعد فكذا وكذا، وهذه كان يستعملها النبي ﷺ وصحّ في أحاديث كثيرة أنّ النبي ﷺ استعملها.

قال: (فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)

(اعتقاد الفرقة) التي هي الجماعة.

(الناجية) لماذا سُميت الفرقة الناجية؟ لأنّهم هم النّاجون من عذاب الله تبارك وتعالى وهم الداخلون في قوله ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة"[1]، فالتي نجت هي واحدة؛ لذلك سميت الفرقة الناجية.

(الْمَنْصُورَة) سُميت المنصورة لقوله ﷺ: "لاتزال طائفة من أمتي على الحقّ ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ومن خذلهم حتى يأتي أمر الله"[2] وفي رواية: "منصورين[3]"؛ فسُميّت منصورة لذلك، فالمؤلف يشير إلى أنّها واحدة؛ أي: الفرقة الناجية والطائفة المنصورة واحدة وليست متعددة، فالقول بتعددها خطأ لا يصحّ، هم أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أهل الحديث، السلف؛ كلّها أسماء لمعنى واحد.

(إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة؛ أي: إلى يوم

---

[1]- أخرجه أحمد (٨٣٩٦)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2]- أخرجه مسلم (١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه، وأخرج نحوه البخاري (٧٣١١) من حديث المغيرة رضي الله عنه، ومسلم (١٩٢٣) من حديث جابر رضي الله عنه (راجع الروايات)

[3]- أخرجها أحمد (١٥٥٩٦)، والترمذي (٢١٩٢) عن معاوية بن قرة عن أبيه.

القيامة، فهي منصورة إلى قيام الساعة، وتبقى هذه عقيدتها إلى قيام الساعة؛ لا تخالف.

إلى قيام الساعة: المقصود: إلى قرب قيام الساعة، حتى يأتي أمر الله: ما هو أمر الله؟ هي الريح الطيبة التي تأتي وتأخذ كلّ نفس طيبة، ويبقى رعاع الناس؛ فعليهم تقوم الساعة، إذن المقصود حتى يأتي أمر الله: إلى قرب قيام الساعة.

قال: **(أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)**

لماذا سمّوا بأهل السنة؟ لأنّهم يتمسكون بسنة النبي ﷺ ويقتدون بهديه، والجماعة لأنّهم يجتمعون عليها، يجتمعون على الحقّ ولا يتفرقون؛ {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} فتُسمى أهل السنة والجماعة لذلك؛ فهم يُعظّمون كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أعظم من كل شيء، أمّا من عَظَّم العقل على السنة؛ لا يُقال له من أهل السنة والجماعة، ولا يقول ذلك إلّا جاهل، أو صاحب هوى، أمّا أن يُقال بأنّ الأشاعرة أو المعتزلة أو الجهمية من أهل السنة والجماعة؛ فهذا كلام باطل، لا يطلقه أهل العلم إلّا في مقابلة الرافضة، يقولون: هؤلاء أهل سنة وهؤلاء رافضة- شيعة- فقط، أمّا عند التفصيل؛ فأهل السنة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي تحمل هذه العقيدة التي ستُذكر.

وهذه العقيدة اكتسبت مكانة رفيعة لسبب؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (قد أمهلت كلّ من خالفني في شيء منها) أي هذه العقيدة التي كتبها (ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ يُخالف ما ذكرته؛ فأنا راجع عن ذلك) ثلاث سنين، وأعداؤه كُثُر، والمحاربون له كُثُر، والذين يُحاولون أن يُخرجوا له خطأً كُثُر؛ ومع ذلك ما استطاع إلى ذلك أحد.

قال ابن رجب في العقيدة الواسطية: (وقع الاتفاق على أنّ هذه عقيدة سنية سلفية)، ذكر هذا في "ذيل طبقات الحنابلة".
وقال الذهبي: "وقع الاتفاق على أنّ هذا معتقد سلفي جيد"، نَقْلُ الاتفاق على هذه العقيدة، من هنا أَخذت هذه العقيدة مكانتها.
ثم بدأ يذكر عقيدة أهل السنة والجماعة؛

فقال: رحمه الله تعالى: **(وَهُوَ: الإِيمانُ بِاللهِ)**

أي: اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله.

الإيمان في اللغة- عند أكثر أهلها-: هو التصديق.

وأمّا في الشرع: فهو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان؛ هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله: (لا يجزئ أحدها عن الآخر)؛ فلا بدّ من الثلاثة حتى يكون العبد مؤمناً.

والمقصود بقول المؤلف: (الإيمانُ بِاللهِ): التصديق بوجود الله تبارك وتعالى، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته؛ وتعمل بمقتضى هذا التصديق، هي أربعة:
الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.
(الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى) :كيف نستدلُّ عليه؟

نستدل عليه: بآيات الله الكونية، والآيات الشرعية، وبالحسّ، وبالفطرة؛ أربعة أدلة على وجود الله تبارك وتعالى.
الأول: العقل؛ وذلك بالتأمل في آيات الله الكونية، تتأمل في خلق الله، هذا الخلق العظيم المتقن المحكم، تتأمل في الشمس، في القمر، في السماوات، في الأرض، تتأمل في الإبل، وتتأمل في نفسك أيضاً، وتنظر إلى عجيب صنع الله تبارك وتعالى وعِظَمِ

خلقه، هذا الخلق يدلّ على خالق عليم حكيم خبير قدير، وقد أشار إلى هذا المعنى الأعرابي عندما سُئل: بمَ عرفت ربك؟ قال: (الأثَرُ يدل على المسير) وجود الأثر على الأرض؛ إذا مشى شخص وترك أثر قدميه على الأرض، عندما ترى هذا الأثر؛ تعرف أنّ شخصاً قد مرَّ؛ فالأثر يدلّ على المسير، (والبَعْرَةُ تدلّ على البعير) البعرة: يعني البراز الذي يُخرجه البعير أثناء مسيره وطريقه؛ وجودها علامة على مرور بعير من هذا الطريق، (فسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج) يعني: طرقا (وبحار ذات أمواج ألّا تدلّ على السميع البصير!؟) انظر إلى هذا الأعرابي كيف استدلَّ بفطرته السليمة على وجود الله تبارك وتعالى؛ هذه الطريقة العقلية السليمة في الوصول إلى إثبات وجود الله تبارك وتعالى، قد أشار الله تبارك وتعالى إليها بقوله: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}، هذه المخلوقات لا يخلو حالها من واحدة من أمور ثلاث:

إمّا أن تكون هي التي خلقت نفسها، أو أن تكون قد وُجدت صدفة، أو أن يكون قد خلقها خالق.

أما وجودها صدفة فمستحيل؛ لأننا ندرك بعقولنا أنّ كلَّ مخلوق لابدّ له من خالق، انظروا مثلاً إلى هذه المصنوعات الموجودة عندنا اليوم: السفن والطائرات والسيارات والكمبيوترات وغيرها؛ هل وُجدت صدفة هكذا؟ لابدّ لها من صانع صنعها وأوجدها، فكذلك المخلوقات بالكامل؛ لابدّ لكلّ مخلوق من خالق؛ إذن لا بدّ من خالق يخلق هذه المخلوقات، أمّا أن توجد وحدها هكذا صدفة؛ فلا يوجد شيء صدفة، ويوجد صدفة بهذا الإحكام والاتقان الموجود في هذا الكون؟ هذا مستحيل.

وكذلك أن يُوجِدَ نفسه- أن يخلق نفسه-؛ هذا أمر مستحيل، فالمعدوم لا يمكن له أن يفعل وأن يُوجد شيئاً.

فلم يبقّ إلّا أن يكون لها خالق خلقها ويتصف بصفات الكمال التي دلّت عليها هذه المخلوقات الكونية؛ هذا هو الدليل العقلي بالنظر إلى الآيات الكونية.

وأمّا الدليل الثاني وهو الحسّي؛ فهذا نجده في الدعاء، ما من إنسان إلّا وتمرّ به لحظة ويكون مضطراً، يلجأ في تلك اللحظة إلى الله تبارك وتعالى ويتضرع له بالدعاء؛ فيجد الإجابة ويلتمس ذلك حِسَّاً؛ فهذا يدلّ على ماذا؟ على وجود الله الذي لمّا دعاه استجاب له {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ} والرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ وهو على المنبر وشكا إليه قلّة الماء، رفع النبي ﷺ يديه ودعا الله فاستجاب الله دعاءه ونزل الماء مباشرة؛ ألّا يدل ذلك على وجود الله؟ هذا دليل حسيٌّ ملموس.

وأمّا الدليل الثالث؛ الدليل الفِطري: الخَلق جميعاً مفطورون على الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى، قد لا تكاد تجد شخصاً لم يتلاعب به الشيطان إلّا ويؤمن بوجود الله تبارك وتعالى؛ هذا حال أكثر الناس؛ إلّا ما ندر كفرعون الذي أنكره في الظاهر، أمّا في حقيقة نفسه فكان مؤمناً به، ماذا قال الله سبحانه وتعالى في حقّه؟ قال: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} ففي حقيقة قرارة نفسه يؤمن بوجود الله؛ ولكن الكبر الذي كان عليه هو الذي منعه من الإقرار بذلك.

والدليل الأخير وهو الشرعي: النظر والتأمل في آيات الله الشرعية لا الكونية، انظر إلى إحكام هذا الشرع وإتقانه، انظر إلى أوامر الله ونواهيه، انظر إلى صلاحه وإصلاحه لكلّ زمان ومكان؛ يدلك هذا على أنّ هذا الشرع ليس من عمل البشر.

هذه الأمور كلّها تدلّنا على وجود الله تبارك وتعالى ولا يُنكرها إلّا مكابر.
هذا النوع الأول من الإيمان؛ وهو الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى.

(النوع الثاني: الإيمان بربوبيته): لا يكون العبد مؤمناً ينفعه إيمانه؛ إلّا أن يكون مؤمناً بوجود الله ومؤمناً بربوبية الله.

ما معنى الربوبية هنا؟ أن يؤمن بأنّ الله هو الخالق الرازق المدبر، يؤمن بجميع أفعال الله المختصة به؛ وهذا النوع من الإيمان كان كفّار قريش مؤمنين ومقرّين به {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} كذلك في السماوات وفي الأرض والجبال وغيرها، فمن أنزل الماء؟ كلّها مقرّون بأنّ الله سبحانه وتعالى الذي يفعل ذلك، ولكن شركهم كان في النوع الثالث؛ وهو الإيمان بألوهية الله.

(النوع الثالث: الإيمان بألوهية الله) أي أنّه معبود بحقّ وأنّه الذي يستحق العبادة وحده {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}، {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وهذا النوع من الإيمان هو الذي كان كفّار قريش قد أشركوا فيه، وأفسدوه، وقاتلهم النبي ﷺ عليه، فكانوا مقرين بالإيمان بوجود الله، مقرين بالثاني: وهو بربوبية الله؛ لكنّهم كانوا مشركين مع الله غيرَه في العبادة، فيعبدون الله ويعبدون غيرَه معه، يعبدون الأصنام، فالعبد لا يكون مؤمناً بالله حتى يؤمن بوجود الله، ويؤمن بربوبية الله، ويؤمن بألوهية الله، ويؤمن أيضاً بـأسماء الله وصفاته.

وهذا النوع الرابع وهو الإيمان بأسماء الله وصفاته- النوع الأخير-؛ سيأتي تفصيله إن شاء الله من كلام المؤلف نفسه.

وهذه العقيدة التي بدأها المؤلف رحمه الله بالإيمان بالله ثم ثنّى بالإيمان بالملائكة؛ هي التي جاء بها جبريل وسأل النبيَ ﷺ عنها كي يعلمها لنا، قال له: ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسان؟ وقال له النبي ﷺ في الإيمان: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث وتؤمن بالقدر خيره وشره"، هذا الذي جاء في قصة جبريل في حديث عمر وفي حديث أبي هريرة في "الصحيحين".

قال: (وَهُوَ الإيمانُ بِاللهِ) أي الاعتقاد الذي يعتقده أهل السنة والجماعة.

قال: **(وَمَلاَئِكَتِهِ)**

أي الإيمان بملائكته.

ما معنى الإيمان بالملائكة؟ أن تُصدِّق وتُقرَّ بوجودهم، فيجب الإيمان بوجود هؤلاء الملائكة الذين هم عالم غيبي- لا نراهم- خلقهم الله عز وجل من نور، كما جاء في "صحيح مسلم" أنّ النبي ﷺ قال: "خُلقت الملائكة من نور"، وجعلهم الله تبارك وتعالى طائعين متذللين له؛ قال سبحانه: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} وقال: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُون}، وقال: {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ}، ومع عبادتهم وخضوعهم وتذللهم لله؛ لهم وظائف يقومون بها، فنؤمن بهم ونؤمن بأسماء مَن ذُكر لنا أسماؤهم، ونؤمن أيضاً بوظائفهم التي ذُكرت لنا؛ فجبريل موكَّل بالوحي، وإسرافيل موكَّل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، ومنهم الموَكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت ومن معه، ومنهم الموكَّل بأعمال العباد وهم الكرام الكاتبون، ومنهم الموكل بحفظ العبد، ومنهم الموكل بالنَّار وعذابها وهو مالك ومن معه، ومنهم الموكل بفتنة القبر وهو منكر ونكير... وهكذا، كلّ ما ورد في الكتاب والسنة من أعمالهم ووظائفهم؛ نؤمن بها ونصدق.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَكُتُبِهِ)**
أي: الكتب التي أنزلها الله على رسله، ولكلّ رسول كتاب؛ فالرسول هو الذي يُرسله الله تبارك وتعالى إلى قومه ليدعوهم إلى توحيد الله تبارك وتعالى ويكون معه كتاب {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ}.

من الكتب التي عَلِمناها: صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن؛ فنؤمن بهذه الكتب بالتفصيل، والبقية نؤمن بها على وجه الإجمال من غير أن نعلم أسماءها لأنّها لم تُذكر لنا؛ كلّ هذا الذي نذكره في هذه العقيدة ثبتت به الأدلة من

الكتاب والسنة؛ لأنّ هذه المسائل العقائدية كلّها غيبية لا تُدرك إلّا بالنصوص الشرعية التي تأتي من عند الله تبارك وتعالى، فما ثبت منها في الكتاب والسنة، أثبتناه وما نُفي نفيناه، وما سُكت عنه سكتنا.

قال:(وَرُسُلِهِ)

والرسل: أي رُسل الله، وهم الذين أوحى الله تبارك وتعالى إليهم بالشرائع، وأمرهم بتبليغها وكانت معهم كتب، وأولهم نوح عليه السلام {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}؛ إذن كان النبيون بعد نوح وليسوا قبله.

والرسل كُثر مَن ذُكر لنا منهم باسمه آمنا به باسمه؛ كموسى وعيسى وإبراهيم ومحمد ﷺ وغيرهم، ومن لم يذكر لنا باسمه؛ آمنا به مجملاً.

قال:**(وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ)**

المقصود بالبعث هو الإخراج، أي إخراج الناس بعد موتهم للحساب، ثم بعد ذلك إلى جنّة أو نار، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين لا خلاف فيه بأنّ الناس يُبعثون يوم القيامة؛ بل حتى اليهود والنصارى يؤمنون بهذا، {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} والآيات في ذلك كثيرة والأحاديث كثيرة وإجماع الأمة منعقد على هذه العقيدة.

قال: **(والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ)**

القدر هو تقدير الله للأشياء كما سبق به عِلمه واقتضت حكمته، ثم إيجادها بعد ذلك على حسب ما جرى به القلم، قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، وقال: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}؛ هذه الآيات تدلّ على القدر، وعلى وجوب الإيمان بالقدر، وحديث جبريل يشملها كلها، ولا يتم إيمان عبدٍ بالقدر؛ حتى يؤمن بأربعة

مراتب:

الأولى: العلم.

الثانية: الكتابة.

الثالثة: المشيئة.

الرابعة: الخلق.

هذه مراتب القدر الأربعة.

العلم: تؤمن بأنّ الله عالِمٌ بكلّ شيء، ودليله قوله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

والكتابة: تؤمن بأنّ الله كتب مقادير كلّ شيء، كما قال سبحانه: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}، وجاء في الحديث بأنّ الله تبارك وتعالى كتب مقادير كلّ شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فإذن الله سبحانه وتعالى علِم وكتَب وشاء.

المشيئة: فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}؛ فكلّ شيء تحت مشيئة الله تبارك وتعالى.

والخلق: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}.

وهذا القدر قد ضلَّت فيه طائفتان:

طائفة القدرية، وطائفة الجبرية.

وهؤلاء القدرية قسمان:

قدرية ينفون العلم- علم الله تبارك وتعالى- ولا يؤمنون به: وهؤلاء كفار بالاتفاق، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: (ناظروا القدرية بالعلم فإن أقرّوا به خصموا وإن أنكروا وجحدوا؛ كفروا)، وهؤلاء قد انقرضوا.

والقسم الثاني: هم الذين ينفون أفعال العباد؛ يقولون بأنّ العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم، لا يخلقها الله تبارك وتعالى وليست داخلة تحت مشيئة الله تبارك وتعالى؛ هذه الطائفة

الثانية.

وأمّا الجبرية: فهم الذين يقولون بأنّ الله تبارك وتعالى قد جبر العباد على أفعالهم، والعباد لا اختيار لهم في أفعالهم، وفعل العبد كورقة الشجر في مهبّ الريح؛ هذه الطائفة الأخرى التي ضلَّت في هذا الباب، وسيأتي إن شاء الله تفصيل القول في ذلك.

قال: **(والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**

أي أنّ ما قدَّره الله تبارك وتعالى يُوصف بأنّه خير وأفعال الله تبارك وتعالى كلّها خير، فلا توصف أفعال الله بالشر؛ ولكن الشر هنا بالنسبة للمقدور- المخلوق- فالله سبحانه وتعالى خلْقُه كلّه خير، وتقديره كلّه خير؛ لكن في المخلوق والمقدور ما هو شرّ، وهذا الشر يكون شراً نسبياً؛ فالله سبحانه وتعالى لم يخلق شراً محضاً، كلّ شيء ترى فيه شراً؛ ففيه شر من وجه وفيه خير من وجه آخر، كالدواء المر عندما تشربه، هذا يكون مكروهاً مراً، لكنّك تشربه؛ لأنّ من ورائه منفعة؛ فإذن هو من وجه مكروه لكنّه من وجه آخر محبوب، هذا خلق الله تبارك وتعالى.

وأمّا الشر فلا يُنسب إلى الله تبارك وتعالى؛ كما قال النبي ﷺ: "والشر ليس إليك"؛ فإذن لا يُنسب الشر إلى الله تبارك وتعالى.

فمن أركان الإيمان الستة التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله، ومن الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته، ومن أجل كثرة الانحراف في هذا الباب- في زمن المؤلف وغيره- أفردَ له المؤلف ذكراً؛ فقال:

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ)

قوله: (ومن الإيمان بالله) أي الذي تقدم، وذكرنا أن من الإيمان بالله: الإيمان بوجوده، والإيمان بألوهيته، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأسمائه وصفاته؛ لذلك قال المؤلف هنا: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتِابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ) فالإيمان بالصفات من الإيمان بالله تبارك وتعالى، والمقصود بالصفات هنا صفات الله التي أثبتها لنفسه في الكتاب أو في السنة، والظاهر أن المؤلف رحمه الله لم يذكر الأسماء لقلّة الخلاف فيها، نعم قد وقع خلاف فيها، خالفت الجهمية فنفتها؛ ولكنّ أكثر الخلاف كان في باب الصفات؛ لذلك ركّز المؤلف رحمه الله على هذا الجانب من جوانب الإيمان؛ فقال: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)، إذن يجب علينا أن نؤمن بكلّ ما وصف به الله تبارك وتعالى نفسه، أو بما وصفه به نبيه ﷺ؛ فمن عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات: أننا نصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في الكتاب أو في السنة، فأمر الصفات أمرٌ غيبي لا يُدرك إلّا بالنّص من الكتاب أو من سنة النبي ﷺ، فإذا جاء الوصف في الكتاب أو في السنة؛ آمنّا به كما ذكر المؤلف: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ:الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتِابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ)، ولا مدخل للعقل في باب صفات الله تبارك وتعالى؛ لأننا ذكرنا بأنّ الصّفات من الأمور الغيبية، والأمور الغيبية لا تُدرك إلّا بالنّص من الكتاب أو من سنة النبي ﷺ، أمّا العقل فلا يُمكنه إدراك كلّ ما يجب لله تبارك وتعالى من صفات، نعم يدرك العقل بشكل مجمل بدون تفصيل أنّ الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال ولا تليق به صفات النقص؛ لكن على وجه التفصيل لا يُمكن للعقل أن يُدرك جميع الصفات التي تليق بالله تبارك وتعالى أو التي لا تليق به؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وسيأتي مزيد تفصيل فيها من كلام المؤلف رحمه الله.

وأما نحن فلا نتجاوز ما جاء في الكتاب والسنة خلافاً للمبتدعة الذين يصفون الله تبارك وتعالى بعقولهم ويجعلونها حاكمة على صفات الله تبارك وتعالى، فما وافق عقولهم؛ أخذوا به، وما خالف عقولهم؛ تركوه ونفوه، حتى لو كان هذا المخالف لعقولهم موجوداً في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، فقاعدتهم الأساسية التي من خلالها نفَوا الكثير من صفات الله تبارك وتعالى: أنّ العقل يُدرك ما يليق بالله ومالا يليق به بالإجمال والتفصيل، كذلك: أنّ العقل مقدم على النقل في إثبات صفات الله تبارك وتعالى، عندهم العقل مقدم على النقل -على الكتاب والسنة-، فإذا حصل اختلاف في نظرهم بين العقل وبين النقل؛ فالمقدم العقل؛ لأنّ العقل عندهم دلالته دلالة يقينية والنقل دلالته دلالة ظنية؛ وبهذه القاعدة التي قعّدوها هدموا أركان الشريعة، هدموا أركان الدين، فالقرآن والسنة صار عندهم مذبذباً وليس قوياً في الدلالة كقوة العقل، لذلك إذا خالف القرآن والسنة العقل؛ يُقدم العقل- هذا في ظنّهم-، مع أنّ العقل الصريح عند أهل السنة والجماعة لا يمكن أبداً أن يُخالف النقل الصحيح؛ لا يمكن أن يتعارضا، ولكن عقول الكثير منهم لمّا كانت عقولاً معكوسة منكوسة؛ خالفت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلّا لو كانت عقولهم صافية وصحيحة؛ لتوافقت مع أدلة الكتاب والسنة، ولو سلّمنا بأنّ العقل يُخالف النقل؛ فكان يجب الرجوع إلى النقل؛ إذ من الذي يعرف ما يليق بالله وما لا يليق به؟ وما هو متصف به وما ليس بمتصف به؟ أهو أدرى بنفسه أم نحن وعقولنا أدرى به؟ هو أدرى بنفسه سبحانه وتعالى، وأدلة الكتاب والسنة كثير منها يقيني، قطعي لا شك فيه ولا يُخالف العقل الصريح كما ذكرنا؛ فهذه القاعدة الأساسية هي سبب كلّ الفساد والدّمار الذي ألحقه المتكلمون بشريعة الله تبارك وتعالى؛ القاعدة الأساسية عندهم: أنّ العقل مقدم على النقل.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ)**

نحن نؤمن بما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، والتحريف: هو التغيير، وهو إمالة الشيء عن وجهه؛ يُقال: انحرف عن كذا إذا مال عنه، والتحريف نوعان: تحريف لفظي وتحريف معنوي.

التحريف اللفظي: هو أن تُحرِّف نفس اللفظ، كقول أحد الضلّال عندما أراد أن ينفي دلالة آية من الآيات على ما يُخالف اعتقادَه حرّف الآية في قول الله تبارك وتعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} هو ينفي أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم، ولا يؤمن بهذا، فصفة الكلام عنده منفية، لا يثبتها، وهذه الآية دلالتها صريحة في إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، فأراد أن يتخلص منها؛ فماذا فعل؟ قرأ الآية: وكلَّم اللهَ موسى تكليماً، غيّر الضمة إلى فتحة، فكان الفاعل والمتكلم هو الله وصار المتكلم هو موسى، وحرّف الآية تحريفاً لفظياً فغيّر اللفظ؛ هذا التحريف اللفظي، فمال بالآية عن حقيقتها في اللفظ.

وأمّا التحريف المعنوي: فهو تغيير المعنى المراد من الكلمة إلى معنى آخر؛ كقول الله تبارك وتعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} فإذا قلت: معنى {اسْتَوَى} هنا: استولى؛ هذا تحريف في المعنى، والمعنى الحقيقي لاستوى: علا وارتفع، كما قال أبو العالية الرياحي- وقد أخذ العلم عن سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو إمام في العلم، من أئمة التابعين-؛ فقد فسر الاستواء بالعلّو والارتفاع، وهذا المعنى الحقيقي لكلمة استوى، ولا تأتي استوى أصلاً في مثل هذا السياق بمعنى استولى، وإلّا فكيف يكون استوى بمعنى استولى، ويكون استولى على العرش ولم يستولِ على غيره، إذا كان معناها استولى، فلماذا خُصّ العرش بالذكر، والله سبحانه وتعالى ملك كلّ شيء، وليس العرش فقط، هذا لو سلّمنا أنّها بهذا المعنى، مع أنّ معنى كلمة استولى أي أنّه كان في ملك الغير ثم هو استولى عليه منه؛ فنفس الكلمة أصلاً في معناها باطل، لكن هم ليست هذه قضيتهم، هذه كانت عندهم مشكلة أصلاً؛ الآيات هذه عندهم لا

يُؤخذ منها اعتقاد، لذلك عندما تأتي هذه الآيات فتُخالف عقيدتهم يحاولون الخلاص منها بأي طريقة؛ فطريقتهم هذه ليست تفسيراً حقيقياً للآية، وليس همهم إخراج معنى حقيقياً؛ إنما همّهم أن يتخلصوا من دلالة هذه الآيات.

طريقة المبتدعة والمحرفين لدين الله تبارك وتعالى الذين يريدون أن يتخلصوا من دلالة الأدلة المحكمة؛ أحد الطريقتين:

إمّا التضعيف، أو التحريف.

أما القرآن فليس فيه مجال للتضعيف؛ فلا يبقى لهم إلّا التحريف المعنوي هذا؛ التحريف اللفظي ما يتجرأ عليه إلّا من قد أعمى الله بصره وبصيرته، أمّا التحريف فيكون في الغالب المحرف واقعاً في التحريف المعنوي، فبالنسبة للآيات القرآنية فلا مجال لتضعيفها؛ فماذا يفعلون؟ فما يبقى إلّا تسليط سيف التحريف عليها؛ أمّا الأحاديث فالمجال عندهم للخلاص منها أوسع وهو التضعيف.

وهذا عندهم بناء على القاعدة التي ذكرناها وهي أنّ دلالة الكتاب والسنة ظنّية، فإذا تعارض عندهم العقل مع النقل؛ فماذا يفعلون؟

يُسلّطون التحريف على السنة أيضاً، إذا ما استطاعوا تضعيفها؛ يُحرّفونها كما يُحرّفون القرآن؛ بدعوى قولهم: العقل يقيني، فإذا قرر العقل شيئاً؛ إذن يجب أن نوّجه الآيات والأحاديث كي تتناسق وتتناسب مع العقل؛ هذا هو دينهم.

لو قلنا لهم سلّمنا لكم بهذا؛ فعقل من الذي نريد أن نرجع إليه؟ أهو عقل الجهميِّ؟ أم عقل المعتزلي؟ أم عقل الماتريدي؟ أم عقل الأشعري؟ أم غيرهم من أصحاب العقول المنحرفة، أنتم كلكم تدّعون بأنّ العقل هو الذي يقرر الأسماء والصفات جميعاً، وتقولون في نفس الوقت بأنّ العقل دلالته يقينية على مثل هذا، ثم تختلفون؛ هذا يُثبت شيئاً

والآخر ينفيه؛ فإذن كيف صار العقل يقينيا وأنتم في أنفسكم تختلفون فيه؛ فهذا كلّه من الباطل الذي يتبين من فعلهم.

إذن أهل السنة والجماعة يُثبتون الصفات التي ثبتت لله في الكتاب والسنة من غير تحريف، لا تحريف لفظي ولا تحريف معنوي؛ هذا التحريف المعنوي يسمونه: تأويلاً، والصحيح أنه تحريف؛ فاسم التحريف أنسب به من اسم التأويل، لأنّ التأويل يُطلق على ثلاثة معان:

المعنى الأول: التفسير.

المعنى الثاني: ما يؤول إليه الأمر.

وهذان معنيان شرعيان، ورد ذكر التأويل بهذين المعنيين في الشرع.

أمّا المعنى الثالث: فهو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل شرعي أو لقرينة.

فإذن اللفظ يكون له ظاهر؛ لكن لا يجوز صرفه عن ظاهره إلّا أن يوجد دليل، فعندما يأتي الواحد منهم ويقول: معنى قول الله تبارك وتعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} معناها: النعمة أو القدرة؛ ماذا نقول له؟ نقول له هذا خلاف الظاهر، الظاهر عندنا في اليد بأنّها اليد الحقيقية، صفة لله تبارك وتعالى، فإذا أردت أن تصرف هذا الظاهر عن حقيقته؛ وجب عليك أن تأتي بدليل، هم الدليل عندهم العقل، ونحن لا نقبل بالعقل، نقبل بدليل شرعي، عندك دليل من الكتاب أو من السنة أخذنا به؛ وإلّا فلا، عندما جاءنا قول الله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} ظاهر هذه الآية أنّ الظلم المقصود به: الظلم العام؛ ظُلم الإنسان لنفسه، ظلم الإنسان للآخر، لكن إذا جاء أحد المفسرين وقال: المقصود بالظلم هنا الشرك، هو صَرَف اللفظ عن ظاهره؛ فنقول له: هات الدليل؟ يقول الدليل: جاء في الصحيح أنّ الصحابة لمّا ذُكرت هذه الآية قالوا للنبي ﷺ: (وأيُّنا لا يظلم نفسه)؛ فقال النبي ﷺ: "لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}؟"، إذن جاءنا بدليل شرعي قبلنا منه ذلك؛ صَرَف اللفظ عن ظاهره، وإذا لم

يأت بدليل شرعي؛ لا نقبل منه، يدّعي العقل، نقول له عقلك يُخالف عقولنا، يُخالف عقل الجهمي، يخالف عقل المعتزلي؛ فلا يصحّ أن نقبل مثله في مثل هذا الموضوع، فلا يُسمى مثل هذا تأويلاً وإنّما يُسمى تحريفاً؛ لأنّه لا يوجد عليه دليل لا من الكتاب ولا من السنة.

ثم قال: **(وَلاَ تَعْطِيلٍ)**

نُثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء ومن صفات من غير تحريف ولا تعطيل.

ما معنى التعطيل؟ التعطيل معناه: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، يقول الله سبحانه وتعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} فيقول القائل: الله سبحانه وتعالى ليست له يد؛ هنا نقول: قد عطّل النّص الشرعي، عطّل صفة الله تبارك وتعالى ولم يُثبتها، أصل التعطيل بمعنى التخلية والترك، ترك الصّفة ولم يثبتها.

هل هناك فرق بين التعطيل والتحريف؟

يقول أهل العلم: التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول.

كيف يكون التحريف في الدليل؟

قال الله تبارك وتعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}؛ فيقول المعطِّلُ المحرّف: بل قوتاه، فيُفسّر اليد بمعنى القوة؛ هذا مُحرّف للدليل الشرعي، ومُعطّل للمراد الصحيح.

وإذا قال: أنا لا أثبت اليد الحقيقية، أُفوّض هذا اللفظ الذي معي إلى الله؛ أي: لا أدري معنى اليدين في الآية، وأفوّض معناهما إلى الله؛ هل هذا حرّف؟ لم يُحرّف، أثبت؟ لم يُثبت؛ فهو معطّل، أمّا الأول فقد جمع بين التحريف والتعطيل؛ لأنّه فسر اليدين بالقوة، فحرّف المعنى- غيّره-، وفي نفس الوقت لم يُثبت اليدين لله تبارك وتعالى فهو مُعطّل؛ إذن هناك فرق بين التحريف والتعطيل، وأهل السنة لا يُحرّفون ولا يُعطلون.

التحريف والتعطيل طريقان سلكهما طائفتان من الأشاعرة:
طائفة تُحرّف وتُعطّل.
وطائفة أخرى تُعطّل ولا تُحرّف.
الأولى: يُسمّون أنفسهم المؤولة وهم المُحرّفة، والثانية يُسمّون أنفسهم المُفوّضة، لماذا سُمّوا مفوّضة؟ لأنّهم يُفوّضون المعنى إلى الله، لا يُثبتون معنى للصفات، {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} يقول: أنا أؤمن بهذا {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}؛ لكن ما معنى اليد؟ يقول: لا؛ لا نعرف معنى اليد، نفوّض أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، كذلك صفة العينين يقول: نحن نؤمن بالآية بلفظها لكن المعنى نُفوّضه إلى الله سبحانه وتعالى، أما أهل السنة فيقولون: بل نُثبت المعنى، هما عينان حقيقيتان نثبتهما لله تبارك وتعالى، والمُحرّفة يُحرّفون الصفة ولا يُثبتونها ويعطونها معنى آخر، يقولون: نحن نفهم المعنى ونعرفه، الاستواء معناه الاستيلاء، فلا يُفوّضون المعنى؛ يقولون: المعنى مفهوم واضح، معناه الاستيلاء، ولكنّهم لا يثبتون المعنى الحقيقي الذي أراده الله تبارك وتعالى؛ فهم يُثبتون معنى مُحرّفاً؛ هؤلاء يُسمّون أنفسهم المؤولة، وأولئك يُسمّون أنفسهم المُفوّضة، ويَنسب الأشاعرة مذهب التفويض للسلف؛ لذلك عندك أشاعرة مُتبعون للسلف وهم المُفوّضة وأشاعرة مُتبعون للخلف وهم المُحرّفة؛ هكذا يَدّعون؛ لكن حقيقةً التفويض ليس مذهباً للسلف، مذهب السلف هو الإثبات، هو الذي نقرأه وندرسه الآن؛ إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه في الكتاب وفي السنة من غير تحريف ولا تعطيل، نثبت المعنى، أهل السنة يُفوّضون الكيف، لا يُفوّضون المعنى، والمُفوّضة يُفوّضون الكيف والمعنى؛ هذا الفرق بين المفوضة والسلف.
هم يدّعون بأنّ التفويض مذهب السلف، نقول: هذا باطل، تفويض الكيفية هو مذهب السلف، أمّا المعنى؛ فلا، كما قال الإمام مالك رحمه الله عندما جاءه رجل وسأله عن الاستواء: كيف استوى؟ قال: (الاستواء معلوم)، فكيف تنسبون التفويض إلى مذهب السلف وهذه لفظة واضحة وصريحة من الإمام مالك، يقول لكم

الاستواء معلوم، ليس مجهولاً كمّا تدّعون أنّه مذهب السلف، قال:(والكيف مجهول) هذا الذي فوّضه السلف، (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة) أي: السؤال عن الكيف، وسيأتي الحديث عن الكيف.

فأهل السنة يُثبتون الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه في الكتاب وفي السنة من غير تحريف ولا تعطيل كما يفعل المتكلمون من أشاعرة ومعتزلة وجهمية وغيرهم، كلُّ هؤلاء أسماء فرق مختلفة لكن في النهاية هم يتفقون على قاعدة واحدة وعلى أساس واحد: وهو إثبات ونفي الأسماء والصفات بناء على العقل؛ هذا أصلهم، ثم يأتيك رجل مريض عقلياً ويقول: الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، أأنت تعقل أم لا تعقل؟ أصولهم وأصول أهل السنة تختلف؛ كيف يجتمعون؟ هم عندهم أصل في ذلك يوافق أصل الجهمية والمعتزلة لا يوافق أهل السنة، انظر إلى الأصل الذي انطلقوا منه: أهو أصل أهل السنة أم أصل الجهمية؟

لذلك كان السلف يقولون عنهم جهمية، ما كانوا يقولون عنهم أهل سنة وجماعة، لمّا ظهرت الأمراض المتفشية في كثير من أهل هذا الزمن؛ بدؤوا يقولون الأشاعرة من أهل السنة، لكن قديماً ما كان هذا القول موجوداً، كان عندهم أن الأشاعرة كلهم يُسمّونهم جهميَّة؛ لأنّهم يشتركون في أصل واحد؛ أصلهم ليس هو أصل أهل السنة والجماعة.

ثم قال رحمه الله: **(وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ)**

أي: لا يُكيّفون الصّفة إذا أثبتوها، يُثبتون لله يَدين، ويُثبتون له استواءً؛ لكن تقول للواحد منهم: كيف هو؟ يقول لك: الكيف مجهول والسؤال عنه بدعة؛ هذا أصل سلفي، أمور غيبية، هذه الأمور التي تسأل عنها أنت أمور غيبية، والأمر الغيبي كيف يُدرك؟ يُدرك بالأدلة، أخبرنا الله عن الصّفة ولم يخبرنا عن كيفيتها، عندما يُخبرنا الله سبحانه وتعالى؛ نخبرك، أو عندما نراه سبحانه وتعالى؛ نخبرك، هل للصّفة كيفية؟ نعم للصّفة كيفية؛ ولكننا نجهلها، هذا معنى من غير تكييف، لا يُكيّفون.

ما معنى التكييف؟ أن يسألك شخص عن الصّفة: كيف هي؟ تقول: كيفيتها كذا وكذا وكذا؛ هذا معنى التكييف، ونحن لا نُكيّف الصّفات؛ فنُثبت الصّفة من غير تكييف، تقول لي: كيف؟ أقول لك: الله الذي أخبرنا عن الصّفة ما أخبرنا عن كيفيتها؛ فنقف عند النّص، هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهذه القواعد التي نصص عليها السلف من القديم، تجد في القرآن والسنة الكثير من الأسماء والصفات، وتجد الصحابة يسألونك عن كذا يسألونك عن كذا؛ لكن ما تجد: يسألونك عن صفة الرحمة ما معناها؟ لماذا؟ لأن الرحمة عندهم واضحة لا تحتاج إلى تفسير، هؤلاء عرب أقحاح عندما تنزل الآية يفهمونها مباشرة، وما يُشكل عليهم يعرضونه على النبي ﷺ، فلو كانت هذه مشكلة لعرضوها على النبي ﷺ، لو كانت ظواهر معانيها ليست مرادة؛ لذكرها لنا النبي ﷺ، أيَعْقِلُ الواحد منهم أنّ نصوص الكتاب والسنة مليئة بمثل هذه الصفات وظواهرها غير مرادة ويسكت عنها النبي ﷺ. أو يسكت عنها ربنا ولا يُبيّنها لنا ولو في آية واحدة؟ هذا مستحيل، كيف الله سبحانه وتعالى يصف القرآن الكريم بأنّه بين وبأنّه واضح وبأنّه مُبيّن وأنّه مُظهرٌ للحقّ وبأنّه يُقيم به الحجّة على العباد، وأنّ النبي ﷺ قد بيّن وما ترك شيئاً، حتى سلمان الفارسي يقول: "بيّن لنا النبي ﷺ حتى الخراءة"، أي: كيفية قضاء الحاجة، ويقول أبو ذر: "مات النبي ﷺ وما من طائر يطير في السماء يقلب جناحية في السماء إلّا وأخبرنا النبي ﷺ وذكر لنا منه ذكراً"[1]، وذكر غيره أنّ النبي ﷺ خطبهم يوماً من الصباح إلى المساء ينزل يصلي ويخطب ويتكلم، قال: "وذكر لنا في ذلك اليوم كلّ شيء، ذكره من ذكره ونسيه من نسيه"، الشاهد: أنّ كلّ الأمور بتفريعاتها الدقيقة- أمور الشريعة- التي نحتاج إليها قد ذُكرت وبُيّنت؛ ولا يذكر لنا هذا الأمر العظيم؛ الاستواء الذي ذُكر في القرآن الكريم في عدّة مواضع؟ لا يذكر لنا النبي ﷺ أنّ ظاهرها ليس مراداً ولو في موطن واحد؟ هذا من المستحيلات التي يتحدثون عنها، لكنّها البدعة وما تفعل بأصحابها.

---

[1]- عند ابن حبان: (تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ)

قال: **(وَلاَ تَمْثِيلٍ)**

هي أربعة أشياء؛ نُثبت الصّفة مع أربعة لاءات: لا للتحريف، ولا للتعطيل، ولا للتكييف، ولا للتمثيل؛ هذه الأربعة منفية عند أهل السنة، يُثبتون الصّفة مع نفي هذه الأربعة.

(وَلاَ تَمْثِيلٍ) ما معنى التمثيل؟ أن تذكر للصّفة مِثلاً، تُماثلها؛ تقول لله يدين مِثل يدي فلان، هذا هو التمثيل، وهذا أيضاً منفي؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} هذه الآية قاعدة عند أهل السنة والجماعة؛ إثباتٌ من غير تمثيل، قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ثم بعد ذلك ماذا قال؟ قال: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} إذن نُثبت له الصّفات ونُثبت له الأسماء، ونقول هي لا تُماثل شيئاً من مخلوقاته، نحن لنا سمع؟ نعم لنا سمع، لنا بصر؟ نعم لنا بصر؛ لكن ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، لله سمع يليق بجلاله وعظمته وله بصر يليق بجلاله وعظمته.

وما تقوله في الذّات فقُلْه في الصّفات- هذه قاعدة-، وهذه القاعدة من أعظم القواعد التي وقف أمامها المتكلمون حائرون، يأتيك يتكلم معك في الصّفات قل له مباشرة: تُثبت ذاتاً لله أم لا تثبت؟ إذا نفى كفر، وإذا أثبت خُصِمَ؛ لأنّه إذا أثبت ذاتاً لله ونحن لنا ذوات؛ نقول له: هل الذّات كالذات؟ يقول: لا، ذات الله تليق بجلاله وعظمته ونحن ذاتنا تناسبنا، نقول له: فقل في الصفات ما قلت في الذّات، وينتهي الأمر.

لماذا تنفِ الصفات وتقول يلزم منها التشبيه؟ ومع ذلك تثبت الذات ولا يلزم منها التشبيه؟ ما يلزم هنا يلزم هنا، عندما تقول له: لله يدان، يقول: إذا أثبتّ لله اليدين فيلزم منها التشبيه؛ نقول له: قل في الصّفات كما تقول في الذّات، معنى ذلك إذا أثبتّ لله ذاتاً يلزم منها التشبيه، فللمخلوقين ذوات أيضاً، وإذا قلت لا يلزم هنا؛ فنقول لك قل هناك: لا يلزم أيضاً وانتهى الأمر.

هذه الحجّة العقلية عليهم، والحجج الشرعية كافية لنا، فالله سبحانه وتعالى أثبت هذه الصّفات كلها في كتابه وفي سنة نبيه، ولم تأت آية واحدة تقول لنا أنّ هذه الظواهر ليست مرادة، كذلك هذه الصفات بالجملة هي متواترة وما عندنا خبر واحد يدلنا على أنّ ظواهرها غير مرادة، إذن صرفها عن ظاهرها يُعتبر تحريفاً لكتاب الله تبارك وتعالى.

قال: **(بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبحَانَه وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ})**

يؤمنون بأنّ الله{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} فيه نفي للمثل؛ فلا تمثيل، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فيه إثبات للأسماء والصفات التي أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه من سمع وبصر وغير ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)**

هذا الكلام عن أهل السنة والجماعة، لا ينفون عن الله تبارك وتعالى ما وصف به نفسه؛ فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أنّهم يُثبتون لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من الصفات، وينفون عنه ما نفى عن نفسه من الصفات، وما سكت عنه سكتوا عنه؛ هذه عقيدتهم، قال: (فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَه)؛ بل يثبتونه له، لأنّه ثبت به الدليل من الكتاب والسنة.

وصفات الله قسمان:

صفات ثبوتية، وصفات سلبية؛ ويُقال لها أيضاً: منفية.

الصفات الثبوتية: هي التي أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه، كصفة الحياء والعلم والرضا والغضب والمجيء والاستواء؛ كلّ هذه الصفات أثبتها لنفسه فنحن نثبتها له.

والصفات السلبية: هي الصفات المنفية التي نفاها الله تبارك وتعالى عن نفسه، كصفة الظلم وصفة النّوم والنسيان والسِّنَة؛ هذه نفاها عن نفسه فننفيها عنه، هذه الصفات اسمها صفات سلبية، أي مسلوبة عن الله، أي: منفية عنه.

وهذه عُرفت بالأدلة الشرعية، ورد الدليل الشرعي بنفيها فنفيناها، والثبوتية ورد الدليل الشرعي بإثباتها فأثبتناها، وماسكت عنه الشارع سكتنا عنه.

وما نفاه الله عن نفسه فهي من صفات النقص التي لا كمال فيها، وما أثبته لنفسه فهي صفات كمال لا نقص فيها.

قال: **(وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)**

أي: عن مدلولاته، فالكلام إذا جاء من الشارع- كلام الله وكلام رسوله-؛ أثبتوه على مراد الله وعلى مراد رسوله ﷺ، ولا يميلون به عما أراد الله تبارك وتعالى، فلا يُحرفون الكلام عن مراد الله تبارك وتعالى، (وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) يعني: عن مدلولاته، فإذا قال الله تبارك وتعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}؛ أثبتوا صفة الاستواء لله تبارك وتعالى، وأثبتوها بمعنى العلو والارتفاع على مراد الله وعلى مراد رسوله ﷺ.

قال: **(وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ)**

أي: أهل السنة والجماعة لا يميلون عن الحقّ وعن مراد الله في أسماء الله وآياته.

ما هو الإلحاد؟ ألحد أي مال؛ فأصل الإلحاد هو الميل، لذلك القبر منه شقٌّ ومنه لحدٌ، الشق يأتي مستقيماً لا ميلان فيه، القبر الملحود لحداً يبدأ من الأعلى مستقيماً ثم في آخره من الأسفل يميلون به ناحية القبلة؛ فلأجل هذا الميلان سُمي لحداً، فقوله هنا: (وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ) كيف يكون الإلحاد في أسماء الله؟

بعدم الإيمان بها، بعدم إثباتها، بنفيّها كما فعلت الجهمية، أو بنفي ما دلّت عليه من صفة كما فعلت المعتزلة والأشاعرة أيضاً في بعض الصفات؛ هذا أيضاً من الإلحاد فيها، ومن الإلحاد فيها أيضاً أن تُسمي بأسماء الله تبارك وتعالى المعبودات التي تعبد مع الله تبارك

وتعالى، كما فعل المشركون؛ سمّوا آلهتهم باللات والعزى، اللات من الإله، والعزى من العزيز؛ هذا أيضاً من الإلحاد فيها.

والألحاد في آيات الله تبارك وتعالى هو الميل بها عن مراد الله تبارك وتعالى؛ فهذا يكون إلحاداً، أو بتكذيبها، هذا يكون إلحاداً في آيات الله تبارك وتعالى، فهذا لا يفعله أهل السنة إنّما يفعله أهل البدع؛ أهل الكلام.

قال: **(وَلاَ يُكَيِّفُونَ)**

أي: لا يقولون الصفة الفلانية كيفيتها كيت وكيت، فالكيف يُفوّضونه إلى الله تبارك وتعالى، كما قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة) لا يعني ذلك أنّ الصفة ليست لها كيفية؛ لا؛ الصفة لها كيفية ولكننا نجهلها، نحن لا نعلمها، لذلك لا نكيّفها.

قال: **(وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ)**

لا يقولون عندما يثبتون الصفة: له يد مثل أيدينا، ولا يقولون: له عين مثل أعيننا؛ فلا يُمثلون، لقوله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} هذه قاعدتنا أهل السنة، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} نفي للتمثيل، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} إثبات للصفات التي وصف نفسه بها، فنحن نثبت ما أثبت الله لنفسه؛ ولكننا لا نمثلها بصفات المخلوقين.

لماذا لا يُمثّلون صفاته بصفات خلقه؟

قال: **(لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ)**

هذه الثلاثة متقاربة في المعنى، بمعنى أنّه لا مساوي له، لا ندّ له، لا كفؤ له، لا يوجد أحد يكافئه أو يكون نداً له، (ولا سميّ له)، أي: لا مماثل له؛ فكلّها متقاربة في المعنى،

فلعدم وجود الندّ أو المساوي؛ لا يمكن أن تكون صفاته مماثلة لصفات خلقه الذين هم ليسوا ندًّا له، وبما أنّه لا يوجد له ندّ ومساوٍ؛ إذن صفاته لا تُماثل صفات غيره.

قال: **(ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)**

ذكر أهل العلم أنّ القياس ثلاثة أقسام: قياس شمول، وقياس تمثيل، وقياس أولوية.

قياس الشمول: اشتراك جميع الأفراد في أصل كلّي شامل لها جميعاً؛ فقياس الشمول نلحق الشيء بما هو مثله تماماً، والجامع: هو اسم مشترك أو كلّي يشمل هذا وهذا، فمثلاً: نقول: زيد مثل علي، يشتركان في الإنسانية، زيدٌ إنسان وعليٌ إنسان وخالدٌ إنسان؛ هؤلاء ثلاثة يشتركون في معنى كلّي الذي هو الإنسانية، إذن فيُقاس عليٌ على خالدٍ أو على زيدٍ، لماذا يُقاس عليه؟ لأنّه يشترك معه في أمر كلّي؛ هذا قياس الشمول. الشيء الكلي الذي تشترك فيه الأفراد هو ما كان له أفراد متساوون في الحقيقة، كالإنسان، هذه الكلمة-كلمة إنسان- لها أفراد: زيدٌ إنسان، خالدٌ إنسان، عليٌ إنسان، بكرٌ إنسان؛ هؤلاء أفراد لكلمة إنسان، مشتركون كلّهم في حقيقة واحدة وهي حقيقة الإنسانية، فمثل هذا تقيس به زيداً على خالدٍ؛ لأنّه يشترك معه في الإنسانية، وهذا القياس لا يمكن أن يُقاس الله سبحانه وتعالى به؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا مثل له، فلا يصحّ أن يُقاس هذا القياس، المناطقة -فلاسفة اليونان- يعتمدون على هذا القياس لإثبات ونفي الصفات، فيقولون: إذا قلنا: إنّ له يداً فمعنى ذلك أنّ له جسماً، وإذا قلنا إنّه مستوٍ على العرش أو يُسأل عنه بـ: أين، فمعنى هذا أنّه جسم، وكلّ جسم جوهر أو عرض، إذن فله جوهر وعرض؛ فجعلوا حقيقة الله سبحانه وتعالى فرداً من كلّي متعين يتخيلونه هم في أذهانهم؛ جعلوا عندهم كلّي في ذهنهم وجعلوا الله سبحانه وتعالى فرداً من هذا الكلّي؛ هذا قياس الشمول الذي أدخلهم في المتاهات، وهذا لا يجوز أن نقيس صفات الله سبحانه وتعالى أو ذات الله تبارك وتعالى بشيء من خلقه، فإذا قلنا

مثلاً: الحياة، لا نقيس حياة الله سبحانه وتعالى بحياة الخلق؛ من أجل أنّ الكلّ يشمله اسم حيّ، هذا هو الأصل الذي دفع المتكلمين إلى نفي الصفات، فقالوا: إذا قلنا بأنّه مثلاً: حيّ، والعبد المخلوق حيّ، والحياة كلّي تشترك فيها حياة الله وحياة خلقه؛ فتكون هذه الحياة كهذه الحياة؛ فنفّوا الصفة عن الله تبارك وتعالى، وهذا باطل فليست الحياة كالحياة.

والقياس الثاني قياس التمثيل: وهذا القياس هو القياس الفقهي؛ حمل فرع على أصل في حكم لعلّة جامعة؛ وهذا أيضاً لا يجوز في حقّ الله تبارك وتعالى.

والقياس الثالث هو قياس الأولوية: وهو أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل، وابن تيمية رحمه الله يقول هو مستعمل في حقّ الله تبارك وتعالى؛ فعلى هذا: فكلّ صفة كمال ثبتت للمخلوق؛ فالله سبحانه وتعالى أولى بها، كصفة السمع والعلم والقدرة، وما شابه.

هذه أنواع القياس الثلاثة؛ فقوله هنا: (ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ) المراد: قياس الشمول وقياس التمثيل.

قال: **(فَإِنَّهُ سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ)**

يريد من قوله: (فَإِنَّهُ سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ) أنّ الله تبارك وتعالى إذا وصف نفسه بشيء؛ فيجب الخضوع والانقياد لأمره، والتصديق لقوله؛ لأنّه هو أعلم بنفسه من غيره، فإذا وصف نفسه بشيء فهو أدرى بنفسه بأنّه يوصف به أو لا يوصف به منك أنت، وأعلم بغيره أيضاً من خلقه.

قال: (وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا)، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} أي: لا أحد أصدق من الله، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} فحديثه حسن لفظاً ومعنى، فالله سبحانه وتعالى من حيث القول قوله أصدق القول

وأحسن القول، ومن حيث العلم؛ علمه بنفسه أكثر من علم غيره به؛ بل هو الذي يعلم نفسه، وغيره لا يعلم إلّا ما علّمه هو.

قال: **(ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون)**

عندما نريد أن نعرف الصّفة كيف نعرفها؟

نعرفها بكتاب الله؛ لذلك قدّم المقدمة الأولى؛ فذكر أنّه هو أعلم بنفسه وذكر أنّه أصدق قيلاً وأحسن حديثاً، أو عن طريق الرسل؛ فنعرف الصفات عن طريق الرسل؛ لذلك قال هنا: (ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقون) فإذا أخذنا عنهم الصفات؛ نكون قد أخذنا عن صادقين في إخبارنا ما أخبرهم الله تبارك وتعالى به.

والرسل هم الذين أوحى الله تبارك وتعالى لهم بوحي من عنده، ففي هذا الوحي يُخبرهم الله تبارك وتعالى عن صفاته، وهم يخبرون العباد؛ فهم (صادقون) فيما يُخبرون به، لا يكذبون على الله تبارك وتعالى؛ فقد ائتمنهم سبحانه وتعالى على دينه وشرعه.

(مُصَدَّقون) وهنا يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هما نسختان؛ نسخة (مَصْدوقون) ونسخة: (مُصَدَّقون)-المَصْدوق الذي أخبر بالصدّق؛ فهم يخبرون بالصدّق-.

وكأن نسخة (مُصَدَّقون) أجود كي تُخالف ما تقدم من قوله صادقون، فهم صادقون مصدّقون، مُصدّقون: أي أنّ الله سبحانه وتعالى يصدقهم بما يُنزل في آياته من تصديقهم، وأيضاً يُصَدِّقهم كوناً بحيث يحصل ما يُخبرون به كما أخبروا، فنحن نلاحظ الآن أن من يَدّعي النبوة يُخبر عن أشياء ستحدث فتأتي على خلاف ما أخبر، فيُكذّبه الله سبحانه وتعالى في خبره، لا يُصدّقه، أمّا الأنبياء والرسل فيخبرون بالشيء فيقع كما أخبروا تماماً؛ يُصدّقهم الله تبارك وتعالى بإيقاعها كما أخبروا.

قال: **(بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ)**

أي: حال الرسل يختلف عن حال أولئك؛ فالرسل تكلموا بوحي من الله سبحانه وتعالى، ووصفوا الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه وبما أوحى إليهم به، وأمّا هؤلاء الذين هم المتكلمون الذين أخذوا يحكمون على الله بعقولهم فهؤلاء لا يعلمون حقيقة الأمور ويكذبون على الله تبارك وتعالى بعقولهم، فهم كاذبون أو ضالون فيما يقولونه.

قال: (**ولهذا قال سبحانه وتعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)**)

أي: لأنّ الرسل صادقون مُصَدَّقون؛ قال الله سبحانه وتعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ...} إلى آخر الآيات

(سُبْحَانَ رَبِّكَ): التسبيح بمعنى التنزيه؛ الله سبحانه وتعالى يُنزّه نفسه عن النقائص.

(رَبِّ الْعِزَّةِ): أي صاحب العزّة؛ فهو موصوف بالعزّة تبارك وتعالى.

(عَمَّا يَصِفُونَ): يعني عما يصفه المشركون به، فالله سبحانه وتعالى يُنزّه نفسه عن النقائص التي يصفه بها المشركون.

(وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ): لماذا سلّم على المرسلين بعد أن ذكر هذا؟ لأنّهم هم الذين يصفونه بالحقّ وبالكمال، فقال: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) حمدَ اللهُ تبارك وتعالى نفسه بعد أن نزّهها؛ لأنّ الحمد فيه كمال الصفات؛ فالحمد هو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، فنزّه نفسه عن العيوب ووصف نفسه بالكمال.

قال: (**فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ**)

لأنّهم لا يقولون على الله إلّا ما أوحى الله تبارك وتعالى إليهم.

قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ)

يعني عندما تتأمل كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتقف عند صفات الله تبارك وتعالى؛ تجد في ذلك نفياً وتجد فيه إثباتاً؛ لذلك قسّم العلماء الصفات إلى صفات ثبوتية وصفات سلبية، وفي الغالب تجد الإثبات، أما السلب المفصل فتجده أحياناً عند وجود سبب، مثلاً لمّا ادعى له الكفرة الولد والزوجة؛ نفى عن نفسه الولد ونفى عن نفسه الزوجة، فحين يوجد السبب يأتي النفي، بخلاف الإثبات؛ الكتاب والسنة مليئان بالصفات الثبوتية، أما أهل الكلام فالعكس، أهل الكلام –المتكلمون- يتوسعون في النفي، ويضيّقون في الإثبات، عكس الكتاب والسنة، سبحان الله! والله من نَوّر الله بصيرته علم ما عليه القوم من ضلال بشكل واضح جداً، لكن الموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى.

ثم قال رحمه الله: (فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ)

أي: لا ينحرف أهل السنة عن طريقتهم، ولا يتركون ما جاء به المرسلون؛ لأنّه وحي من الله تبارك وتعالى، والله أعلم بنفسه بما يكون كمالاً له وما لا يكون كمالاً، وما يستحق منها وما لا يجوز له منها.

قال: (فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ)

فإنّه ماذا؟ الذي جاء به المرسلون، الصراط المستقيم، أي: الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

قال: (صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم)

طريق الذين أنعم الله تبارك وتعالى عليهم بأنواع النعم؛ نعمة الهداية، نعمة التوفيق، النعم المختلفة.

قال: **(مِّنَ النَّبِيِّينَ)**

من هم هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؟ من النبيين، هؤلاء بيّنهم الله تبارك وتعالى في كتابه فقال: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، لمّا نقرأ في سورة الفاتحة: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} هؤلاء هم الذين أنعم الله تبارك وتعالى عليهم.

قال: **(مِّنَ النَّبِيِّينَ)**

والأنبياء هم كل من أوحى الله تبارك وتعالى إليهم، فيشمل الرسل[1].

قال: **(وَالصِّدِّيقِينَ)**

الصديق: هو المبالغ في الصدق والتصديق؛ فيُصدِّق الرسل ويَصْدُق في إيمانه وإخلاصه ويُكمّل ذلك، ومن كبار الصديقين وأفضلهم: **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه، ومن الصديقين **مريم**، قال تعالى: {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ}.

قال: **(وَالشُّهَدَاء)**

المقصود بالشهداء هم الذين قُتلوا في سبيل الله.

قال: **(والصَالِحِينَ)**

١- التعريف الذي وقع في الصوتية؛ يصحُّ على الرسل فقط، وهذا التعريف المذكور هو الصواب هنا.

الذين يعملون بأوامر الله تبارك وتعالى ويطيعون الله تبارك وتعالى ويجتنبون ما نهى الله تبارك وتعالى عنه؛ هؤلاء هم الصالحون، والذي يظهر أنّ الصالحين هنا غير الأنبياء والصديقين والشهداء.

قال: **(وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ)**

أي: ما سبق من أنّ أهل السنة والجماعة يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ؛ يقول: هذه الجملة دخل فيها:

(مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَص")

لأننا قلنا بأنّنا نصف الله بما وصف به نفسه في كتابه؛ ومن كتابه سورة الإخلاص.

قال: **(الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)**

لقوله ﷺ لأصحابه: "أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟" فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ" أي: سورة الإخلاص.

قال: **(حيث يقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ})**

الله تبارك وتعالى أحدٌ، فهو واحد لا ثاني له في صفاته وفي ذاته وفي أسمائه وفي أفعاله.

(**الصَّمدُ**): في تفسيرها أقوال لأهل العلم، بعضهم قال: الذي تصمد له الخلائق، أي: تميل إليه وترفع إليه حوائجها، فالخلائق كلّها بحاجة إليه، وبعضهم قال: الصمد الكامل في علمه وفي قدرته وفي حكمته وفي كلّ شيء.

(لَمْ يَلِدْ) وهذا من كماله سبحانه وتعالى، فالوالد يحتاج إلى الولد؛ في خدمته وفي نفقته وفي غير ذلك، والله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أحد.

(وَلَمْ يُولَدْ) وما ولده أحد سبحانه وتعالى.

(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) لم يكن له مثلاً أحد.

قال: **(وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتِابِ الله")**

أي: وقد دخل في هذه الجملة أيضاً ما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله؛ وهي آية الكرسي، لما جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ سأل أُبي بن كعب قال: "أيُّ آية في كتاب الله أعظم؟"، فقال له: {**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ..**}، فضرب على صدره وقال: "لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر"، يعني دعاء له بالهناء والتمتع بالعلم، هذا الحديث يدلّ على أنّ آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله؛ لِما احتوت عليه من صفات فيها تعظيم لله تبارك وتعالى وتنزيهه عما لا يليق به، وفيها صفات ثبوتية وصفات سلبية؛ فأثبت لنفسه صفات ونفى عن نفسه صفات في هذه الآية.

قال: **(حَيْثُ يَقُولُ: {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ})**.

(الله): أي المألوه المعبود، مشتق من: أَلَهَ يَأْلَهُ إِلَهَةً عَبَدَ يَعْبَدُ عِبَادَةً، فالله الْمَأْلُوهُ أي: الْمَعْبُودُ.

(لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) أي لا معبود بحق إلّا هو، وأخذنا: (لا معبود بحقّ) من قول الله تبارك وتعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} فلا يُقال: لا

خالق، ولا يُقال: لا معبود- كما قال بعضهم: لا خالق إلّا الله- هذا خطأ، المشركون كانوا يعلمون أنّه لا خالق إلّا الله، ومع ذلك لمّا جاءهم النبي ﷺ بهذه الكلمة ردّوها وما قبلوها وكفروا بها، ولا معبود إلّا الله: أيضاً خطأ؛ لأنّ المعبودات من غير الله كثيرة، فالصحيح أن نقول: لا معبود بحقّ إلّا الله.

(الْحَيُّ): أي ذو الحياة الكاملة، التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها فناء، قال الطبري رحمه الله: (فإنّه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له بحدٍّ، ولا آخر له بأمدٍ).

(الْقَيُّومُ): القائم بنفسه فلا يحتاج لغيره، والقائم على غيره، الذي يحتاج إليه جميع المخلوقين، قال مجاهد: (القائم على كلّ شيء).

(لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ): الصفات السابقة صفات ثبوتية وهذه صفات سلبية (لا تأخذه سنة) قال قتادة والحسن البصري: (نعسة) لا تأخذه سنة، أي: لا تأخذه نعسة، وهو النعاس، مقدمة النّوم، قال الطبري رحمه الله: (لا تَحُلُّهُ الآفاتُ ولا تناله العاهات؛ وذلك أنّ السنة والنوم معنيان يَغمران فهم ذي الفهم، ويزيلان من أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه) يعني حالة من ضياع العقل في تلك اللحظة، وقال ﷺ: "إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام".

(لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) قال الطبري رحمه الله: (يعني جلَّ ثناؤه بقوله: {لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} أنّه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد، وخالق جميعه دون كلّ آلهة ومعبود؛ وإنّما يعني بذلك: أنّه لا تنبغي العبادة لشيء سواه؛ لأنّ المملوك إنّما هو طَوْعُ يد مالكه، وليس له خدمة غيره إلّا بأمره، يقول: فجميع من في السموات والأرض ملكي وخلقي، فلا ينغي أن يَعبد أحدٌ من خلقي غيري وأنا مالكه؛ لأنّه لا ينبغي للعبد أن يخدم غير مالكه ولا يطيع سوى مولاه) هذا كلام جميل، انظر كيف استدل الإمام الطبري رحمه الله باللازم الذي كنا ندندن به دائماً؛ يذكر الله

سبحانه وتعالى ربوبيته كي يُلزم بألوهيته كما ذكر الطبري هنا؛ قال: كأن الله سبحانه وتعالى يقول: فجميع ما في السماوات والأرض ملكي وخلقي، فإذا كان كلّه ملكي وخلقي فلا ينبغي أن يَعبد أحدٌ من خلقي غيري وأنا مالكه، أنا مالك هذا العابد؛ فكيف يَعبد غيري معي؛ لأنّه لا ينبغي للعبد أن يخدم غير مالكه ولا يُطيع سوى مولاه؛ انظر الناس الذين فهموا كتاب الله بحقّ.

(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ) اسم استفهام، من ذا الذي؟ من هذا الذي يستطيع أن يشفع عند الله من غير إذن الله؟ لا يوجد.

من ذا الذي يشفع: ما هي الشفاعة؟ الشفاعة جعل الوتر شفعاً؛ هذا في اللغة، وفي الاصطلاح: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة؛ هذه الشفاعة في الدنيا تكون بإذن المشفوع له وبغير إذنه، وتكون برضاه وبغير رضاه؛ ربما تكون أنت مقرباً من ملك أو من رئيس والملك هذا له حاجة عندك، فإذا جاءك شخص يريد منه شيئاً وسطّك في الأمر، دخلت وتوسطت عند الملك؛ فما استطاع أن يردّ شفاعتك، لماذا؟ لأنّه يحتاجك، فأنت تشفع عنده من غير أن يأذن لك بالشفاعة ومن غير أن يرضى عن ذاك أصلاً أن تشفع فيه؛ لكنّه محتاج لك، لا يستطيع أن يردّك؛ هذه الشفاعة عند المخلوق، أمّا عند الخالق؛ فلا، الله ليس بحاجة لأحد؛ لذلك لا يشفع عنده أحد إلّا بإذنه، بعد أن يأذن للشافع أن يشفع، إذا أذن لك أن تشفع؛ تأتي لتشفع؛ وإذا لم يأذن؛ فلن تستطيع أن تشفع؛ لذلك لاحظوا النبي ﷺ عندما يأذن الله تبارك وتعالى له بالشفاعة ماذا يفعل؟ قبل أن يأذن له بالشفاعة يذهب ويخرّ عند العرش ويسجد بين يدي الله ويدعو بدعوات حتى يقول الله تبارك وتعالى له: "قُم فاشفع تُشَفَّع"، يأذن له الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك لا يشفع إلّا فيمن رضي الله تبارك وتعالى أن يشفع فيه؛ فهما شرطان: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} لا يوجد أحد يشفع عنده إلّا بعد

أن يأذن بذلك، إذن فدعوى الكفار أنّهم يعبدون الأصنام كي تقربهم إلى الله زلفى؛ دعوى باطلة لا تنفعهم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى ما أذن لأصنامهم هذه أن تشفع، ولا رضي أن تشفع فيهم؛ فالشفاعة لا تكون إلّا لموحد، كما سئل النبي ﷺ عن الشفاعة وهي حقّ لمن؟ فقرر أنها تكون للموّحد لا لغيره.

انظروا ماذا قال الطبري رحمه الله: (من ذا الذي يشفع لماليكه إن أراد عقوبتهم إلّا أن يخليه ويأذن بالشفاعة لهم) عبيده يريد أن يعاقبهم، من يستطيع أن يأتي ويشفع فيهم؟ إلّا أن يأذن له بذلك، (وإنّما قال ذلك جلّ ثناؤه لأنّ المشركين قالوا ما نعبد أوثاننا هذه إلّا ليقربونا إلى الله زلفى، فقال الله لهم: لي ما في السماوات وما في الأرض مع السماوات والأرض ملكاً، فلا تنبغي العبادة لغيري، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنّها تقربكم مني زلفى، فإنّها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئاً، ولا يشفع عندي أحدٌ لأحدٍ إلّا بتخليتي إياه، والشفاعة لمن يشفع له رسلي وأوليائي وأهل طاعتي" انتهى كلامه رحمه الله.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أي الذي أمامهم، وقال بعض السلف يعلم أمور دنياهم.

(وَمَا خَلْفَهُمْ): الذي وراءهم، وقال بعض السلف: الآخرة.

(وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاء) قال ابن كثير رحمه الله: (لا يطّلع أحدٌ من علم الله على شيء إلّا بما أعلمه الله عز وجل) لا يمكنك أن تعرف شيئا من علم الله إلّا ما علّمك الله تبارك وتعالى، قال: (ويُحتمل أن يكون المراد لا يطّلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلّا بما أطلعهم الله عليه، كقوله:{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}) هذا المعنى الثاني أيضاً جيد في بابنا هذا، يحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلّا بما أطلعهم الله عليه، فبناء على ذلك لا يجوز أن يُقال فيه إلّا بما قال عن نفسه ووصف نفسه في الكتاب والسنة.

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) وسع: يعني شَمِل، كرسيه: الذي هو موضع القدمين كما قال ابن عباس، السماوات والأرض: فانظر إلى كبر وعظم الكرسي الذي هو لا شيء أمام العرش.

(وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) قال قتادة: (لا يثقل عليه ولا يجهده) حفظهما؛ يعني حفظ السماوات والأرض، وقال الحسن: (لا يَثقل عليه شيء).

(وَهُوَ الْعَلِيُّ) علوّ ذات وعلوّ صفات، لا كما تدعيه المبتدعة؛ يثبتون علوّ الصفات ولا يثبتون علوّ الذات، نحن نقول: علوّ ذات وعلوّ صفات، بمعنى: الكمال، أي: علوّ المنزلة وعلوّ الذات.

(الْعَظِيمُ) يعني: ذو العظمة {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}

قال: **(ولهذا)**

أي: لِما احتوت عليه هذه الآية من صفات النفي والإثبات التي تدلّ على تنزيهه سبحانه وتعالى وتعظيمه.

قال: **(كَانَ مَنْ قَرَأَ هذهِ الآيَةَ في لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عليهِ مِنَ اللهِ حافِظٌ ولا يَقْرَبُهُ شيطانٌ حتَّى يُصْبِحَ)**

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصته مع الشيطان، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفَعَنَّك إلى رسول الله ﷺ... فقص الحديث، وفيه فقال الشيطان لابي هريرة: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ لأبي هريرة: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان». أخرجه البخاري، هذا ما أشار إليه المؤلف رحمه الله. والله أعلم.

ثم بعد أن أصّل المؤلف رحمه الله أصل أهل السنة والجماعة في مسألة صفات الله تبارك وتعالى؛ بدأ بذكر الآيات التي تتضمن صفات الله تبارك وتعالى؛ فقال:

(وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ})

هذه أسماء لله تبارك وتعالى تتضمن صفات، وهذه الأسماء الأربعة فسّرها النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة: أنّ النبي ﷺ كان يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: "اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ"

أمّا الأول: فقال: "الذي ليس قبله شيء"؛ وهذا واضح. فكان الله تبارك وتعالى ولم يكن معه شيء ولا قبله شيء، قال الطبري: الأول قبل كل شيء بغير حد.

وكذلك الآخر فسّره النبي ﷺ بالذي ليس بعده شيء؛ قال الطبري: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، قال: وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: {كل شيء هالك إلا وجهه}. انتهى

والظاهر: من الظهور وهو العلوّ، وعلوّ الله: علوّ وصف وعلوّ ذات؛ فهو عليٌّ في وصفه، عليٌّ في ذاته تبارك وتعالى.

وأمّا الباطن: فقال مقاتل بن سليمان: (أي: القريب من كلّ شيء، وإنما نعني بالقرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه سبحانه"، وقال الطبري:(والباطن) يقول: وهو الباطن جميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه)، ففسره بالقرب كَمَا قَالَ: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}) ففسر الباطن بالقرب، فالله سبحانه وتعالى قريب من كلّ شيء؛

قريب منهم بعلمه وسمعه وقدرته.

قال المؤلف رحمه الله: (**{وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**)

فيه إثبات صفة العلم؛ فهو عليم تبارك وتعالى بكلّ شيء، ولا يُستثنى من ذلك شيء.

قال: (**وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ}**)

وتوكّل: أي فوّض أمرك إلى الله، وكيف يكون تفويض الأمر إلى الله؟

يكون ذلك بصدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به وفعل الأسباب الصحيحة؛ هكذا يكون التوكل الصحيح.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ} الحيّ :هو الذي يستطيع أن يجلب المنافع ويدفع المضار؛ لذلك قال في هذه الآية {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} فخيره دائماً واصل، وهو دائماً قادر على دفع المضار؛ لأنّه حيّ لا يموت، وأمّا الميت سواء كان من أصحاب القبور أو الأصنام التي لا حياة فيها أصلاً؛ فهذه لا تنفع ولا تضرّ، وكذلك الحيّ الذي مآله إلى الموت وإن كان في بعض الأمور يضرّ وينفع في بعض الأشياء وفي بعض الأحيان؛ ولكنّه سيأتي وقت لن يستطيع أن يفعل شيئاً، مع أنّ نفع وضرّ غير الله تبارك وتعالى متعلق بمشيئة الله؛ فالأمر من قبل ومن بعد عائد إلى الله تبارك وتعالى، وأمّا الله سبحانه وتعالى فنفعه وضره مطلق لا يتعلق بمشيئة أحدٍ غيرِه؛ لهذا كلّه قال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} فنفعه دائم سواء كان بجلب المنفعة أو بدفع المضرة.

قال: (**وَقَوْلُهُ: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}**)

العليم: تقدم أنّها صيغة مبالغة من العلم؛ إثبات صفة العلم، هو اسم: العليم يتضمن صفة، والقاعدة عندنا أنّ كلّ اسم يتضمن صفة كمال؛ فهذه أسماء، الحيُّ اسم تضمن صفة الحياة؛ أي: الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، والعليم: اسم

يتضمن صفة العلم والمبالغة في العلم؛ العلم الكامل الذي لم يُسبق بجهل ولا يلحقه سهو ولا نسيان؛ هذا علم الله سبحانه وتعالى، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا تخفى عليه أفعال العباد ولا غيرها.

(الحكيم) مادة حكم في لغة العرب يتصرف منها معنيان:

الأول: الحُكْمُ.

والثاني: الإحكام.

فاسم الله الحكيم يتضمن صفة وهو على وزن فعيل، متصرفة من مادة حكم، والمعنيان يتصرفان من هذه المادة؛ فيكون معنى الحكيم الحاكم وذو الحكمة.

وما هي الحكمة؟ هي وضع الشيء في موضعه، وبما أنّ الاسم قد تضمن صفة تحتمل المعنيين؛ فيُفهم هذا الاسم على المعنيين، ولا مانع من ذلك بما أنّ الصفتين صفتا كمال؛ فلا مانع من حمل الاسم على كلا الصفتين؛ وهذه القاعدة ما لم يأت دليل يدلّ على أنّ المراد واحد من المعنيين دون الآخر، وما عندنا الآن دليل؛ فلذلك نحمل الاسم على هذين المعنيين، أي: أنّه الحاكم وذو الحكمة؛ فنُثبت لله تبارك وتعالى الحكم ونثبت له الحكمة.

وقوله: **{وهو العليم الخبير}**[1]

العليم: -تقدم- بمعنى العلم، ولكنّها صيغة مبالغة لأنّه على وزن فعيل، وهذا الوزن في الكلام يدلّ على الكثرة والمبالغة كالسميع، وصيغ المبالغة صيغ محصورة في اللغة؛ وهي أحد عشر وزناً: مثل: فعّال ومفعال وفعّالة، فعّال كقتال، ومفعال كمفضال، وفعّالة كعلّامة؛ هذه صيغ تُسمى صيغ مبالغة.

والخبير: هو العليم ببواطن الأمور، فأيّهما أعمّ؛ العليم أم الخبير؟

---

[1]- الصواب: {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} ، أو {قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}.

العليم أعمّ؛ فالعليم يشمل العلم بظواهر الأمور وبواطنها، أمّا الخبير فهو الذي يعلم بواطن الأمور فقط؛ فالعليم يكون أعمّ من الخبير.

فهذه كلّها أسماء تتضمن صفات ثابتة لله تبارك وتعالى كما جاء في كتابه.

ثم قال: **{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}**

هذا إثبات لصفة العلم، {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} يعني: ما يدخل فيها من دود وحشرات وغير ذلك؛ فالولوج: بمعنى الدخول، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من زروع وغيرها، {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} من ملائكة وماء، كلّ شيء ينزل من السماء سواء كان من الملائكة أو من الماء، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} أصل كلمة يعرج: يصعد، ومعنى يعرج فيها؛ أي: يعرج إليها، أي: يصعد إليها -إلى السماء-.

قال: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}**

إذن فهو يعلم كلّ شيء {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} يعني: مفاتيح الغيب عنده، هو الذي يعلمها، {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} هذا مما يختص بعلمه تبارك وتعالى، {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} تصور الورقة إذا سقطت، يعلمها الله تبارك وتعالى، {وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ} هذا عام، ما من شيء على وجهها إلّا وهو رطب أو يابس {إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} مكتوب مُظْهر للأشياء وبَيّن؛ وهو اللوح المحفوظ.

وللفائدة: كلمة {مُبِين} تأتي بمعنى بَيّن، يعني: ظاهر واضح، وبمعنى مُبَيّن، يعني: موضح ومظهر.

(وَقَوْلُهُ: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ})

هذا كلّه إثبات لصفة العلم العامة الشاملة لكلّ شيء، لا يخفى عليه شيء.

(وَقَوْلُهُ: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا})

فعلمه أحاط بكلّ شيء، فهو يعلم كلّ شيء، وهذا كلّه فيه إثبات صفة العلم.

ثم قال: **(وقوله: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ})**

الرزاق: على وزن فعّال، وقد ذكرنا أنّها من صيغ المبالغة فهو كثير الرزق- الرزق هو العطاء- فهو يعطي ويرزق من غير حساب، والرزق لا يقتصر على الأكل والشرب؛ بل هو عام يرزق كلّ شيء، {ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} القوّة صفة معروفة؛ أي: القوي، والمتين؛ قال ابن عباس: (الشديد) وهو توكيد للقوي، إثبات صفة القوّة لله تبارك وتعالى.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ})**

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} قد تقدم تفسيرها، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وقد ذَكَر هذه الآية؛ لكي يثبت اسم السميع والبصير وما تتضمنه من صفات، صفة السمع وصفة البصر، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين والميم والعين أصل واحد وهو إيناس الشيء بالإذن من الناس وكلّ ذي أذن، تقول سمعت الشيء سمعاً، والسمع الذكر الجميل، يُقال قد ذهب سمعه في الناس أي صيته)... الخ كلامه، وهو هنا يأتي لمعنيين:

المعنى الأول: معنى المجيب؛ أي: الذي يُجيب دعاء من دعاه.

والمعنى الثاني: السامع للصوت.

بمعنى المجيب: قال تبارك وتعالى على لسان إبراهيم: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} أي: لمجيب الدعاء، والبصير: قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}: (والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها، وأصل بصير: مبصر من قول القائل:

أبصرت فأنا مبصر) هذا الشاهد، وقال عند تفسير قوله تعالى: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (يعني بذلك والله ذو بصر بالذي يتقيه من عباده فيخافه)، وقال في موضع آخر: (يعني بذلك: والله ذو علم بمن يُقبِل من عباده)، وفي موضع ثالث: (إن الله يرى ما تعملون)، هذا كلّه من تفسير الطبري رحمه الله، قال: (وذلك لأنّ البصير تأتي على معنيين في اللغة: معنى الإبصار، أي: الرؤية، ومعنى العالم.

قال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني *** بصير بأدواء النساء طبيب)

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الباء والصاد والراء أصلان، أحدهما: العلم بالشيء، يُقال هو بصير به، ويقال: رأيته لمحاً باصراً، أي: ناظراً بتحديق شديد، ويُقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيراً عالماً، وأبصرته إذا رأيته، وأمّا الأصل الآخر فبَصُر الشيء غِلْظُه، ومن هذه البصيرة، والبصيرة التُرُس، والبصيرة البرهان، وأصل ذلك كلّه وضوح الشيء).

الخلاصة: أنّ البصير بمعنى العلم وبمعنى الرؤية.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا})**

أي: إن الله نعمَ ما يعظكم به، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} ففيه إثبات صفة السمع وصفة البصر لله تبارك وتعالى.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ})**

يعني: وهلّا {إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ} يعني: بستانك {قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ} إثبات صفة المشيئة لله تبارك وتعالى، {لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي: لا أقدر على حفظ مالي أو أدفع شيئاً عنه إلّا بإذن الله.

المشيئة: هي الإرادة الكونية فهي نافذة فيما يحبّه الله وفيما لا يحبّه الله.

والإرادة إرادتان:

إرادة كونية، وإرادة شرعية.

كلّ ما أمر الله تبارك وتعالى به في كتابه أو في سنة نبيه؛ فهو الذي أراده شرعاً، وكلّ ما نهى عنه؛ فهو الذي لم يرده شرعاً، فهذه أحكام شرعية، إرادة الله الشرعية، فهذه ربما توجد وربما لا توجد، أراد الله إيمان العباد جميعاً- شرعاً- أمرهم بالإيمان وأراده منهم؛ هل آمنوا جميعاً؟ لا، إذن فالإرادة الشرعية ربما تقع وربما لا تقع، أمّا الإرادة الكونية فكلّها واقعة ولابدّ؛ والفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؛ فرقان:

الفرق الأول: أنّ الإرادة الشرعية ربما تقع وربما لا تقع، وأمّا الإرادة الكونية فهي واقعة ولابد، إذا أراد الله شيئاً إنّما يقول له كن فيكون؛ هذه الإرادة الكونية، أما الإرادة الشرعية؛ ربما تقع وربما لا تقع.

الفرق الثاني: الإرادة الشرعية يحبها الله ويرضاها، كلّ ما أراده الله شرعاً؛ فهو يحبّه ويرضاه، أمّا الإرادة الكونية؛ فمنها ما يحبّه الله ومنها ما لا يحبّه، فكفر الكافر لا يحبّه الله ولا يرضاه، ولكنّه إذا أراده كوناً وقع، كذلك إيمان المؤمن يحبّه الله ويرضاه وإذا أراده وقع، وإذا لم يرده لم يقع؛ فالإرادة الكونية واقعة ولابد، وتكون فيما يحبّه الله وفيما لا يحبّه، أمّا الإرادة الشرعية؛ فربما تقع وربما لا تقع ولا تكون إلّا فيما يحبّه الله ويرضاه.

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} هل هذه الإرادة إرادة كونية أم إرادة شرعية؟ إرادة كونية.

قال هنا: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي مشيئة الله هي الإرادة الكونية؛ ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن.

الشاهد من هذه الآية إثبات مشيئة الله تبارك وتعالى، ومشيئته عامة لكلّ شيء؛ تشمل أفعال العباد، والعباد لهم مشيئة ولكن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

هنا فائدة جانبية عند قوله: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} هل هذه الكلمة تُقال لدفع العين؟

هذا من الخطأ الذي انتشر عند كثير من الناس، هذا الرجل الذي فعل هذا الفعل؛ لماذا قيلت له هذه الكلمة؟ لأنّه عندما أعجبته جنته أعاد الفضل لنفسه ولم يعده لله تبارك وتعالى صاحب الفضل، فقيل له: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ} هذا كلّه الذي حصل إنما حصل بمشيئة الله وإرادته {لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي: لا يمكنك أن تفعل هذا وأن تحفظ هذا إلّا بالله تبارك وتعالى، فإذا أعجبك شيء من مالك فردَّ الفضل إلى صاحب الفضل فقل: {ما شاء الله لا قوة إلّا بالله}، أمّا ردّ العين فهذا يكون بالتبريك كما علّمنا النبي ﷺ، الذي يخشى من نفسه أن يصيب الآخرين بالعين يبرك، أمّا صاحب المال الذي يخشى على ماله من العين فيرقي؛ هذا ما علمنا إياه النبي ﷺ، فلا تُذبح شياه ولا يُقال: ما شاء الله لا قوة إلّا بالله من أجل دفع العين.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ})**

هنا إثبات المشيئة لله في قوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ}، وقوله: {مَا اقْتَتَلُوا} يعني المؤمنين والكافرين، وفي هذا ردٌّ قوي على القدرية الذين ينفون تعلق فعل العبد بمشيئة الله؛ القدرية يقولون: العبد أفعاله لا تتعلق بمشيئة الله، والله سبحانه وتعالى لا يشاؤها ولا تعلق لها بمشيئة الله أبداً، فالعبد يفعل بمشيئته الخالصة المنفصلة عن مشيئة الله تماماً- هكذا يقولون تعالى الله عن قولهم-، هذه الآية توضح لنا أنّ مشيئة العباد راجعة إلى

مشيئة الله، قال: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا} وهنا يتحدث عن أفعال العباد، إذن أفعال العباد تحت مشيئة الله تبارك وتعالى أيضاً، هذه آية واضحة في ذلك.

{وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}: إذن ما حصل من اقتتالهم هو من فعل الله تبارك وتعالى ومن إرادته الكونية؛ لأنّ هذا الشيء وقع وحصل، {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} يفعل ما يريد إرادة كونية، فكلّ ما يريده الله تبارك وتعالى يقع إرادة كونية ولابد؛ ففيه إثبات صفة الإرادة أيضاً.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ})**

{أُحِلَّتْ لَكُمْ} أي: أَحلّ الله لكم، {بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ} التي هي الإبل والبقر والغنم، {إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ } أي: ما يذكر لكم هنا مستثنى من الحلّ، فلا يحلّ لكم الصيد وأنتم حرم،{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} الشاهد قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} إرادة شرعية، يحكم حكماً شرعياً ويريده شرعاً، هذه الأحكام التي بينها لنا، أحلّ لنا بهيمة الأنعام وحرّم علينا الصيد ونحن حرم، هذه أحكام شرعية يريدها الله إرادة شرعية، لكن ربما يأتي أحدنا ويصيد وهو محرم أم لا يمكن؟ نعم يمكن؛ إذن فإرادة الله الشرعية ربما تقع وربما لا تقع، يأتي شخص ويُحرّم على نفسه بهيمة الأنعام، هل هذا ممكن أم لا؟ نعم ممكن؛ إذن إرادة الله الشرعية ربما تقع وربما لا تقع؛ لكنّها لا تكون إلّا فيما يحبه الله، فالله يحب أن يحلّ لنا بهيمة الأنعام ويرضى لنا ذلك، ويحب ألا نصطاد ونحن حرم ويرضى لنا ذلك؛ إذن نثبت لله إرادتين:

إرادة كونية، وإرادة شرعية.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ})**

هذه إرادة كونية؛ لأنّه أمرٌ سيقع، ثم كان فيما يحبه الله وفيما لا يحبّه، شرحُ صدر العبد للإسلام يحبّه الله وهو بيد الله {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} وإضلال العبد أمر لا يحبه الله ولا يرضاه؛ ولكنّه يريده كوناً.

والهداية المقصودة في قوله: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} هذه هداية توفيق، والهداية عندنا نوعان:

هداية توفيق، وهداية بيان.

هداية التوفيق: أن يُوفِق الله تبارك وتعالى العبد لطاعته.

وهداية البيان: أن يبين له الطريق ويُوضِح.

وهداية التوفيق خاصة بالله تبارك وتعالى؛ أمّا هداية البيان فتكون من العبد؛ لذلك نفى الله تبارك وتعالى الهداية الأولى عن نبيه وأثبت له الهداية الثانية؛ فقال جلَّ في علاه: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} هذا الكلام في النبي ﷺ؛ نفى عنه هداية التوفيق، أي: لا تستطيع أن توفق أحداً للإيمان والله تبارك وتعالى لا يريد أن يوفَّقَ، وقال في نبيه أيضاً: {وإِنَّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيم} فأثبت له الهداية، فالهداية المثبتة غير الهداية المنفية ولابد؛ الهداية المثبتة هداية البيان لذلك تلاحظ في الآية أنه قال: {وإِنَّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيم} يعني تبين للناس الطريق المستقيم وتوضحه لهم، هذا الفرق بين الهدايتين؛ فالهداية المقصودة هنا هداية التوفيق الخاصة بالله تبارك وتعالى.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ})**

في هذه الآية إثبات صفة المحبّة لله، فالله يحبّ محبّة حقيقية تليق بجلاله وعظمته لا كمحبّة المخلوقين، نثبت صفة المحبّة للعبد ونثبت صفة المحبّة لله تبارك وتعالى، ومحبّة الله محبّة تليق بعظمته وجلاله ليست كمحبّة المخلوقين، كما أننا نُثبت لله ذاتاً ونُثبت للعباد

ذواتٍ، ونقول بأنّ لله ذاتاً تليق بجلاله وعظمته وللعبد المخلوق ذاتاً تليق به؛ كذلك نقول في جميع الصفات، الشاهد عندنا هنا: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} صفة المحبّة، قال مجاهد في تفسير قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} قال: (يحبّهم ويحببهم إلى خلقه) انظر كيف يفسر السلف الصفات، يفسرونها على حقيقتها، يحبهم ويحببهم إلى خلقه، ما حرّف وما عطل ولا غيّر، لماذا نأتي بكلام السلف؟ حتى نبيّن أنّ العقيدة التي بين أيدينا ليست عقيدة الإمام ابن تيمية رحمه الله وحده؛ بل هي عقيدة السلف؛ لأنّ أهل الباطل من المتكلمين يحاولون أن ينشروا بين الناس أنّ هذه العقيدة- عقيدة إثبات الصفات- هي عقيدة الإمام ابن تيمية رحمه الله؛ لذلك عندما يريدون أن يصفوا أهل السنة يقولون: التيميون، أو يقولون: الحنابلة، ويدّعون أنّها عقيدة الحنابلة وهذا الكلام باطل؛ هي عقيدة أهل السنة قاطبة، فلذلك نحن نأتي بكلام السلف في مثل هذا، وأنت إذا لاحظت عند تفسير مثل هذه الصفات تجد السلف يمرون عليها كما هي؛ لأنّ أمرها واضح لا تحتاج إلى تفسير؛ هي على مقتضاها اللغوي، كما قال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة) أي: السؤال عن الكيف بدعة، والاستواء معلوم؛ يعني: معلوم بمقتضى اللغة العربية، معلوم عند كلّ من يتكلم اللغة العربية المعروفة عند أهلها؛ لا تحتاج إلى تفسير، الاستواء بمعنى: العلو والارتفاع، وبهذا فسّره أبو العالية الريّاحي- وهو من أئمة التابعين-، إذن تفسيرهم هذا يبين لنا أنّها عقيدتهم وكلامهم هذا يبين أنّها عقيدتهم وليست عقيدة ابن تيمية ولا عقيدة الحنابلة، هل الإمام مالك حنبلي؟ لا؛ هو يقول: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة) يثبت الاستواء بشكل واضح، نُقل عن الإمام الشافعي في أكثر من موضع إثبات صفة العلوّ لله تبارك وتعالى فلماذا كانت خاصة بالحنابلة أو بابن تيمية؟ ما كان

للحنابلة إلّا الجهاد في هذه العقيدة لإثباتها وللرد على أهل البدع، لمّا كان الإمام أحمد رحمه الله من أئمة أهل السنة في زمنه وكثرت البدع والضلالات في زمنه أكثر من غيره من الأزمان التي سبقته؛ كان للإمام أحمد دور في إظهار السنة وإظهار عقيدة أهل السنة وكان لأصحابه من بعده دور في الدفاع عن السنة وإظهار هذه العقيدة والتمسك بها؛ هذا كلّ ما في الأمر، وكذلك فعل ابن تيمية رحمه الله، هل ننسب العقيدة الأشعرية إلى الرازي، كان الرازي أكبر منظر للأشاعرة في وقته؛ لكنّه لم يبتكر العقيدة الأشعرية؛ إنما أخذها ممن قبله، أول من وضعها أبو الحسن الأشعري رحمه الله وتاب منها في آخر عمره، وقرر ما يخالفها في "مقالات الإسلاميين" وفي كتابه "الإبانة" وفي رسالته إلى أهل الثغر، فالرازي ناظر وجادل وحقق في هذه العقيدة؛ هذا كلّ ما له، كذلك فعل ابن تيمية في عقيدة أهل السنة والجماعة؛ فلا تُنسب العقيدة الأشعرية للرازي كما لا تُنسب عقيدة أهل السنة لابن تيمية رحمه الله؛ عقيدة أهل السنة لو كانت من عمل ابن تيمية لكنّا أول من يردّها؛ فنحن لا نقبل عقيدة مبتكرة، العقيدة التي نحملها ونريدها ونحبّها ونرضاها وندين الله بها هي عقيدة السلف، فلو أثبت عندنا أحد أن عقيدة ليست من عقيدة السلف لتركناها، أيّاً كان الذي يعتقدها؛ لأنّ الحق عندنا هو اتباع كتاب الله وسنة الرسول ﷺ على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، وابن تيمية رحمه الله عندما قرر هذه العقيدة ذكرها وذكر أقوال السلف قاطبة الذين يعتقدونها ويدينون الله بها، ذكر مقالات عن السلف فيها إثبات الصفات لله تبارك وتعالى، عن أكثر من واحد، وممن نقل عنه ذلك أبو الحسن الأشعري نفسه مؤسس العقيدة الأشعرية.

فهنا عندنا مجاهد في تفسير هذه الآية قال: (يحبهم ويحببهم إلى خلقه)؛ فأثبت صفة المحبة لله تبارك وتعالى.

قال: **({وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ})**

وفي هذه الآية أيضاً إثبات صفة المحبّة لله، لقوله: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} والصفة تؤخذ من الفعل، هل الاسم يؤخذ من الفعل؟ لا؛ الاسم لا يؤخذ من الفعل، الصفة هي التي تؤخذ من الفعل، {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} يعني: واعدلوا إنّ الله يحب العادلين.

ثم قال: **({فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ})**

كلّها آيات في إثبات صفة المحبّة له، والمؤلف رحمه الله يأتي بعدة آيات لإثبات صفة واحدة، والشاهد من هذه الآية قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} ففيه إثبات صفة المحبة.

قال: أي: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} مهما استقام لكم المعاهَدون الذين عاهدتم عند المسجد الحرام للوفاء بالعهد فاستقيموا لهم في ذلك {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} أي الذين يتقونه ويخافونه، والمتقي هو الذي يتقي عذاب الله تبارك وتعالى، كيف يكون ذلك؟ يكون بطاعة الأمر واجتناب النهي.

ثم قال: **({إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ})**

أيضاً الشاهد فيه إثبات صفة المحبّة لله تبارك وتعالى، والتوّاب: فعّال، صيغة مبالغة، أي: كثير التوبة، والتوبة: هي الرجوع إلى الله تبارك وتعالى، {وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين}: الذين يتطهرون من الأحداث ومن النجاسات.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ})**

هذه الآية يسميها العلماء آية المحنة، يعني: الامتحان، يُختبر العبد في صدق محبته لله، إن كنت صادقاً في محبتك لله؛ فاتبع النبي ﷺ، وعلى قدر اتباعك للنبي ﷺ يكون

صدقك في محبة الله تبارك وتعالى، {فَاتَّبِعُونِي} وإذا اتبعتم النبي ﷺ وصدقتم في ذلك {يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} هذه نتيجة الاتباع، وكما قال أحد السلف: (ليس الشأن أن تُحِبَّ ولكنّ الشأن أن تُحَبَّ) يعني المقام والرفعة والمنزلة أن يُحبّك الله لا أن تدعي أنت محبّة الله تبارك وتعالى، وإن كنت صادقاً في محبتك لله تبارك وتعالى؛ فاتبع نبيه ﷺ واصدق في ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله: (أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم)، هذا ابن كثير رحمه الله يثبت صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

قال: **(وَقَوْلُهُ: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ})**

كذلك هذه الآية فيها إثبات صفة المحبّة لله.

قال:**(وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ})**
وفي هذه الآية كذلك إثبات صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

قال:**(وقوله: {وَقَوْلُهُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ})**
الغفور: على وزن فعول وهو وزن -أيضاً- يدلّ على الكثرة؛ أي: كثير المغفرة.
الودود: مأخوذ من الود، وهو: خالص المحبة.

قال ابن الأنباري رحمه الله: (الودود معناه المحبّ لعباده) فهذا ابن الأنباري يُثبت صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

وقال الطبري: (وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه وذو المحبّة له).

وقال ابن فارس: (الواو والدال كلمة تدلّ على المحبّة) إذن هي أيضاً تدلّ على صفة المحبّة لله تبارك وتعالى.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ})**

أراد المؤلف رحمه الله من ذكر هذه الآية في هذا الموطن: إثبات صفة الرحمة لله تبارك وتعالى، وفي هذه الآية ثلاثة أسماء لله تبارك وتعالى تتضمن صفات.

الاسم الأول: الله، والثاني: الرحمان، والثالث: الرحيم.

هنا ثلاث صفات تضمنتها هذه الأسماء الثلاثة:

فالله اسم يتضمن صفة الألوهية؛ وهي العبادة، فهو بمعنى المعبود.

والرحمن اسم يتضمن صفة الرحمة، كذلك الرحيم اسم يتضمن صفة الرحمة، ولكن الرحمة التي في الأولى ليست هي الرحمة التي في الثانية؛ الرحمة التي في الاسم الأول رحمة واسعة، رحمة للمؤمنين وللكافرين وللإنسان وللحيوان ولكلّ شيء، أمّا الرحمة الثانية التي في الرحيم؛ فهي رحمة خاصة بالمؤمنين، {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} هذا الفرق بين اسم الرحمن والرحيم.

فهذه الأسماء كلّها تدلّ على ذات الله تبارك وتعالى وعلى هذه الصفات المذكورة.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **({رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا})**

الشاهد: {وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً} تدلّ على أنّ كلّ شيء وصلته رحمة الله تبارك وتعالى، ووصله أيضاً علم الله تبارك وتعالى.

قال: **({وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}، {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}،{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}، {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ})**

كلّها آيات تدلّ على إثبات صفة الرحمة لله تبارك وتعالى، وأهل السنة متفقون على أنّ الله تبارك وتعالى يوصف بالرحمة؛ فهو رحمن وهو رحيم تبارك وتعالى، وأما المتكلمون فينفون عنه هذه الصفة، ويحرفون هذه الآيات التي وردت ويفسرونها باللوازم والنتائج؛ يقولون الرحمة: نفس الإحسان، والأشاعرة يقولون: إرادة الإحسان، لأنّهم

يثبتون صفة الإرادة، وغيرهم يقول: الإحسان، لأنّه لا يثبت صفة الإرادة، وحجتهم في ذلك مع أنّهم يقرون أنّ الرحمة في اللغة ليست بمعنى الإحسان، فالإحسان شيء والإنعام شيء، إرادة الإحسان شيء، والرحمة شيء آخر، هم يقرون بهذا من الناحية اللغوية، لكنهم يقولون: لابد أن نصرف هذه الآية عن ظاهرها، لماذا؟ لأنّ العقل دلّ على أنّ هذه الصفة إن أثبتناها لله فقد شبهناه بخلقه، وتشبيهه بخلقه غير جائز؛ فلذلك يُحرّفون الآيات عن مراد الله تبارك وتعالى؛ هذه حجتهم في هذا الأمر.

ونحن نقول لهم: هذا اللازم الذي جعلتموه لازماً؛ ليس بلازم، فكما تقولون بأنّ لله ذاتاً لا تُماثل ذوات المخلوقين، وتثبتون له ذاتاً وتثبتون للمخلوقين ذاتاً؛ قولوا كذلك في بقية الصفات كاملة، أيضاً أنّ له رحمة تليق بجلاله وعظمته تخالف رحمة المخلوقين، فتتخلصون من هذا اللازم الذي تدعونه؛ فاللازم هذا ليس بلازم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ})**

ذكرنا التفريق بين الصفات الخبرية والصفات الفعلية؛ وهذه الصفة- صفة الرضى- من الصفات الفعلية، فيفعلها الله تبارك وتعالى متى شاء، كما أنّ المحبة من الصفات الفعلية، وصفة الرحمة كذلك من الصفات الفعلية؛ هذه كلّها من الصفات الفعلية التي قلنا أن ضابطها أنّها تتعلق بمشيئة الله؛ يفعلها الله تبارك وتعالى متى شاء؛ فهي متعلقة بمشيئته، وذكرنا الصفات الذاتية أيضاً، وقلنا أن الصفات تنقسم إلى صفات ذاتية وصفات فعلية، وأنّ الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله تبارك وتعالى، والصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها؛ هذه الصفات الذاتية.

الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته يفعلها متى شاء.

الصفات الذاتية التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها؛ وتنقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية معنوية.

صفات ذاتية خبرية.

المعنوية :مثل الحياة والعلم والقدرة.

الخبرية :مثل اليدين والوجه والعينين وما شابه.

فهذه الصفة التي بين أيدينا وهي صفة الرضى ثابتة لله تبارك وتعالى، من عقيدة أهل السنة أنّ يصفوا الله تبارك وتعالى بالرضى وأنّه يرضى؛ هذه من عقيدة أهل السنة والجماعة، لماذا؟ لأنّها قد ثبتت بالكتاب والسنة، فذكر المؤلف رحمه الله لنا آيات تدلّ على ذلك، وسيأتي ما يدلّ على ذلك من السنة، فسيذكر لنا من السنن ما يثبت مجموعة من الصفات.

قوله: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} هذا إثبات لصفة الرضى لله تبارك وتعالى، فالله يرضى رضىً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته لا يُماثل رضى المخلوقين، هذه الصفة الفعلية يفعلها الله تبارك وتعالى متى شاء، وأهل الباطل يحرفونها كما يُحرفون بقية الصفات؛ فيقولون في الرضى: إرادة الثواب أو الثواب نفسه، وكما تقدم أيضاً في الصفة التي قبلها: هم يقرون بأنّ الرضى في لغة العرب ليس بمعنى الثواب؛ فما الذي دفعكم إلى تفسيره بأنّه الثواب أو إرادة الثواب؟

قالوا: العقل يمنع أن نصف الله تبارك وتعالى بهذه الصفة لأنّه يلزم منها التشبيه.

لكن هذا اللازم ليس بلازم، كما قدمنا القول في ذلك.

قال:**(وقوله: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ})**

هذا إثبات لصفة الغضب، قال:{وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ} إذن: الله سبحانه وتعالى يغضب غضباً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، وأيضاً نقول في هذه الصفة كبقية الصفات تماماً: لا يلزم من ذلك التشبيه، وهذا الغضب يليق بجلال الله وعظمته تبارك وتعالى على ظاهر كتاب الله، ولو لم تكن هذه الصفات مرادة لله تبارك وتعالى؛ لما سكت عنها

هكذا، أي: لما ذكرها وسكت عنها ولبيَّن لنا أنّ ظاهرها غير مراد، ولمّا لم يُبين لنا ووصف كتابه بأنّه كتاب عربي مبين؛ فما بقي لهم حجة في صرف هذه النصوص عن ظاهرها.

هذه الآية {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} انظر أنواع العذاب والعقاب الذي سينزل بالإنسان إذا قتل أخاه المؤمن؛ فهذا يدلّ على خطورة سفك دمّ المؤمن، وهذه الآية من الآيات التي أشكلت عند بعض أهل العلم؛ لأنّ قاتل النفس المؤمنة ليس كافراً، ولا يُخلّد في نار جهنم إلّا الكافر؛ فكيف تُفسَر هذه الآية؟

أصحّ ما قيل في تفسيرها: أن الخلود في كلام العرب بمعنى المكث الطويل، فإنه لم يقل: خالداً فيها أبداً، لو أبّدَ؛ لقلنا بأنّه لا يخرج، لكن لمّا قال {خَالِدًا فِيهَا} ومن غير تأبيد؛ دلّ على أنّه يمكث في نار جهنم زمناً طويلاً؛ هذا أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية.

والشاهد منها: إثبات صفة الغضب لله تبارك وتعالى.

قال: **(وقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ})**

الشاهد قوله: {مَا أَسْخَطَ اللَّهَ} يعني: الذي أسخط الله تبارك وتعالى، وهذا فيه إثبات السَّخط لله تبارك وتعالى، والسَّخط قريبُ المعنى من الغضب، يُقال: السَّخط- بفتح السين المشددة وفتح الخاء-، ويُقال السُّخْط- بضم السين المشددة وتسكين الخاء-، كلاهما لغة عربية صحيحة.

قال: **(وقوله: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ})**

فلمّا أغضبونا انتقمنا منهم، فـ: (آسفونا) في لغة العرب بمعنى: أغضبونا، ففيه إثبات صفة الغضب أيضاً لله تبارك وتعالى، والمتكلمون يُحرّفون هذه الصفة ويقولون: معناها

الانتقام أو إرادة الانتقام، وردّ عليهم أهل السنة- إضافة إلى الردود المتقدمة-: أنّ هذا لا يصح في مثل هذا الموطن، لأنّه قال: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} ففرّق ما بين الغضب والانتقام؛ فلا يصح أن تقول: فلما انتقمنا منهم انتقمنا منهم، هذا الكلام غير مستقيم، ولا يخرج من عربي فصيح؛ فما بالك برب العزة تبارك وتعالى.

قال: **(وقوله: {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ})**

الشاهد: إثبات صفة الكراهية لله تبارك وتعالى، وأنّ الله تبارك وتعالى يكره، فلمّا كره الله تبارك وتعالى انبعاثهم- أي: خروجهم للقتال- ثبطهم عنه وأرخى هممهم فلم يخرجوا، كما جاء في الحديث: "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"؛ فالكراهة ثابتة بالكتاب والسنة، الله سبحانه وتعالى يكره كراهة حقيقية تليق بجلاله وعظمته.

قال: **(وقوله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ})**

المقت: أشدّ البغض، أي: يبغضه الله سبحانه وتعالى بغضاً شديداً؛ ففيه إثبات صفة المقت لله تبارك وتعالى.

قال: **(وقوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ})**

هذه كلّها صفات فعلية، وهذا فيه إثبات صفة الإتيان لله تبارك وتعالى؛ فالله يأتي حقيقة، إتياناً يليق بجلاله وعظمته، أهل التحريف قالوا: هذا إن أثبتناه لزم من ذلك أيضاً التشبيه، ونقول: لا يلزم من ذلك التشبيه، وقولوا في هذا كما تقولون في غيره، الذين يثبتون بعض الصفات- كالأشاعرة مثلاً- يُثبتون سبع صفات منها: السمع والبصر والكلام والإرادة والقدرة، هؤلاء نقول لهم: لماذا أثبتم البعض ونفيتم البعض الآخر؟ ما قلتموه في السبع هذه قولوه في الباقي، فلمّا أثبتم له سمعاً وبصراً يليق بجلاله وعظمته

وأثبتم للمخلوق سمعاً وبصراً يليق به؛ كذلك افعلوا في بقية الصفات من الحبّ والبغض والرّضى والكراهية وأيضاً الاتيان، افعلوا في هذا كما فعلتم في ذاك؛ لذلك قال أهل العلم: أشدّ الناس تناقضاً من النُّفاة هم الأشاعرة، مع أنّهم أقرب الناس إلى السنة من هذه الناحية، كونهم يثبتون بعض الصفات، لكن هم أشدّ الناس تناقضاً؛ لأنّهم أصّلوا أصول المتكلمين ولم يَبقوا عليها، خالفوها بإثبات بعض الصفات.

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ} الآن المحرفة ماذا قالوا؟ قالوا: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، ولكن أمر الله تبارك وتعالى ينزل ويأتي في أوقات كثيرة وليس في هذا دون غيره، ثم إذا جاز لكم هذا هنا ففي موطن التفصيل والتقسيم لا يجوز؛ كما في الآية التي بعدها.

قال: **(وقوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ})**

ماذا تفعلون في هذه؟ فإتيان الآيات شيء، وإتيان الملائكة شيء، وإتيان الله تبارك وتعالى شيء آخر، فقد قسّم الله تبارك وتعالى وفصّل في هذا، وفارق بين أن تأتي آياته أو أن يأتي هو؛ فلا يصحّ إذاً التفسير الذي ذهبوا إليه.

لكن عليك أن تعرف قاعدة عامة: هم يعرفون ضعف تفسيراتهم؛ يعرفون هذا ويوقنون به، لكن يقول لك هذا الضعف لا بدّ منه، هذا التحريف لا بدّ منه، لماذا؟ كي ينسجم مع أدلتهم العقلية، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من أجل أن يُرضوا عقولهم، مع أنّهم لو تجردوا حقيقة عن شبهات الفلاسفة التي دفعتهم إلى مثل هذا؛ لوجدوا أنّ عقولهم هذه إنّما دخلها ما دخلها بسبب تلك الفلسفة فقط.

ثم قال: **({كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا})**

وهذا فيه إثبات صفة المجيء لله تبارك وتعالى.

قال: **({وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا})**

هذه الآية ظاهرها ليس فيه ذكر صفة لله تبارك وتعالى،{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} إذن لماذا ذكرها المؤلف رحمه الله هنا وهو في سياق سرد آيات الصفات ؟

لأنّ فيها إشارة إلى مجيء الله تبارك وتعالى؛ فتشقق السماء بالغمام سببه هو مجيء الله تبارك وتعالى، بدليل الآيات السابقة التي تقدمت معنا، فلمّا وُجد ذكر تشقق السماء بالغمام؛ أتى بالآية ها هنا لأنّ هذا التشقق يحصل لمجيء الله تبارك وتعالى، ففيه إشارة لإثبات صفة المجيء لله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ})**

هذا إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ}، فصفة الوجه ثابتة بهذه الآية، فنثبت لله وجهاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى، ولا شك أنّ الباقي هي الذات، وأنّ المراد بقاء الذات، لكن أيضاً الوجه ثابت؛ فوصف الوجه بالجلال والإكرام يدلّ على ثبوت صفة الوجه لله تبارك وتعالى، {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} عائدة إلى وجه الله سبحانه وتعالى، والجلال: بمعنى العظمة والسلطان، والإكرام: تصح على معنيين: على معنى مُكرِم ومُكرَم:

فالمُكرَم: إكرام الله تبارك وتعالى يكون بالقيام بعبادته وطاعته.

ومُكرِمٌ لمن يستحق الإكرام من خلقه.

ثم قال: **({كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ})**

أول الآية: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه}، {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ} أي: مما كتب عليه الفناء، يُستثنى من ذلك الجنّة والنّار- هذه لا تفنى.

{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} اختلف السلف في المراد من وجمه هنا، وهل هي من آيات الصفات أم لا ؟

فبعضهم قال: كلّ شيء هالك إلّا هو، أي: إلّا الله سبحانه وتعالى.

وقال بعضهم: إلّا ما أُريد به وجمه.

وقال البعض: إلّا ملكه.

من الذين قالوا: إلّا ما أُريد به وجمه: أبو العالية ومجاهد والثوري.

وقوله: (إلّا هو) قاله أبو عبيدة مَعْمر بن مثنى.

(وإلّا ملكه) لم تُذكر عن شخص معين؛ هي مذكورة: أنّ بعضهم قال هذا، وأخرجها هنا من آيات الصفات؛ لكن هذا التفسير لا يُذكر عن شخص معين، وتفسير السلف دائر على إثبات صفة الوجه في هذه الآية، سواء قلت معناها: (إلّا هو) أو (إلّا ما أُريد به وجمه)؛ ففيها إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى، لكن لمّا تقول (إلّا مُلكه) هنا تكون قد نفيت إثبات صفة الوجه بهذه الآية؛ لكن كما ذكرنا هذا التفسير لا يُذكر عن شخص معين؛ هذا أولاً، ثانياً: هو تفسير خطأ لا يصح؛ ذلك لأنّ الأشياء كلّها ملك لله تبارك وتعالى، فلا يصحّ أن يُقال: كلّ شيء هالك إلّا كلّ شيء، فالأشياء كلّها هي ملك لله سبحانه وتعالى، فإذا قُلت: كلّ شيء هالك إلّا ملكه؛ معنى ذلك: أنّ كلّ ما هو مالكه هالك إلّا ما هو مالكه، فما استفدنا شيئاً من هذا الاستثناء؛ فهذا التفسير يُعتبر تفسيراً خاطئاً.

على كلٍ الآية التي قبلها صريحة في إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى، وقد وردت أحاديث أكثر صراحة في إثبات صفة وجه الله تبارك وتعالى منها قول النبي ﷺ: "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ".

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}**
هاتان الآيتان فيهما إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى.

قوله: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} مُثنى، وقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} أيضاً مثنى، فأثبت الله تبارك وتعالى لنفسه يدين اثنتين؛ فنحن نثبت ما أثبت الله لنفسه.

جاء في بعض الآيات ذكر اليد الواحدة، وفي بعضها ذكر الأيدي بصيغة الجمع، والجمع بين هذه الآيات أن يُقال: بأنّ الجمع لا ينافي التثنية؛ لأن بعضهم قال: أقل الجمع اثنين؛ فيكون داخلاً في ذلك، وإذا قلنا أقل الجمع ثلاثة؛ فيكون عندئذ الجمع للتعظيم لا التكثير، وليس للعدد، والاثنان هو العمدة، وأمّا ذكر اليد الواحدة فلا ينفي وجود يد أخرى؛ فبهذا يتم الجمع بين الأدلة التي وردت بصيغة الجمع ووردت بصيغة التثنية ووردت بصيغة الإفراد؛ فيكون الجمع المراد به التعظيم لا التكثير، فإنّ التكثير معناه أكثر من يدين وهذا خطأ، فإن المراد التعظيم؛ لأنّ الثابت عندنا هي اليدان فقط.

وأما أهل التعطيل فعندما جاءت آية {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}؛ فسروا ذلك بالإنعام، أي: أنّه يُنعم على خلقه، فاليد إما يفسرونها بالنعمة أو بالقدرة؛ كي يصرفوها عن حقيقتها ولا يثبتوا لله تبارك وتعالى يداً حقيقية، والكلام فيها كالكلام في بقية الصفات، لكن هذه من الصفات الذاتية الخبرية، اليد والوجه من الصفات الذاتية الخبرية، وكذلك القول فيها كالقول في غيرها، وأنّ إثبات مثل هذه الصفات لا يلزم منه التمثيل؛ فصفات الله تبارك وتعالى تليق بجلاله وعظمته، وصفات المخلوق تليق به.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، { وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}، {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}

لا يزال المؤلف رحمه الله يذكر صفات الله تبارك وتعالى التي ثبتت في كتاب الله تبارك وتعالى، وذكر هنا صفة العينين، وإثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى أمرٌ مجمعٌ عليه عند السلف، وإثباته بالعدد- وهما عينان اثنتان- أمرٌ متفقٌ عليه بين أهل السنة والجماعة لا خلاف بينهم في ذلك، والأدلة من الكتاب التي تدلّ على ثبوت هذه الصفة لله تبارك وتعالى كبقية أخواتها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ما ذكره المؤلف رحمه الله بقوله: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}، {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} فهنا هذه كلّها تُثبت صفة العين لله تبارك وتعالى، وليس فيها ذكر العدد بالتثنية،

الأولى قال: {بِأَعْيُنِنَا} وهذا جمع.

والثانية قال: {بِأَعْيُنِنَا} وهذا أيضاً جمع.

.والثالثة قال: {عَيْنِي} وهذه مفرد.

والذي دلّ على العدد هو الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ في الدّجال: "إنّه أعور وإنّ ربكم ليس بأعور"، وفي لفظ: "أعور العين اليمنى"، وبعضهم فسر العور بالعيب، وليس من عور العين، وقد انطلى هذا على بعض من لا معرفة له بهذا الفن ويدّعي التحقيق؛ فقال بقول هؤلاء، مع أنّه لو تنازل قليلاً وقرأ شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله على "الواسطية" لكفاه- لا نريد أن نقول يبتعد أكثر من هذا- فقال الشيخ رحمه الله: (ولا شك أنّه تحريف وتجاهل للفظ الصحيح الذي في البخاري وغيره: "أعور العين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية"، وهذا واضح، ولا يُقال أيضاً: "أعور" باللغة العربية إلّا لعور العين، أمّا إذا قيل: "عَور" أو "عَوار"؛ فربما يُراد به مطلق العيب) هذا كلام عالم كبير في معرفة اللغة العربية.

فبهذا الحديث وبالإجماع أثبت أهل السنة العينين لله تبارك وتعالى.

أمّا الجمع فهو على التعظيم، وأمّا العين المفردة فهذه جاءت مضافة والمفرد المضاف يعمّ فيشمل كلّ عين لله تبارك وتعالى؛ فهذا اللفظ لا يُنافي التثنية وكذلك الجمع، ولكن التثنية نصٌّ؛ فلذلك أخذ أهل العلم بالتثنية وفسروا البقية بما يتناسب معها.

وإثبات صفة العين بهذه الأدلة هو ظاهر النصوص، فأسلوب العرب وطريقتهم في التحدث تقتضي ذلك وتجعل هذا ظاهراً، فلمّا قال الله سبحانه وتعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} الباء هنا في الآية باء المصاحبة، وليست الباء التي تدلّ على الظرف والمكان، ففهمها على هذا المعنى- بمعنى المصاحبة- موافق لسياق الأدلة التي وردت فيها، فعندما يقول الأب لابنه الذي يأتيه شاكياً من جماعة يترصدون له يقول له: (اذهب فإنّك بعينيَّ)، لا يَفهم أحدٌ من هذا الكلام أنّ الابن في داخل عيني أبيه، ولكن يَفهم من هذا أنّي أنظر إليك وأحفظك وأدفع عنك، هذا هو المقصود من كلامهم في مثل هذا، فهذا الذي يُفهم من مثل هذا السياق ولله المثل الأعلى، وكذلك قوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} في السفينة التي صنعها نوح عليه السلام {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} يعني سفينة مُصنّعة من ألواح ومن مسامير، حمل الله تبارك وتعالى نوحاً ومن معه عليها، قال{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} أي: مصاحبة لنظرنا، مصاحبة لأعيننا، فننظر إليها ونحفظها.

وقوله أيضاً: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} الصنع هنا- صنع الإنسان- هي تربيته التربية البدنية والتربية الفعلية، فأنا أنظر إليك وأربيك وأحفظك.

فظاهر هذه النصوص كلّها يدلّ على إثبات صفة العينين لله تبارك وتعالى.

وهذه من الصفات الذاتية الخبرية، هي صفات ذاتية والصفات الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، والخبرية: هي التي بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء.

ونذكر هنا من السلف من أثبت هذه الصفة لله تبارك وتعالى:
قال ابن خزيمة في "كتاب التوحيد" بعد أن ذكر هذه الأدلة التي ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله؛ قال: (فواجب على كلّ مؤمن أن يُثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله؛ لبيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه عز وجل في قوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} فبيّن النبي ﷺ أنّ لله عينين؛ فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب) هذا كلام ابن خزيمة وهو صريح في إثبات صفة العينين لله تبارك وتعالى.

وقال الدارمي في ردّه على المريسي بعد أن ذكر بعض هذه الأدلة: (فكما نحن لا نُكيّف هذه الصفات لا نُكذّب بها كتكذيبكم ولا نفسرها كباطل تفسيركم) وفي هذا شرح وبيان لمعنى كلام السلف عندما يقولون: (ومن غير تفسير)، فلمّا يُذكر هذا في كلام السلف في صفات الله تبارك وتعالى لا يعنون أنّهم يُفوّضون المعنى كما ذهبت إليه المفوّضة، لمّا وجدوا في بعض كلام السلف أنّهم يقولون من غير تفسير، أو من غير معنى، بمعنى هذه الألفاظ؛ ظنّوا أنّ السلف يُفوّضون المعنى؛ وهذا كلام باطل، هنا هذا من كلام السلف أيضاً فيُفسر لنا المعنى الذي يريدونه، فقال: (ولا نفسرها كباطل تفسيركم) هذا المعنى الذي ينفيه السلف من التفسير، فعندما يقولون: (من غير معنى) أي: من غير المعنى الذي فسره عليه الجهمية ومن غير تفسير كتفسير الجهمية، ولكننا نفسرها تفسيراً حقيقياً موافقاً للغة التي نزل بها القرآن.
وقال يحيى بن سلّام في تفسيره: ({فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، أي: نرى ما تصنع وما يُصْنَعُ بك فسنجزيك ونجزيهم).
هذا كلام من كلام أئمة السلف، كانوا يُقرون بهذه الصفات ويثبتونها، فالعقيدة التي

ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله ليست من عنده ولا هو الذي اخترعها ولا تُنسب إليه؛ بل هو ما عليه إلّا أن قرأ كتب السلف وأخذ علمهم وناظر عليه وجادل أهل البدع وأظهره وبينه؛ هذا ما فعله الإمام ابن تيمية رحمه الله، ولم يأت بدين جديد، ولو جاء بدين جديد لرددناه عليه كائناً من كان، ليس عندنا أحد معظم بعد النبي ﷺ ومعصوم عن الخطأ؛ إلّا إجماع الأمة فقط؛ هذا المعصوم عن الخطأ، بعد ذلك الكلّ يخطئ ويصيب، والكلّ يُردّ عليه ويؤخذ منه ما وافق الحقّ؛ هذا هو ديننا الذي ندين به وليس عندنا أحد معصوم بعد نبينا ﷺ.

وهذا من كلام السلف موافق لما قرره الإمام ابن تيمية رحمه الله.

ثم قال: **(وقوله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ})**

هذه الآية فيها إثبات صفة السمع والبصر لله تبارك وتعالى، والمقصود بالسمع: هو إدراك المسموعات، وكذلك البصر: رؤية المبصرات -المرئيات-؛ إدراكها بالبصر؛ هذا معنى السمع والبصر، وهو مثبت لله تبارك وتعالى كما أثبته لنفسه هنا وفي مواطن كثيرة في الكتاب والسنة.

ومن كلام السلف في إثبات صفة السمع؛ قول عائشة رضي الله عنها- وهي الصحابية- تبين لنا بوضوح إثبات الصفات كما أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه؛ جاء عنها رضي الله عنها أنّها قالت: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، كان بيني وبينها- أي: هذه المجادلة التي كانت تجادل النبي ﷺ- كان بيني وبينها جدار وأسمع بعض الكلام والبعض لا أسمعه، وسمعها الله تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات؛ هل في هذا الكلام إثبات صفة السمع الحقيقية أم لا؟ كلام واضح وصريح ليس فيه خفاء؛ هذا مذهب صحابة رسول الله ﷺ.

قال المؤلف: (وقوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ})

وهذه أيضاً واضحة في سماع الله تبارك وتعالى لما قاله هؤلاء القوم.

قال: ({أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ})

هذا كلّه واضح وصريح في المراد.

قال: (وقوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى})

الأولى: فيها إثبات صفة السمع والرؤية أيضاً لله تبارك وتعالى، فالله يرى كما قال في كتابه، وهي إثبات صفة البصر.

قال: (وقوله: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}، {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}، {فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ})

كلّه إثبات لصفة الرؤية لله تبارك وتعالى؛ فنحن نُثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه.

قال: (وقوله: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}، وقوله: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}، وقوله: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا})

هذه صفة المكر والكيد والمِحَال، هذه الصفات التي يُسميها العلماء بصفات المقابلة، هذه صفة المقابلة التي تكون تارة صفة نقص وتارة صفة كمال، فإذا أُطلقت من غير مقابلة؛ تكون صفة نقص، فإذا قلت مثلاً في زيد من الناس: إنّه ماكر، فلانٌ رجلٌ ماكرٌ، هذا مدح له أم ذم؟ ذم، فلانٌ كيده عظيمٌ، هذا ذم له، فلان شديد المِحَال؛ هذا أيضاً يعتبر ذماً لصاحبه، لكن إذا جعلت هذا الوصف مقابلاً لمن فعله معك، فقلت مثلاً:

زيد يمكر بمن يمكر به؛ فهذا يدلّ على قدرة زيد على الرّد بنفس الأسلوب، ويدلّ على عدم عجزه عن مثل هذا؛ فهنا تصبح صفة كمال.

ولله المثلى الأعظم؛ فهذه الصفات ما تجدها في الكتاب والسنة هكذا وحدها من غير مقابلة؛ لا تجدها جاءت إلا بمقابلة؛ {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}، {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا} بالمقابل، عندما يفعلون يقابلهم الله تبارك وتعالى بنفس فعلهم، هذا يدلّ على عِظَم قدرة الله تبارك وتعالى على كلّ شيء.

(المِحَال): بمعنى المكر والكيد، وكلّها -تقريباً- متقاربة في المعنى، ومعناها التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، هكذا عرّفها العلماء؛ يعني: أن توقع بخصمك بأسباب هو لا ينتبه لها، فيها خفاء؛ هذه كلّها تقريباً بمعنى واحد.

الآية الأولى قال الله تبارك وتعالى فيها: {وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}؛ قال الطبري رحمه الله: (والله شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتى وتمادى في كفره، والمِحَال: مصدر من قول القائل: ماحلت فلاناً فأنا أماحله مماحلة ومحالاً، منه محلت أمحل: إذا عرَّض رجل رجلاً لما يهلكه) أي: بمعنى المكر الشديد، المكر والكيد، وقيل بمعنى شديد الأخذ، وقيل شديد القوّة، كلّها تفاسير ذكرت، لكن هي قريبة من معنى المكر والكيد؛ هذه الصفات تسمى بصفات المقابلة كما ذكرنا، وتكون صفة كمال عندما تكون مقابلة لمن فعل هذا الفعل، وكذلك الاستهزاء أيضاً من هذا الباب- صفة مقابلة- فهذه الصفات لا يصحّ أن نطلق القول فيها مطلقاً ونقول: الله ماكر أو الله كيده عظيم أو الله مستهزئ ؛ لا؛ ولكن نُقيّدها كما قيدها الله تبارك وتعالى.

ثم قال المؤلف: **(وقوله: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا})**

هنا بدأ بذكر صفة العفو والمغفرة والرحمة والعزّة؛ وكلّها ثابتة في كتاب الله كما سيذكر المؤلف رحمه الله، وهذه الآية التي بين أيدينا فيها إثبات صفة العفو لله تبارك وتعالى، كما في قوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}.

قال: ({وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ})

هذه صفة المغفرة لله تبارك وتعالى، وغفور هنا جاءت على وزن فعول؛ فتكون بمعنى كثير المغفرة.

قال: (وقوله: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ})

هذه الآية فيها إثبات صفة العزّة لله تبارك وتعالى.

قال ابن فارس: (عزّ: العين والزاي أصلٌ صحيح واحد يدلّ على شدّة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، قال الخليل: العزة لله جلَّ ثناؤه وهو من العزيز ويُقال: عزّ الشيء حتى يكاد لا يُوجد) فهي بالمعنى الذي ذكره ابن فارس رحمه الله بمعنى الشدّة والقوة.

قال: (وقوله عن إبليس: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ})

هذا كقول إبليس لله تبارك وتعالى، وقد أقرّه الله تبارك وتعالى على القسم بعزة الله تبارك وتعالى.

قال: (وقوله: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ})

هذا إثبات الاسم لله تبارك وتعالى {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ} هنا أثبت أنّ لله تبارك وتعالى اسماً، و(تبارك) بمعنى: تعالى وتعاظم اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

سيبدأ المؤلف رحمه الله بالصفات السلبية- الصفات المنفية- بعد أن انتهى من الصفات

الثبوتية؛ وذلك لأنّ صفات الله تبارك وتعالى تنقسم إلى قسمين؛ ثبوتية وسلبية، ونعني بالثبوتية التي أثبتها لنفسه كصفة العلوّ وصفة السمع وصفة البصر والعلم والقدرة.. إلى آخره، وقد تقدم الكثير منها؛ ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله وذكرناها في الدروس الماضية، وقسّمنا هذه الصفات الثبوتية إلى قسمين:

صفات ذاتية، وصفات فعلية.

القسم الثاني وهو الصفات السلبية: ويعني العلماء بالسلبية أي: المنفية؛ يعني: التي نفاها الله تبارك وتعالى عن نفسه، والصفات الثبوتية: التي أثبتها الله لنفسه، أثبتها لنفسه لأنّها صفات كمال مطلق لله سبحانه وتعالى؛ فلذلك أثبتها لنفسه، والصفات السلبية صفات نقص؛ لذلك نفاها الله تبارك وتعالى عن نفسه، كصفة الموت وصفة الجهل وصفة النسيان وصفة السهو وما شابه من الصفات التي سيأتي معنا ذكر بعضها.

وقبل أن نبدأ بما ذكره المؤلف رحمه الله نذكر قاعدتين في ذلك كتأصيل للمسألة، ثم بعد ذلك نذكر الأمثلة التي ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله.

يعجبني بحقّ كتاب "القواعد المثلى" للشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ وذلك لأنّه عبارة عن تقعيد وتأصيل لعلم الأسماء والصفات، فإذا أُصِّل الشخص وقعَّد تقعيداً جيداً وتعلم هذا الكتاب بشكل متقن؛ انتهى عنده هذا العلم وأُتْقِنَ، وما بقي عليه إلّا الإكثار من الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة التي فيها إثبات الأسماء والصفات.

فمن القواعد التي تُذكر في مسألة الإثبات والنفي للصفات:

القاعدة التي يذكرها أهل العلم في مسألة الأغلبية؛ في الغالب في الكتاب والسنة يأتي ذكر الصفات بالإثبات بالتفصيل والنفي بالإجمال، هذا في الغالب في القرآن والسنة، أما طريقة أهل البدع فتخالف ذلك؛ أهل البدع في الغالب يأتون بإثبات مجمل ونفي مفصل، هذه طريقة أهل البدع في تعاملهم، لأنّهم بعيدون جداً عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ، أمّا في الكتاب والسنة فمن تأملها؛ وجد أن الغالب من الآيات

والأحاديث التي تأتي في ذلك هي في حال الإثبات مفصلة وفي حال النفي مجملة، وأحياناً يخرج هذا عن الغالب لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى كردّ شبهة -مثلاً- من شبهات أهل البدع وقولٍ من أقوالهم الباطلة؛ فيأتي التنصيص والتفصيل في مسألة النفي كما في قول الله تبارك وتعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} هنا جاء نفي مفصل، نفي الولد؛ لماذا؟ لأنّ الكفرة ادعوا بأنّ الله سبحانه وتعالى له ولد، فنفى الله سبحانه وتعالى هذا الشيء؛ فيأتي النفي مفصلاً أحياناً ولكن ليس هو الغالب؛ هذه القاعدة التي أردنا أن ننبه عليها وهي القاعدة الأولى، ونمثل على ما ذكرنا بشكل سريع.

الإثبات المجمل كقول الله تبارك وتعالى {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} أي: لله الصفات الكاملة، صفات الكمال لله تبارك وتعالى، وهنا لم يتحدث عن صفة معينة؛ ذكر بالإجمال أنّ الصفات التي هي ثابتة لله تبارك وتعالى هي صفات كمال له.

كذلك الأسماء قال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} إثبات مجمل في هذا، لكن هذا القليل، أمّا الكثير والغالب في حال الإثبات فهو التفصيل؛ كقوله عز وجل: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} أثبت اسم الرحمن واسم الرحيم وصفة الرحمة لله تبارك وتعالى.

وكصفة العلم، صفة القدرة، صفة السمع، صفة البصر.. الخ، من صفات وأسماء مثبتة لله تبارك وتعالى طافحة بها أدلة الكتاب والسنة؛ هذا تفصيلي؛ يتحدث عن اسم معين وعن صفة معينة هذا تفصيلي، إذا تحدث عن الأسماء وعن الصفات بشكل عام؛ هذا يكون إجمالياً، هذا بالنسبة للإثبات وأمّا بالنسبة للنفي المجمل ففي قول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} هنا لا يتحدث عن شيء معين، تحدث بشكل عام مجمل، فهذا نفي مجمل، أمّا النفي المفصل فكما مثلنا: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} هذا نفي مفصل، وكنفي صفة النسيان، صفة السهو، نفي صفة الموت، مثل هذا كلّه يعتبر نفياً مفصلاً؛ هذا تمثيل على ما ذكرنا.

بقيت القاعدة الثانية التي نريد أن ننبه عليها قبل أن نبدأ بمادة الكتاب وهي:

أنّ ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه في الكتاب أو نفاه النبي ﷺ عن ربنا تبارك وتعالى في سنته؛ كلّها صفات نقص في حقّ الله تبارك وتعالى كالموت والنوم والجهل وغيرها، وهذه عندنا يجب فيها إثبات ضدها؛ وإلّا لما كان في ذلك تنزيهاً لله تبارك وتعالى ووصفاً له بالكمال؛ لا بدّ من هذا حتى يُثبت الضد؛ لأنّ النفي لا يكون كمالاً دائماً، أحياناً النفي يكون فيه نقص وعيب كما قال الشاعر في قبيلةٍ:

(قُبَيِّلَةٌ لا يَغدُرُونَ بِذِمَّةٍ وَلا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ)

إذا قرات هذا الكلام؛ توهَّمْتَ أنّه يمدح تلك القبيلة فقد نفى عنها الظلم، والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه الظلم؛ لكنّ النفي هنا غير النفي هناك، فهذا قد نفى عنها الظلم لا لأنّها لا تظلم، لا لكمال عدلها، ولا لعدلها أصلاً؛ ولكن لضعفها، وعدم قدرتها على ذلك، فإذاً كان هنا نفي وهناك فيه نفي؛ لكن هذا النفي ليس كذاك النفي؛ لذلك إذا أردت أن تنفي فيجب أن تثبت الضد المخالف- وهو الكمال- فلمّا تنفي الظلم عن الله تبارك وتعالى، لماذا تنفيه؟ تنفيه لإثبات كمال عدل الله تبارك وتعالى؛ لأنّ ضد الظلم: العدل، فتثبت بذلك كمال عدل الله تبارك وتعالى، إذن الصفات السلبية لا تُنفى إلّا مع إثبات الضد حتى تكون مُنزِهاً لله تبارك وتعالى وواصفاً له بصفات الكمال؛ هذه هي القاعدة الثانية التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب، وبذلك نكون قد أصلنا مسألة الصفات السلبية.

ونأتي الآن إلى تفصيل المؤلف رحمه الله.

قال: **{فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}**

تفصيل القول في تفسير الآيات قد تكلم فيه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عندكم في الشرح بما لا يجعل معه مجالاً لقول قائل؛ فأنهى الأمر، وقد فسّرها بطريقة سهلة ميسرة وتامة فيما نحسب والله أعلم؛ لذلك نحن نذكر من الآية شاهدها؛ لماذا ساقها المؤلف،

قال: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} هذا استفهام؛ لكن ما المراد منه؟ هل يراد من هذا الاستفهام العلم، الله سبحانه وتعالى عالم بكلّ شيء فلا يحتاج أن يستفهم من أحد شيئاً، فهذا الاستفهام المراد منه النفي، {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} أي: لا يوجد له سميٌّ، هذا معنى الكلام، والسميُّ هو: الشبيه والنظير، فنفى عن نفسه الشبيه لكماله المطلق تبارك وتعالى.

قال: **(وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ})**

أي: ليس لله تبارك وتعالى من يكافئه؛ فليس له مساو؛ لكماله تبارك وتعالى.

قال: **({فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ})**

النّد: هو المشابه والمكافئ، فليس له ند تبارك وتعالى، ليس له نظير، ليس له مثل؛ لذلك نهى عن جعل أحدٍ نداً له، لماذا؟ لكمال الله تبارك وتعالى.

قال: **({وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ})**

يتخذون أشباهاً ونظراء لله تبارك وتعالى، وهذه كالتي قبلها فيها نفي النّد؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يُنكر على الذين اتخذوا من دونه أنداداً؛ إذن فلا يوجد لله سبحانه وتعالى أنداد.

ثم قال: **({وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا})**

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه في هذه الآية ثلاثة أشياء:

الأول: الولد: {لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}

الثاني: الشريك {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ}

الثالث: الوليّ من الذلّ {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ}

نفى هذه الأشياء الثلاثة؛ لماذا؟ لكمال ملكه، وكمال غناه، وكمال قدرته؛ فهو غني عن الولد، فهو يملك كلّ شيء، وهو قادر على كلّ شيء، الذي يأتيه الولد هو بحاجة إلى هذا الولد كي يعينه ويساعده، والله سبحانه وتعالى غني عن ذلك؛ فهو لا ولد له ولا شريك له ولا له ولي من الذل كي يعزّه؛ لله العزة الكاملة، فليس بحاجة إلى من يأتيه بالعزّة، فنفى الولي من الذلّ؛ لكنّه لم ينفي الولي مطلقاً، الله سبحانه وتعالى أثبت الولاية: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }، "من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب"؛ إذن قد أثبت الله تبارك وتعالى الولاية ولم ينفها هناك؛ لكن نفى هنا الوليّ من الذّل؛ فإذن المنفية هي الولاية الخاصة؛ وهي أن يوجد له ولي معين ونصير يرفعه إلى العزّ من الذّل، تنزه الله تبارك وتعالى عن هذا؛ فالله سبحانه وتعالى عزيز موصوف بكمال العزّة {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}

ثم قال: **({يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ})**

يسبح: أي ينزه الله عن جميع النقائص، {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} هذا يشمل الجميع، إمّا تنزيهٌ بلسان الحال أو بلسان المقال؛ كلّهم ينزهون الله تبارك وتعالى عن النقائص؛ لماذا؟ لأنّه صاحب الكمال، صاحب صفات الكمال، لا نقص عنده تبارك وتعالى، فيُنزَه الله سبحانه وتعالى عن جميع النقائص، فهذه فيها صفة سليبة؛ لأنّ فيها نفي النقائص عن الله تبارك وتعالى، هذا معنى التسبيح، التنزيه عن النقائص، يعني: نفي النقائص عنه تبارك وتعالى؛ فهي تتضمن إثبات الكمال لله تبارك وتعالى.

ثم قال: **({تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا})**

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} الله سبحانه وتعالى، الحديث هنا عن الله تبارك وتعالى.

{تَبَارَكَ}: بمعنى تعالى وتعاظم، {الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ}: الذي هو القرآن، {عَلَى عَبْدِهِ}: على محمد ﷺ، {لِيَكُونَ} محمد ﷺ، {لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} لينذر الإنس والجنّ ويبلغهم رسالة الله تبارك وتعالى.

{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهو الله سبحانه وتعالى، {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} الشاهد في هذه الآية قوله: {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} هذه صفة سلبية، نفى عن نفسه الولد؛ لكمال غناه وكمال قدرته تبارك وتعالى، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} أيضاً لكمال ملكه تبارك وتعالى وكمال صفاته ليس له شريك في الملك.

ثم قال: **({مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ})**

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ} هذه فيها نفي الولد؛ فهي صفة سلبية، {وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} هذا أيضاً نفي للآلهة مع الله سبحانه وتعالى؛ يعني: المعبودات ومن له الملك، فليس معه من يشاركه في الملك ولا من يشاركه في العبادة، {إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ} يعني لو وُجد معه إله وخالق يخلق لأخذ كل واحد ماله من خلقٍ، {وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} لأراد كل واحد أن يسيطر على ما عند الآخر، {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} ينزه الله تبارك وتعالى نفسه عما يصفه به المشركون؛ فإذن عندنا صفات سلبية وهي: نفي الولد، نفي الإله، وتنزيه لله تبارك وتعالى عن كلِّ ما يصفه به المشركون من الباطل، فنزّه الله سبحانه وتعالى نفسه ونفى عنها تلك النقائص.

ثم قال: ({فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ})

يعني: لا تجعلوا لله مِثْلاً، فتقولون: مثل الله كمثل كذا وكذا، أو تجعلوا له شريكاً في العبادة؛ فهذه أيضاً صفة سلبية.

قال: ({قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ})

الصفة السلبية هنا قوله تبارك وتعالى: {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} هذا مما حرمه تبارك وتعالى علينا: أن نشرك مع الله غيره؛ هذا محرم، فوجود الشريك مع الله سبحانه وتعالى أمرٌ منفيٌ؛ فهي صفة سلبية، وأيضاً قوله: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} يقول الشيخ ابن عثيمين هنا: لكماله؛ (فإنه من تمام سلطانه أن لا يقول عليه أحدٌ مالا يعلم) هذه أيضاً جعلها من الصفات السلبية.

هذه الصفات السلبية التي ذكرها المؤلف رحمه الله من القرآن، وهذا ما يتعلق بمسألة الصفات السلبية، ثم يرجع بنا المؤلف الآن إلى الصفات الثبوتية، إلى صفة هي من أعظم الصفات التي خالف فيها أهل البدع أهلَ السنة والجماعة، أعظم ثلاث صفات اشتهرت في مخالفة أهل البدع لأهل السنة والجماعة هي:

صفة العلو، وصفة الكلام، ورؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

وكلّها صفات أدلتها متواترة من الكتاب والسنة، وهي أدلة محكمة واضحة لا خفاء فيها البتة، أدلة كثيرة محكمة واضحة وصريحة يتركها أهل البدع ويذهبون إلى المتشابهات، لِما تقرر عندهم في عقولهم من باطل، من تقرير أنّ العقل مقدم على النقل، ثم قرروا أنّ هذه الصفات كلّها يلزم منها تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه، وكلّ هذا باطل مجرد كلام لا صحة له، ولا أدلة عليه لا من كتاب ولا من سنة؛ هذه صفة العلو قال فيها المؤلف رحمه الله:

(وَقَوْلُهُ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} فِي سَبْعَةِ مواضعَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ})

أدلة علوِّ الله تبارك وتعالى على عرشه كثيرة، والعرش فوق السماوات السبع بالاتفاق بإجماع أهل العلم، والله سبحانه وتعالى علا وارتفع على عرشه؛ هذا مذهب السلف وهو أمر متفق عليه بينهم لا خلاف فيه، وجاء مصرحاً به من كلام أبي العالية رحمه الله وهو من تلاميذ الصحابة ومولى أم سلمة رضي الله عنها، وفيما أذكر الآن أنّه أخذ عن سبعين من أصحاب النبي ﷺ، فلمّا فسر هذه الآية؛ قال: (علا وارتفع") هذا كلام واضح وصريح بأنّهم يثبتون صفة العلوّ لله تبارك وتعالى، وهذه الآيات تثبت ذلك.

(الرَّحْمَنُ) الذي هو الله سبحانه وتعالى.

(عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) قال أبو العالية: (علا وارتفع)، ونحن نقول كما قال سلفنا رضي الله عنهم ولا نحيد عن ذلك كما حاد أهل الضلال.

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْش) أيضاً هذه الآية بنفس معنى الآية الأولى.

قال: (فِي سَبْعَةِ مواضعَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ) كلّها فيها إثبات استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه، وهذا يدلنا على أنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه وهو في العلوّ.

ثم ذكر الآيات الأخر التي بعدها فقال:

(وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلم السَّجْدَةِ: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ})

هذه كلّها تدل على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه، وكما رأيتم آيات كثيرة في كتاب الله بنفس المعنى.

والاستواء كما ذكرنا تعريفه عن أبي العالية رضي الله عنه بأنّه بمعنى: العلوّ والارتفاع، هذا إذا كان قد تعدى بـ: (على) يكون معناه العلوّ، وأمّا إذا تعدى بـ: (إلى) فيكون المعنى القصد، على قول بعض أهل العلم؛ بعضهم قال إذا تعدى بـ: (إلى) {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} قالوا: قصدها لأنّه عُدي بحرف إلى، والبعض أيضاً قال: هو بمعنى العلوّ والارتفاع على الحالتين.

قال: **(وقوله: {قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ})**

هذه الآية أيضاً تدلّ على علوّ الله على خلقه لأنّ الله عز وجل قال لعيسى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}؛ إذن سيكون رفعاً إلى الأعلى، إليّ: يعني إلى العلوّ، عند الله سبحانه وتعالى.

قال: **({بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ})**

كذلك هذه الآية فيها تصريح بأنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ بذاته، فرفعُ الشيء إلى أعلى {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}؛ يعني: في العلوّ.

قال: **({إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ})**

الشاهد من ناحيتين:

{إِلَيْهِ يَصْعَدُ}: الصعود إلى الأعلى، إليه: إلى الله سبحانه وتعالى.
وكذلك قوله: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}.

قال: ({يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا})

هذه الآية من أساليب تلبيس أهل البدع على العباد أنّ أحد طلبة العلم كان جالساً في مجلس رجل أشعري فكان من قوله أن قال: المُجسمة -وهم يعنون أهل السنة، ويسمونهم أيضاً: الحشوية-؛ قال: المجسمة يقولون في هذه المسألة بقول فرعون، فعقيدتهم عقيدة فرعون؛ ما دليلك؟ قال: انظروا إلى فرعون ماذا قال؟ قال: {يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} وتوقف إلى هنا، فرعون في أصله لا يعترف بوجود الله، وقد أنكر على السحرة عندما عبدوا الله سبحانه وتعالى فقال لهم: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} هو الإله فقط، ليس هناك إله أصلاً عنده، لا يعترف بوجود الله سبحانه وتعالى؛ فكيف يعترف بوجود إله موسى؛ أما هذا الكلام الذي جاء في الآية؛ فأخذه فرعون من موسى، ويستهزئ بكلام موسى فيقول لهامان: ابن لي صرحاً لعلي أطلع إلى السماء وأرى إله موسى الذي يدعي أنّ له إلهاً في السماء؛ لذلك قال في آخر الآية: {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}، {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}.

فقام طالب العلم؛ فقال له: يا شيخ أكمل الآية: {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}؛ يعني الكلام كلام موسى ليس كلام فرعون.

هذا دليل قوي جداً على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه وأنّ هذه العقيدة هي التي كان يدعو موسى فرعون إليها.

ثم قال: ({أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ})

من الذي في السماء؟ من الذي يخسف الأرض بالناس؟ أو يرسل الحاصب؟ هو الله سبحانه وتعالى {مَنْ فِي السَّمَاءِ} يعني: من في العلوّ، فالسماء تُطلق على معنى العلوّ وتطلق أيضاً على معنى السماء المخلوقة، والمقصود هنا {فِي السَّمَاءِ}، أي: في العلوّ، وليس معنى ذلك أنّ السماء تحيط بالله تبارك وتعالى، هذا لا يقال، فالله سبحانه وتعالى استوى على عرشه كما جاء في الآيات المتقدمة، والعرش فوق السماوات السبع كما صحّ ذلك في الأحاديث وكما أجمع عليه علماء الإسلام.

كل هذه الآيات التي تقدمت معنا والأحاديث كثيرة جداً- كسؤال النبي ﷺ الجارية: " أين الله؟" فقالت: في السماء، قال: "اعتقها فإنّها مؤمنة"- كلّها تدلّ على علوّ الله على خلقه وأنّه في السماء تبارك وتعالى مستوٍ على عرشه، هذه الأحاديث والآيات واضحة وصريحة في دلالاتها، وقد أعرض عنها أهل البدع والضلال وتمسكوا ببعض الآيات والأحاديث المتشابهة، فردّوا المحكم إلى المتشابه لأنّه يوافق أهواءهم وهذه طريقة أهل البدع دائماً؛ إمّا أن يعودوا على الدليل الشرعي بالتضعيف أو بالتحريف حتى يتخلصوا منه؛ إمّا بالتضعيف- إذا كان حديثاً نبوياً، واستطاعوا أن يُضعفوا- ضعفوه، وعندهم أمر التضعيف سهل حتى بدون وجود حجّة حديثية صحيحة، مجرد أنّ عقولهم لا تقبل؛ يرفضونه، أمّا إذا ما استطاعوا تضعيفه؛ حرّفوه وغيّروه عن معناه المراد واستدلوا ببعض ما هو متشابه، وكما قال بعض أهل العلم: (ما من صاحب ضلالة إلّا وله دليله)، لكن هل هذا الدليل صحيح أم هو دليل باطل؛ هذه العبرة، فلمّا نظرنا إلى الأدلة المحكمة الواضحة الصريحة؛ انتهى عندنا، وقررنا العقيدة بناءً عليه، ثم بعد ذلك ما يأتي من أدلة متشابهة؛ يجب أن تردّ إلى المحكم، هكذا أمرنا الله تبارك وتعالى.

لمّا انتهى المؤلف رحمه الله من مسألة العلوّ؛ ذكر بعدها أدلة المعية؛ معية الله تبارك وتعالى لخلقه، وهذه الأدلة هي التي يستدل بها أهل الباطل على أنّ الله سبحانه وتعالى في كل مكان كما يقوله بعض الجهمية.

قال: **(قوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ})**

بدأ الآية بقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ثم قال في آخر الآية: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} فتمسكوا بقوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} وتركوا أنّه {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، وهكذا هي طريقة أهل البدع، أما أهل السنة يقولون لا تناقض بين الأمرين هو مستو على عرشه تبارك وتعالى، وهو معهم أينما كانوا، والمعية- معية الله تبارك وتعالى- قسمان:

معية عامة، ومعية خاصة.

المعية العامة: تشمل كل أحدٍ من مؤمن وكافر وبرٍّ وفاجر؛ كما في قوله هنا: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} انظر الآية {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ثم ماذا قال؟ قال: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} يعني يعلم ما يدخل في الأرض، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من زروع وثمار وغيرها، {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} من ماء، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} في السماء، {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} فبدأ الآية بالعلم، فأنت عندما تريد أن تفهم الآية لا تغفل عمّا قبلها وعمّا بعدها وعن سياقها وعن سببها، وعن هذه الأشياء كلّها التي تدلّك على المعنى المراد منها؛ كلّ هذا تستحضره عند فهم الآية، فالآية في أولها تتحدث عن العلم؛ عن علمه بكلّ هذه الأمور؛ فهو معكم أينما كنتم بعلمه فيعلم ما تفعلون؛ هذه المعية العامة.

أمّا المعية الخاصة: فهي المقيدة بشخص معين كقوله تبارك وتعالى عن نبيّه: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} هذه معية نصرة وتأييد من الله تبارك وتعالى لنبيّه، وكذلك قال لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} وضّح معنى المعية هنا؛ أنّه يسمع ما يدور بينهم وبين فرعون من حديث، ويرى ماذا يحصل، لمّا خاف هارون وموسى من فرعون أن يتجبر وأن يطغى عليهم؛ قال الله تبارك وتعالى لهما: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} فينتج عن السمع والرؤية هنا: النصرة والتأييد والحفظ من فرعون ومن شرّه، هذا معنى المعية هنا.

قال: **({مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ})**

لاحظ الآية وانظر عمّ تتحدث {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ} المقصود من النجوى: الحديث الذي يكون بصوت خافت، يتحدث به اثنان مع بعضهما يسمع الطرف الثاني صاحبه بصعوبة أحياناً؛ فهنا يقول الله سبحانه وتعالى{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} أي: هو أيضاً يسمع ما يدور بينهم ويعلم الذي يحصل بينهم، {وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ} أي: لا يخفى عنه شيء ولا يذهب عنه علم شيء، {وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ} مهما كان العدد، فالله سبحانه وتعالى معهم بعلمه؛ فيعلم كلّ شيء، {إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي أنّه يعلم ما عملوا ويسمع ما قالوا ثم ينبئهم به يوم القيامة، {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الكلام واضح ليس فيه خفاء، كلّه يتحدث عن العلم؛ لذلك عبارات السلف كثيرة في أنّ هذه كلّها المراد منها: معية علم.

قال: (وقوله: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا})

هذه المعية الخاصة، معية النصرة والتأييد، والله سبحانه وتعالى معهم، يسمع ويرى ويعلم ما الذي يحدث، وينتج عن ذلك نصرته ومعونته.

قال: ({إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}، {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ})

معية خاصة ليست معية عامة؛ ما المقصود بالمعية هنا؟ أنّ الله سبحانه وتعالى ينصرهم ويؤيدهم ويعينهم.

قال: (وقوله: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ})

إنّ الله مع الصابرين بتأييده لهم ونصرتهم لهم وحفظه لهم.

قال: ({كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ})

كلّها بنفس المعنى.

ثم سينتقل إلى صفة أخرى وهي إثبات الكلام لله تبارك وتعالى، وأنّ القرآن من كلامه تعالى، وهي الصفة الثانية التي حصل فيها النزاع الشديد بين أهل السنة وأهل البدع.

سيبدأ المؤلف بصفة الكلام.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا})

هذا استفهام المراد منه النفي؛ أي: أنّه لا أحد أصدق من الله سبحانه وتعالى حديثاً وقولاً، والشاهد من هاتين الآيتين قوله {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}، فأثبت أنّ الله

سبحانه وتعالى يتحدث، والحديث هو الكلام، فيثبت بذلك صفة الكلام لله تبارك وتعالى، وكذلك: {قِيلاً}، يعني: قولاً، والقول أيضاً كلام؛ فلا يكون إلّا باللفظ.

قال: ({وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ})

الشاهد قوله: {قَالَ اللَّهُ} فأضاف القول إلى الله تبارك وتعالى، والقول: لفظ مسموع يكون بصوت؛ فهو كلام.

قال: ({وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا})

الشاهد قوله {كَلِمَتُ رَبِّكَ} أي: كلمات ربك كما جاء في قراءة أخرى، وتمت كلمات ربك، والمعنى واحد، فكلمة هي من المفرد المضاف الذي يعمّ؛ فيشمل جميع الكلمات، فأثبت لنفسه الكلام في هذه الآية {صِدْقًا وَعَدْلًا} كلام الله تبارك وتعالى دائر بين الصدق والعدل، فالأخبار كلّها صدق والأحكام كلّها عدل؛ فالعدل في الأحكام والصدق في الأخبار.

قال: (وقوله: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا})

هذا فيه إثبات أنّ الله تبارك وتعالى كلّم موسى، ففيه إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، وموسى سمع كلام الله تبارك وتعالى، ثم أكدّ ذلك بقوله {تَكْلِيمًا} فهو مصدر مؤكِد للكلام، وإذا أكدّ الكلام بمصدر؛ فهنا يكون نافياً للمجاز؛ احتمال المجاز منفي غير وارد؛ لأنّه مؤكد {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} فإذن الكلام تكليم حقيقي وليس مجازاً، فلمّا أشكلت هذه الآية على بعض الجهمية حرّفها، فغير الضّمة في لفظ الجلالة وجعلها فتحة حتى يكون موسى هو المتكلِم وليس الله سبحانه وتعالى؛ لأنّها آية صريحة فما استطاع أن يفعل إلّا هذا.

قال: ({مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ})

الله سبحانه وتعالى هو المتكلِم؛ فأثبت لنفسه كلاماً حقيقياً.

قال: **(وقوله: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ})**

كلام صريح، الله سبحانه وتعالى كلَّم موسى كلاماً حقيقياً وسمعه موسى.

قال: **({وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا})**

{وَنَادَيْنَاهُ} المناداة كلام؛ فإنها تكون بصوت، فهي كلام.

{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} المناجاة تكون للقريب، والمناداة للبعيد، هذا يثبت ما يقوله أهل السنة في صفة كلام الله تبارك وتعالى: أنّه يتكلم كيف يشاء ومتى شاء كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، وليس ككلام المخلوقين- تعالى الله تبارك وتعالى عن ذلك- لكنّه يتكلم كلاماً حقيقياً كما أثبت لنفسه في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ بآيات وأحاديث صريحة لا إشكال فيها.

قال: **({وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ})**

{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ} والنداء يكون كلاماً بصوت، {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى} ناداه؛ ماذا قال له: {أَنِ ائْتِ}، (أن) هذه تفسيرية، تفسر لنا مناداة الله تبارك وتعالى، {أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} أي: هذه مناداة الله تبارك وتعالى له، فقال له قولاً بصوت هذا مضمونه.

قال: **({وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ})**

أيضا نفس التي قبلها {وَنَادَاهُمَا} أي: نادى الله سبحانه وتعالى آدم وحواء، النداء يكون بصوت؛ فهو كلام.

قال: **({وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ})**

هذه كذلك فيها مناداة، والمنادي هو الله سبحانه وتعالى.

فهذه الآيات كلها تدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، وبما شاء، وكيف شاء، بحرف وصوت مسموع، لا يُماثل أصوات المخلوقين.

متى أراد أن يتكلم تكلم، وبما شاء أن يتكلم تكلم، شاء أن يتكلم بالقرآن تكلم، شاء أن يُكلّم موسى فكلّمه؛ وهكذا.

كيف شاء، كيفية كلام الله تبارك وتعالى نحن لا نعرفها؛ فنفوضها إلى الله سبحانه وتعالى، يتكلم، كيف يتكلم؟ الله أعلم، لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا كيف يتكلم، أخبرنا أنّه يتكلم؛ ولكنّه لم يخبرنا بالكيفية، فنثبت له الكلام الذي أخبرنا به ونُفوّض الكيفية إليه ونقول الله أعلم بها، كما قال الإمام مالك عندما سُئل عن استواء الله، قال: (الاستواء معلوم)، على مقتضى اللغة العربية فهو العلو والارتفاع، (والكيف مجهول) كيفية الاستواء هذه نجهلها لا نعرفها، (والسؤال عنه بدعة)، أي: السؤال عن الكيفية بدعة محدثة.

بحرف وصوت مسموع؛ هكذا نعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته ويتكلم بصوت وحرف كما جاء في الحديث: "أنّ الله سبحانه وتعالى يُنادي بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ"، وكما جاء في الحديث الآخر أنّ النبي ﷺ قال: "لا أقول ألم حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"، وجاء عن غير واحد من الصحابة والتابعين أنّهم قالوا: من أنكر حرفاً من كتاب الله فقد كفر، فهم يُقرون أنّ كلام الله بحرف وصوت، لا يُماثل أصوات المخلوقين، ننفي أنّه مماثل لأصوات المخلوقين لأنّ الله تبارك وتعالى قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} أثبت لنفسه سمعاً وبصراً، ونفى أن يكون هذا السمع والبصر مماثلاً لسمع وبصر المخلوقين؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله تبارك وتعالى:

أنّه يتكلم حقيقة بحرف وصوت، وهذا أمرٌ متفق عليه بين أهل السنة؛ بل كان متفقاً عليه في بداية الإسلام إلى أن ظهرت الجهمية وبدأت تخوض بباطلها وفسادها وانتشرت فتنتهم، والله المستعان.

ثم بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله صفة الكلام؛ وهي من الصفات العظيمة التي تنازع فيها أهل السنة مع الجهمية وأهل الباطل الذين ينفون عن الله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء ومن صفات، فصفة الكلام من الصفات العظيمة التي حصل فيها الاختلاف وحصلت بسببها الفتن بين الناس في زمن المأمون وما بعده، ومسألة القرآن وهل هو كلام الله تبارك وتعالى أم أنّه مخلوق؛ هذه مسألة تابعة للمسألة التي سبقتها، فمن قال بأنّ الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته؛ لم يعد عنده إشكال في أنّ القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ومن قال بأنّه لا يتكلم حقيقة كما قالته الجهمية بجميع طوائفها من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية وغيرهم؛ يقولون القرآن مخلوق، سواء صرحوا بذلك أو لم يصرحوا، جميعهم في النهاية عندهم القرآن مخلوق، بعضهم ينفي أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم نهائياً، لا كلام نفسي ولا غيره، الأشاعرة يقولون يتكلم لأنّهم قد واجهتهم آيات وأحاديث كثيرة وما استطاعوا أن يردوها كما تجرأ على ذلك المعتزلة والجهمية ولكنّهم حرّفوها، كيف حرّفوها؟ قالوا: يتكلم كلاماً نفسياً ليس بحرف ولا صوت؛ أي:، كلام موجود في النفس لكنّه ليس حرفاً ولا صوتاً؛ يعني أنّه لا يتكلم، ولكن بطريقة ملتوية.

وأما أولئك الجهمية والمعتزلة قالوا: لا يتكلم وانتهى الأمر، وهؤلاء قالوا: لا؛ لا نريد أن نخالف القرآن والسنة صراحة مع كثرة الأدلة الواردة في ذلك؛ فنقول: يتكلم لكنّه كلام نفسي، يعني أيضاً أنّه لا يتكلم، وبناء على ذلك قالوا القرآن الذي بين أيدينا هذا ليس كلام الله، ماذا يصبح؟ يصبح مخلوقاً، يعني قريب من قول الذين قالوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} أولئك قالوا بأنّه مخلوق وهؤلاء قالوا بأنّه مخلوق.

هذه المسألة- مسألة أن القرآن مخلوق- أول ما بدأت انتشاراً؛ بدأت في عهد الإمام أحمد عندما لبّس بعض أهل الباطل من الجهمية على المأمون وكان أحد الخلفاء

العباسيين؛ فتبنى قولهم في ذلك، وأنّ القرآن مخلوق وبدأ يمتحن علماء المسلمين بهذا القول.

وهو قول محدث باطل، فعلماء المسلمين جميعاً كانوا على ضدّه وكانوا يحاربونه لكنه أخذهم بالسيف، فمن أقرَّ تركه، ومن لم يقر هدده بالقتل والجلد حتى يقر وإلّا قتله، كثير منهم أجاب من أجل أن يتخلص من السيف وتحت الإكراه وتأول لنفسه بأنّه مكره.

وأمّا الإمام أحمد ومحمد بن نوح فثبتا ولم يُقِرّا بما أراد المأمون؛ وذلك أنَّ الإمام أحمد ومحمد بن نوح رأيا أنّ الكلام في مثل هذا الموطن باطل ولا يجوز وليست لهم رخصة حتى تحت تهديد السيف؛ لماذا؟ لأنّه سيؤثر على دين الله سلباً، والناس ستضل بعد ذلك، ولا يستطيع كثير من الناس أن يفرق بين الإكراه وغير الإكراه؛ لذلك ثبت الإمام أحمد وثبت محمد بن نوح حتى قُتل محمد بن نوح ولكن الإمام أحمد رضي الله عنه ورحمه ثبت إلى أن خلّصه الله سبحانه وتعالى من شرّ هذه الطائفة ونجّاه ورفع الله سبحانه وتعالى ذِكره إلى يومنا هذا وإلى غد وبعد غد إن شاء الله؛ للموقف الذي اتخذه من الثبات على الحقّ حتى جعل الله سبحانه وتعالى نصرة الحقّ على يديه.

حتى قال بعض السلف بأنّ الله سبحانه وتعالى نصر دينه بأبي بكر يوم الردّة وبأحمد بن حنبل يوم الفتنة.

صبر وثبت ونصر اللهُ الحقّ على يديه حتى قيل في بعض الأخبار بأنّ الكثير من الناس كانوا ينتظرون ما يقوله أحمد حتى يكتبوا؛ القرآن مخلوق أم ليس بمخلوق، فثبت وناظر الجهمية وجادلهم وأقام الحجة عليهم بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وبقي على ذلك ونصر الله سبحانه وتعالى به الدّين وعقيدة المسلمين.

قال المؤلف رحمه الله: ({وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ})

هذه الآية دليلٌ واضح على أنّ القرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله، تكلم به حقيقة كيف يشاء سبحانه؛ فعقيدة أهل السنة والجماعة:

(أنّ القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود).

أنّ القرآن كلام الله: هذه الآية والآيات التي ستأتي دليلٌ على ذلك {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}.

منزل: سيأتي أيضاً الأدلة على تنزيله منها قوله تبارك وتعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}؛ فهو منزل من عند الله تبارك وتعالى.

غير مخلوق: لقول الله تبارك وتعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}؛ ففرّق الله تبارك وتعالى بين الخلق وبين الأمر، والأمر: القرآن، وكلّ ما جاء فيه فهو من أمر الله تبارك وتعالى، والخلق هي المخلوقات؛ ففرّق بين الخلق والأمر.

منه بدأ؛ أي: كلاماً له، أي: أنّ الله سبحانه وتعالى تكلم به، فبدأ من عنده.

وإليه يعود؛ أي: أنّه في آخر الزمان يرفعه الله تبارك وتعالى كما جاء في الحديث الصحيح: حتى لا يبقى منه شيء لا في الأوراق ولا في الصدور ولا في غيرها، فيرفعه الله سبحانه وتعالى إليه وهذا جاء في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

هذا الذي يعتقده أهل السنة والجماعة في القرآن الذي هو كلام الله تبارك وتعالى.

ثم قال المؤلف: ({وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ})

{وقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ} هنا ذهب المؤلف إلى أن كلام الله هو القرآن، وجعله الله سبحانه وتعالى كلاماً له؛ فهو صفة من صفاته تبارك وتعالى.

قال: ({يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ})

وهذا أيضاً فيه إضافة الكلام إلى الله تبارك وتعالى، وسمى القرآن كلامه تبارك وتعالى، فكلام الله الذي أرادوا تبديله هو ما جاء في القرآن.

قال: ({وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ})

أي: أضاف الله تبارك وتعالى الكتاب إليه؛ وقال: {مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ} فأضافه إلى نفسه لأنّه هو الذي تكلم به.

قال: ({إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ})

الشاهد قوله: {يَقُصُّ} فالقصص لا يكون إلّا قولاً؛ فهو كلام الله تبارك وتعالى.

انتهى المؤلف من الاستدلال على أنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى، وسيبدأ بالشطر الثاني، فيثبت أنّه منزل من عند الله.

قال: ({وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ})

إذن فهو منزل من عند الله تبارك وتعالى.

قال: ({لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ})

الشاهد فيه قوله: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ} فهو منزل؛ لكن على نبي الله تبارك وتعالى وللأمة أجمع.

قال: ({وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى

وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}

وقوله: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ}، الله سبحانه وتعالى نزَّل هذا القرآن من عنده.

وقوله: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ} أيضاً دليل على أنّ هذا القرآن منزّل تنزيلاً.
هذا ما يتعلق بمسألة القرآن وصفة الكلام، وكما ذكرنا هل القرآن مخلوق أم أنّه كلام الله؟ هذا راجع إلى إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، وهذه الصفة من الصفات العظيمة التي خالف فيها أهل الضلال، حتى قال بعض العلماء: إنّما سُمي أهل الكلام أهلَ كلام لأنّ أعظم ما خالفوا فيه مسألة كلام الله تبارك وتعالى، والبعض قال لكثرة تقريرهم مسائل الاعتقاد بالكلام وبالعقل.

وشبهتهم في هذه القضية، وغيرها من الصفات واحدة؛ وهي أنّ الحوادث لا تحلّ إلّا في الأجسام، والأجسام مخلوقة، وإذا أثبتنا هذه الحوادث- التي هي كلام الله سبحانه وتعالى وأفعاله- إذا أثبتناها لله؛ فنكون قد أثبتنا أنّ الله جسم، والجسم مخلوق؛ فيكون الله مخلوقاً.

هذه كلها لوازم، ومع أنّ هذه اللوازم لا أصل لها؛ إلّا أنّهم التزموها وبنوا عليها مذهبهم الفاسد؛ وهذا كلّه باطل طبعاً، ولا نُسلم أصلاً أنّ الكلام لا يكون إلّا في الأجسام والأجسام مخلوقة، هذا كلّه لا يسلم به؛ فكلام الله سبحانه وتعالى وكونه حادثاً- يسمونه حادثاً أو لا يسمونه حادثاً- ليس بمخلوق، ولا يعني كونه صفة لله أنّ الله تبارك وتعالى مخلوق، لا يلزم هذا البتة؛ لكن اضطرهم إلى هذا اللازم مقدمات ثانية طويلة الحديث.

قال المؤلف: **(وقوله:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ})**

انتقل إلى مسألة أخرى؛ وهي إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهذه أيضاً من الصفات العظيمة التي خالف فيها أهل الباطل أهلَ الحقّ مع أنّ أدلتها واضحة وصريحة؛ وهي رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أنّ المؤمنين يَرون ربهم يوم القيامة، وأنّه لا يَرى أحدٌ ربَّه في الدنيا، ولكن يوم القيامة المؤمنون يرون ربّهم، ويستدلون على ذلك بأدلة؛ منها ما ذكره المؤلف{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} أي: حسنة فيها نضرة، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}: أي: تنظر إلى الله تبارك وتعالى؛ وهذا الشاهد من الآية: أنّها إلى ربها ناظرة، أي: تنظر إلى الله تبارك وتعالى؛ ففيها إثبات رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

وقال: **({عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ})**

الأرائك: يعني السرائر والوسائد التي يتكؤون عليها، متكئين على سرائرهم ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى.

قال: **({لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ})**

هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله، من أين فسّرنا هذا التفسير؟

من حديث النبي ﷺ: أنّه ذكر الزيادة؛ فقال: هي النظر إلى وجه الله، فتفسير هذه الآية أُخذ من النبي ﷺ، فنثبت بهذه الآية مع الحديث أنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

قال: **({لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ})**

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا} أي في الجنّة، كلّ ما تشتهي أنفسهم يأخذونه وينالونه، {وَلَدَيْنَا

مَزِيدٌ} أي: مزيد على ما يشاؤونه؛ وهو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى؛ هو (المزيد) الذي سينالونه.

هذا بالنسبة للآيات التي تُثبت رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة والأحاديث كثيرة وستأتي إن شاء الله؛ منها قوله ﷺ: "إنّكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"، إنّكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون القمر، الآن الذين في المشرق والذين في المغرب كلّهم يرون القمر؛ أنتم سترون الله سبحانه وتعالى بهذه الطريقة، (ولا تضامَون في رؤيته) لا يحتاج أن ينضم بعضكم إلى بعض أو أن تتزاحموا لرؤيته؛ بل كلّ واحد سيرى الله سبحانه وتعالى من مكانه، وهذا الحديث واضح وصريح وهو متواتر ولا إشكال فيه، فكلّ هذه الأدلة تدلّ على رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

وقد نفاها أهل الباطل وتعلقوا بشبهات هي أوْهى من خيوط العنكبوت؛ منها: قول الله تبارك وتعالى لمّا طلب موسى أن يرى ربه: {لَنْ تَرَانِي} فتعلقوا بهذا، وقالوا: هنا قد نفى الله سبحانه وتعالى الرؤية عن نفسه، وهذا من باطلهم، وليؤكد الزمخشري الباطل الذي هو عليه والاعتقاد الذي اعتقده قال: (لن) في لغة العرب تفيد التأبيد.

ومعنى التأبيد؛ أي: إذا قال له لن تراني؛ فلن تكون هناك رؤية لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا ليُثبت عقيدته الفاسدة.

وردّ عليه ابن مالك وغيره من علماء اللغة وقالوا هذا الكلام باطل غير صحيح؛ (لن) تفيد نفي الشيء في وقته، ولا تفيد نفيه فيما بعد ذلك كما هاهنا في قوله تعالى: {لَنْ تَرَانِي} لمّا طلب موسى من الله الرؤية في الدنيا؛ قال له إنك لن تراني، أي: في الدنيا؛ أمّا في الآخرة فلم يتكلم معه في هذا الأمر.

فتفسير الآية على أنّه لن يراه أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ هذا تحكم وباطل، فموسى طلب الرؤية في لحظتها؛ فقال له لن تراني في تلك اللحظة.

طبعاً هم أنفسهم يعلمون أنّ مثل هذه الأدلة التي يذكرونها هي شبهات فقط وليست أدلة، هم مقرون بهذا ويعرفونه؛ لكن الذي اضطرهم إليه هي الشبهات الأساسية التي طرأت على عقولهم.

فإنهم لمّا شغَّلوا عقولهم ونفوا عن الله تبارك وتعالى الصفات، وقالوا يلزم كذا ويلزم كذا ويلزم كذا- وهي لوازم ما أنزل الله بها من سلطان- لمّا التزموا هذه اللوازم ووجدوا أنّ أدلة الكتاب والسنة تخالف هذه اللوازم؛ عندئذ صاروا يريدون أن يتخلصوا من أدلة الكتاب والسنة.

لأنّ القاعدة الأساسية عندهم أنّ العقل مقدم على النقل، فإذا أثبت العقل عندهم أو نفى؛ وُضِعَ النقل على جنب؛ فيلزم أن يُضعف ما جاء مخالفاً للعقل من الأدلة الشرعية، أو أن يُحرف؛ وهم يسمونه تأويلاً، أي: يُؤوَّل، هذه قاعدتهم، يقولون: إمّا أن يُضعف أو يُؤول، هذا الذي يفعلونه بأدلة الشريعة.

لأنّهم لمّا ضعفت مكانة القرآن والسنة في نفوسهم وما بقي لها ذاك الوزن، وصار عندهم العقل هو الضابط الأساسي في القضية؛ صار كلمّا جاءهم دليل من القرآن والسنة رموا به خلف ظهورهم، ومشوا بناء على باطلهم وعقولهم الفاسدة.

فمهما أتيتهم من دليل من الكتاب والسنة؛ يتلاعبون به.

وليس ذاك الكوثري عنا ببعيد عندما جاء عند حديث الجارية التي قال لها النبي ﷺ: "أين الله؟"، قالت: في السماء، قال: "اعتقها فإنّها مؤمنة"، ما جرأ على تضعيفه من هم مثله من القدامى؛ لكنّه لجرأته وقلة دينه تجرأ عل ذلك وضعّف الحديث، مع أنّ

الحديث متفق على صحته، لا يُخالف أحدٌ في تصحيح هذا الحديث، حتى الذين يُحرّفون الصفات ولا يُثبتون علوّ الله على خلقه؛ لا يُضعفونه لكنّهم يحرفونه، يؤولونه، أما هو فتجرأ وتطاول أكثر وضعّف الحديث نسأل الله السلامة والعافية، هذا ما يفعل الهوى بأصحابه وإلى هذا يجر العباد.

الشاهد من الموضوع: أن شبهتهم الأساسية هي هذه القضية؛ أنّ عقلهم هو الذي يحكم على الله؛ ما الذي يجوز في حقّ الله وما الذي لا يجوز في حقّه عزّ وجل، عقولهم هي الضابط وليس الشرع.

الله سبحانه وتعالى الذي يتحدث عن نفسه أعلم بحاله وأعلم بنفسه أم أنتم الذين لم تروه أعلم به؟ سبحان الله عجيبة هذه الجُرأة.

هذا ما يتعلق بإثبات أنّ القرآن كلام الله حقيقة.

قال المؤلف: **(وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ)**

يعني هذا الباب: إشارة إلى الأسماء والصفات، الأدلة التي تدلّ على إثبات صفات الله وأسمائه كثيرة جداً في القرآن وفي السنة؛ متواترة، فلا ينكرها إنسان عاقل، ثم يدّعون أنّهم أصحاب العقل وأصحاب الذكاء.

قال: **(وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ)**

لا شكّ في ذلك، من تجرد عن هواه وتخلى عن كلّ ما ركّبه فيه غيره من قواعد وضوابط لا أصل لها في الشرع، ونظر في القرآن بعين الإنصاف، ونظر في القرآن بتدبر وتأمل وتفكر، مع إخلاص لله تبارك وتعالى؛ لا بدّ أن يعرف الحقّ وأن يهتدي إليه.

قال: (وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى) أي: كان هذا قصده، ليس قصده أن يتلاعب بالقرآن وكلمّا جاءت آية تُخالف ما عنده حرّفها، وكلمّا جاءه حديث يُخالف ما عنده

ضعفه؛ لا يصلح هذا؛ يجب أن تنظر في القرآن بعدل وبطلب للهدى وتكون خالصاً في نيتك.

قال: (تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ) أمّا من نظر في القرآن وقد مُلأ عقله وذهنه بتخاريف المتكلمين؛ فهذا لن يهديه السبيل إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى أمراً.

هذا ما جاء في القرآن من مسائل الأسماء والصفات التي ذكرها المؤلف رحمه الله في كتابه، ثم سيذكر أحاديث النبي ﷺ التي تدلّ على صفات الله تبارك وتعالى.

انتهى المؤلف رحمه الله من ذكر الآيات التي حوت على أسماء الله وصفاته تبارك وتعالى.

وتقدم أنّ أهل السنة يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ في سنته، فبعدما ذكر المؤلف رحمه الله ما وصف الله به نفسه في كتابه؛ بدأ بذكر السنة وما وصف به نفسه في سنة النبي ﷺ.

فقال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)**

السنّة لغة: هي الطريقة، وفي الاصطلاح: تطلق على عدة معانٍ؛ منها:

ما يقابل البدعة، وهذا تجدونه في كتب الاعتقاد؛ ككتاب "السنة" للخلال، و"شرح السنة" للبربهاري، و"شرح السنة" للالكائي، وغيرها؛ فهذه الكتب وُضعت تُقرر مسائل الاعتقاد التي خالف فيها أهل البدع.

ومن معاني السنة: الشريعة، تطلق السنة ويُراد بها الشريعة بالكامل، كما قال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ"، "عليكم بسنتي" أي: بشريعتي.

وتُطلق بمعنى: المستحب، وهذا عند الفقهاء، يُطلقون السنة بمعنى المستحب؛ يقول لك هذا الفعل واجب، وهذا سنة؛ أي: مستحب.

ومنها: ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، فما أُضيف للنبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير؛ يُقال فيه سنة، وهذا المعنى الأخير هو المراد معنا هاهنا، أي: ما جاء عن النبي ﷺ من قول له أو فعل من أفعاله أو أقرَّ أحدَ أصحابه على فعل من الأفعال.

قال المؤلف: **(فَالسُّـنَّةُ تُفَسِّر القُرْآنَ وتُبَيِّنُهُ)**

أي: فالسنة بِهَذَا المَعْنَى الذِي ذَكَرْنَاه تفسر القرآن- فالتفسير: هو التوضيح-، وتُوضّح معنى الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، جاء عن النبي ﷺ أنّ الظلم هاهنا الشرك، ففسرت السُّنّة القرآن.

وكذلك قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} فسّرَ النبي ﷺ الزيادة هنا بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، والأمثلة كثيرة، فالسّنّة تُفسِّر القرآن وتُبيّنه، أي: تبين مجمله، كبيان كيفية الصلاة وكيفية الحجّ، جاء في كتاب الله أنّ الله تبارك وتعالى قال: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} فهذا أمرٌ بإقامة الصلاة؛ فكيف نصلي؟ علّمنا النبي ﷺ كيف نُصلي، فكان في فعل النبي ﷺ بياناً لمجمل الكتاب، وكذلك الحجّ، أمر الله تبارك وتعالى بالحجّ، ففعل النبي ﷺ ذلك وبيّن لنا كيفية الحجّ؛ فهذا بيان لأمرٍ مجملٍ.

قال: **(وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ)**

السّنّة تدلّ على ما في القرآن من معنى، فهي تُفسر وتبين وتوضح كتاب الله تبارك وتعالى وتعبر عنه؛ أي: تدلّ على المعنى الذي يدلّ عليه وتبين المراد منه؛ هذه سنة النبي ﷺ وهذه مكانتها.

قال: **(وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الايمَانُ بِهَا كَذَلِك)**

السّنّة: هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، فالله عز وجل قال: {أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وطاعة الرسول تكون باتباع سنته ﷺ، وطاعة الله تكون باتباع كتابه، وقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ومما جاءنا به النبي ﷺ سنته، وقال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}؛ فكلام النبي ﷺ وحيٌّ من الله.

وقال ﷺ: "لا أُلفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به ونهيت عنه، فيقول بيني وبينكم كتاب الله؛ ألّا إني أوتيت الكتاب ومثلَه معه"؛ يعني يحذر النبي ﷺ؛ يقول: لا أجدن من بعدي أقواماً يأتون ويجلس الواحد منهم على كنبته أو على سريره، ويتكئ على وسادته ويقول: بيني وبينكم كتاب الله؛ أي: أني لا آخذ بسنة النبي ﷺ، حذّر النبي ﷺ من مثل هذا؛ قال: "ألّا إني أوتيت الكتاب ومثلَه معه"، يعني: أوتيت القرآن وأوتيت السنة التي هي مثل القرآن؛ القرآن وحده لا يكفي، لابدّ من السنة معه؛ لذلك عندما تكفل الله تبارك وتعالى بحفظ كتابه حفظ معه سنة نبيه ﷺ؛ فكان الدين تاماً محفوظاً.

قال المؤلف هنا بناء على ما قدمنا: (ما وصف الرسول به ربّه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول) يعني: كلّ ما وصف النبيُ ﷺ به ربّه تبارك وتعالى في حديثٍ ورد عن النبي ﷺ، وهذا الحديث قد تلقاه أهل المعرفة الذين هم أهل الحديث، أخذوا هذا الحديث بالقبول؛ أي: قبلوه ولم يردّوه ولم يطعنوا فيه؛

وجب الإيمان به كذلك؛ وجب الإيمان بذاك الوصف الذي وصف الرسول ﷺ ربّه به؛ لماذا؟ لأنّه ثبت بحديث صحيح أنَّ النبي ﷺ قد وصف اللهَ تبارك وتعالى به، واللهُ تبارك وتعالى أوصافه لا تُعرف إلّا بوحي منه، وبما أنّ سنة النبي ﷺ وحيٌّ من الله؛ إذن فوجب الأخذ بما جاء به ﷺ؛ هذا منهج السلف، من غير تفريق في ذلك بين

متواتر وآحاد، ليست عندهم هذه الفلسفة، هذه الفلسفة جاءت من قبل أهل البدع، أهل الباطل.

انظروا إمام من أئمة السلف: إسحاق بن راهويه، كثير منكم يعرفه هو صاحب الإمام أحمد، دخل هذا الإمام على أمير من الأمراء يُقال له: ابن طاهر؛ فقال ابن طاهر لإسحاق بن راهويه مستنكراً: ما هذه الأحاديث؟ يروون أنّ الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ -يستنكر هذا الأمر بعدما سمع من ضلالات أهل البدع-؛ فقال له إسحاق بن راهويه: (نعم؛ رواها الثقات) انظر إلى هذه الكلمة: (رواها الثقات)؛ لم يقل له: متواترة ولا غيرها، فقط قال: رواها الثقات، يكفي قال: (نعم رواها الثقات الذين يروون أحاديث الأحكام) انظر كيف كان ردُّه؛ ماذا يعني؟ يعني: بما أنّك قبلت منهم دينك الذي تتعبد به ربّك تبارك وتعالى كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها؛ فلم لا تقبل منهم هذا؟ قال: (نعم رواها الثقات الذين يروون أحاديث الأحكام).

فقال ابن طاهر مسترسلاً ومستنكراً ومتعجباً: (ينزل ويدع عرشه؟!) انظر الآن تشغيل العقل في الموضوع، من أين جاء بكلمة: ينزل ويدع عرشه؟ جاء بها من القياس؛ قاس الله على عبده، فمثَّل، ثم أراد أن يفرَّ من التمثيل؛ فاستنكر هذه الصورة؛ وهذا أصل كلّ معطل، كلّ معطل في أصله ممثل، فأراد أن يفرَّ من التمثيل فوقع في التعطيل.

كلّ واحدٍ منهم عندما فكر في: آية إثبات صفة اليد، آية إثبات صفة الوجه، إثبات صفة الرجل؛ خطر في باله مباشرة رباً يُماثل المخلوقين، فاستنكر هذا واستعظمه في نفسه؛ فأراد أن يفرّ منه؛ ففرَّ إلى التعطيل.

وهذا كثيرٌ وصوره كثيرة في الناس، عندما يريدون أن يفروا من شيء خطأ؛ يفرون إلى ضده، انظروا إلى أحوال الناس اليوم، انظروا إلى الغرب؛ عندما أرادوا أن يفروا من ظلم النساء؛ فروا إلى تحريرهن من كلّ القيود، وكذلك عندما أرادوا أن يفروا من ظلم الحيوانات؛ فروا إلى الطرف الآخر... وهكذا، هكذا هم البشر إلّا من رحم ربي.

فالأمر المعتدل يأتيك من ربّ العالمين تبارك وتعالى.

هنا أهل السنة نظروا إلى كتاب الله تبارك وتعالى بعين الاعتدال والإنصاف فأخذوا بآية: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} بكلا طرفيها، فما أخذوا بطرفٍ وتركوا الآخر، المعطلة أخذوا بقوله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وتركوا: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} والمشبهة أخذوا بـ: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وتركوا: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وأهل السنة وسطٌ بين الطريفين، أخذوا بقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الآية واضحة؛ نَزِّهوا الله عن التمثيل، وأثبتوا ما أثبت لنفسه، وانتهى الأمر.

فقال ابن طاهر: (ينزل ويدع عرشه؟) انظر إلى الرّد؟ إلى الأصل السلفي، الأصل الذي تعلموه من أئمتهم وعلمائهم، إسحاق بن راهويه يُعدُّ من أتباع التابعين أو من بعدهم.

قال له إسحق بن راهويه: (يقدر أن ينزل من غير أن يخلوَ منه العرش؟) أسألك سؤالاً: هل الله سبحانه وتعالى قادر على النزول إلى السماء الدنيا من غير أن يخلو منه العرش أم لا؟ قال: (نعم، يقدر على ذلك) لأنّه قد استقر في نفسه أنّ الله على كل شيء قدي.

قال إسحق: (قلت: فلم تتكلم في هذا؟) مالك وهذه الفلسفة؟ أمرٌ لم يأتِ في كتاب الله ذكره ولا جاء في سنة النبي ﷺ ولا تكلم فيه أصحاب النبي ﷺ ولا من بعدهم، لماذا تذكره وتحشر أنفك فيه؟ قف حيث وقف القوم، ولا تزد، ينزل؛ ينزل، وجاء في

رواية أيضاً أنّه سأل إسحاق بن راهويه عن كيفية النزول، فقال له إسحاق: (أعزّ الله الأمير، لا يُقال كيف؛ إنّما ينزل بلا كيف) هذه الأصول السلفية، من أراد العقيدة بحقّ فليقرأ مثل هذه الآثار؛ يعرف منهج السلف، الكيف ما أُخبرنا به، أخبرنا الله أنّه ينزل وما أخبرنا كيف ينزل؛ إذن نسكت عن الكيف ونُثبت النزول.

قال المؤلف رحمه الله: **(مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ)**

أي ما هي هذه الصفات التي أخبر النبي ﷺ عنها في أحاديث صحيحة وجب علينا قبولها؟

قال: **(يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

هذا واضح، نُثبت بذلك أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كما يشاء وكيف يشاء ولا نزيد، ونقف إلى هنا.

قال المؤلف: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ..." الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

فيه إثبات صفة الفرح لله تبارك وتعالى؛ وهو فرح حقيقي يليق بجلاله وعظمته، ليس كفرحنا، نحن نفرح والله يفرح، ولكن فرح الله ليس كفرحنا؛ فرح الله يليق بعظمته وجلاله تبارك وتعالى، ليس كفرح المخلوقين.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: (يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

يضحك الله، فيه إثبات صفة الضحك لله تبارك وتعالى، والقول فيها كالقول في صفة

الفرح؛ ضحك يليق بجلال الله وعظمة الله لا كضحكنا، وهذا من الصفات الفعلية؛ يفعلها الله سبحانه وتعالى كيف يشاء ومتى شاء.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ" حَدِيثٌ حَسَنٌ)**

هذا الحديث فيه صفتان:

الأولى: صفة العَجَبِ؛ وهو استغراب الشيء، وهذا الاستغراب يحصل لأمرين:

الأول: خفاء الأسباب عن الشخص، فعندما يحصل الشيء؛ يستغربه لجهله بأسباب حصول هذا الشيء؛ وهذا منزّه الله تبارك وتعالى عنه لأنّه ناتج عن جهل.

والنوع الثاني: أن يكون السبب غير خفي، ولكنّه يُخرج الشيء عن نظائره؛ أي: عن أمثاله، كأن ترى طفلاً صغيراً يتكلم بكلام أكبر من سنّه، تستغرب وتضحك، أنت تعلم أنّه قادر على مثل هذا الكلام، ولكن الأطفال الذين من سنّه لا يتكلمون بهذا الكلام، فعندما يخرج منه هذا الكلام؛ تستغربه، لا لعدم علمك أنّه قادر عليه؛ ولكن لأنّ نظراءه -يعني الأطفال الذين في سنّه- لا يتكلمون بمثل هذا الكلام؛ فتستغرب، فهذا الاستغراب ليس ناتجاً عن جهل، هو ناتج عن علم- معروف هذا الشيء-؛ وهذا هو الذي نثبته لله تبارك وتعالى.

"عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ"، القنوط: اليأس الشديد، "وَقُرْبِ غِيَرِهِ"، مع قرب تغييره للحال، "يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ"، أي: واقعين في الشدّة، "قَنِطِينَ"، من القنوط وهو اليأس، "فيظلّ يضحك"، هذا فيه إثبات صفة الضحك لله كما تقدم،" يعلم أنّ فرجكم قريب".

ثم قال رحمه الله: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى، وَهِيَ تَقُولُ :هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ (وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ) فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ؛ فَتَقُولُ: قَط قَط". مُتَّفَقٌ عَلَيْه)**

ماذا يلقى في جهنم؟ يلقى فِيهَا النّاس والحجارة.
لا تزال: أي: ما زال الملائكة يأخذون البشر ويرمونهم في جهنّم ويرمون فيها الحجارة كي تزداد اشتعالاً- نسأل الله أن يجنبنا وإياكم شرّها-.

"وَهِيَ تَقُولُ :هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟" لا يملأها البشر ولا الحجارة، كلمّا ألقي فيها فوج قالت: هل من مزيد؟ يعني تطلب الزيادة.

("حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ (وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ) فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) يبقى يُرمى فيها البشر وتُرمى فيها الحجارة وهي تطلب المزيد والزيادة، حتى يضع ربّنا تبارك وتعالى رجله فيها؛ عندئذ تقول: قط قط؛ أي: حسبي وكافيني، خلص انتهى الأمر، وهذا فيه إثبات الرّجل والقدم لله تبارك وتعالى، الرِّجل بمعنى: القدم، جاء ذكر الرّجل في حديث أبي هريرة وهو متفق عليه، وفي رواية عنه عند البخاري: "قدمه"، وجاء ذكر "القدم" في حديث أنس متفق عليه.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "يَقُولُ الله تَعَالَى: يَا آدَمُ؟ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصوتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ..." مُتَّفقٌ عَلَيْهِ)**

(لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ) أي: إجابة بعد إجابة وإسعاداً بعد إسعاد،
(فَيُنَادِي بِصَوتٍ) فيه إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى؛ لأنّ النداء كلام،
و(بصوت) النداء أصلاً لا يكون إلّا بصوت؛ ولكنّه أكّده، ففيه زيادة تأكيد، فيه إثبات الكلام الحقيقي لله تبارك وتعالى الذي يكون بحرف وصوت، لا الكلام النفسي الذي

تثبته الأشاعرة، ذاك الكلام ليس كلاماً حقيقياً؛ الكلام الحقيقي الذي يكون بحرف وصوت.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ")**

هذا فيه إثبات الكلام؛ أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام حقيقي يسمعه المُكلَّم الذي كُلِّم، فسيُكلِّم اللّهُ تبارك وتعالى كلَّ واحدٍ منا؛ فيسمعُ كلامَ اللّهِ تبارك وتعالى، ليس بينه وبين الله من يترجم الكلام.

وهذا الحديث متفق عليه.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: "رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ". حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ)**

قوله: (حوبنا): يعني كبائر الذنوب.

قوله: (حديث حسن) ليس بحسن؛ بل هو حديث ضعيف أعلّه الذهبي في كتابه "العلوّ" براوٍ اسمه: زيادة بن محمد وهو منكر الحديث، قاله فيه البخاري رحمه الله والنسائي وأبو حاتم، ولم يُوّثقه معتبر؛ ولكنّ الله في السماء ثابت بأدلة كثيرة تقدمت وستأتي إن شاء الله، والشاهد الذي ذكر المؤلف الحديث هنا لأجله: هو إثبات أنّ الله في السماء، وقد تقدمت معنا آيات في ذلك وستأتي أحاديث بهذا المعنى إن شاء الله.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ" حَدِيثٌ صَحِيحٌ)**

هذا الحديث في الصحيحين، متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، والشاهد فيه

قوله: "وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ"، أي: أمين الله سبحانه وتعالى، فالله في السماء؛ أي: على السماء، أو في السماء بمعنى: في العلوّ.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ: "وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ". حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ)

الشاهد فيه: الله فوق العرش، والعرش فوق جميع المخلوقات، كما هو معلوم؛ ولكنّ هذا الحديث حديث ضعيف، ضعّفه الذهبي في كتاب العلوّ بـ: عبد الله بن عُميرة، وهو حديث الأوعال.

قال المؤلف رحمه الله: (وَقَوْلُهُ ﷺ لِلْجَارِيَةِ: "أَيْنَ اللهُ؟" قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: "مَنْ أَنَا؟". قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: "أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

لمّا كان المشركون يعبدون أوثاناً كثيرة على الأرض ويعبدون الله أيضاً أراد أن يَعلَم النبيُ ﷺ إيمان هذه المرأة ويختبرها؛ تعبد من؟ الذي في السماء أم الذي في الأرض؟ فقال لها: "أين الله؟"، الذي تعبدينه وتتقربين إليه؟ قالت: في السماء، ففرّقت ما بين من هو في الأرض ومن هو في السماء؛ فأثبتت علوّ الله تبارك وتعالى بذلك، وهذا من السنن التقريرية، هذا معنى التقرير؛ أن يقول الصحابي شيئاً في حضرته ويسكت النبيُ ﷺ عنه، هذه سنة ثابتة وحجّة شرعية، وهنا أقرّها النبي ﷺ وأثبت لها الإيمان بذلك؛ إذن: فالله في السماء وهو حديث صحيح لا إشكال فيه؛ لذلك كان شوكة في حلوق أهل البدع، فتطاول عليه بعض من لا يتق الله سبحانه وتعالى ولا يخافه بالتضعيف، وكثير منهم تطاولوا عليه بالتحريف. والله المستعان.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ: "أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ". حديث حسن)

انتهى من علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه وبدأ يذكر المعيّة- معيّة الله تبارك وتعالى- ولا تعارض بين الأمرين؛ الله عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه وهو معنا بعلمه،

بحفظه، بسمعه، ببصره، هو معنا بذلك؛ أمّا هو بذاته فهو عالٍ على خلقه.

قال: (أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْت) أي: أينما كنت؛ فاللهُ سبحانه وتعالى معك، معك بحفظه، معك بعلمه، يسمع ويرى {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}.

هذا الحديث أخرجه الطبراني في "الأوسط" وهو ضعيف، في سنده محمد بن مهاجر، قال المُنَاوي: (فإن كان القرشي؛ فقال البخاري: لا يُتابع على حديثه، أو الراوي عن وكيع فكذّبه جزرة، كما في "الضعفاء" للذهبي) يعني: هو أحد رجلين: إمّا أن يكون القرشي؛ فهذا قال فيه البخاري: لا يُتابع على حديثه، أو أن يكون الذي يروي عن وكيع؛ وهذا قد كذبه صالح جزرة، كما في "الضعفاء" للذهبي؛ فالحديث لا يثبت.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

الشاهد قوله: "فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ"، ولا يلزم من ذلك أن يكون على الأرض، فأنت عندما تكون متجهاً إلى القمر وتصلي؛ فهذا القمر في العلوّ ويكون قبل وجهك.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ "اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ". رواه مسلم)**

الشاهد: في ذلك قوله: (أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ)، (وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ)، (وَأَنْتَ الظَّاهِرُ)، (وَأَنْتَ الْبَاطِنُ)؛ وقد تقدم تفسير ذلك كلّه عند تفسير الآية التي ورد فيها ذكر هذه الأسماء.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: "أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

"أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ" يعني: ارفقوا بأنفسكم وهوّنوا عليكم وخففوا من رفع أصواتكم؛ "فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا" عندما كانوا يرفعون أصواتهم بالذكر؛ قال: الذي تدعونه وتذكرونه قريب منكم لا يحتاج منكم إلى رفع الصوت بالشكل الذي أنتم عليه؛ فهو ليس بأصمّ ولا غائباً، ففي هذا الحديث صفات سلبية قد نفاها النبي ﷺ عن ربّنا تبارك وتعالى؛ نفى عنه الصمم ونفى عنه الغياب؛ فهو ليس بأصمّ لكمال سمعه، وليس بغائب لكمال علمه وقربه، "إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا" فهو معكم بسمعه وبصره، "إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ" فهو قريب جداً بسمعه وبصره، فيسمعكم ويبصركم ويعلم ماذا تفعلون.

قال: **(وقَوْلُهُ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

هذا تأكيد من النبي ﷺ أنّكم أيّها المؤمنون سترون ربّكم يوم القيامة، ومثّل هذه الرؤية برؤية القمر ليلة البدر؛ فالتمثيل للرؤية بالرؤية وليست للمرئي بالمرئي، ليست تمثيل القمر بالله سبحانه وتعالى أو تمثيل الله بالقمر؛ لا؛ وإنّما كيفية الرؤية، كيف سنرى الله سبحانه وتعالى جميعنا ونحن بهذا الجمع الكبير؟ قال" :إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ"، انظروا القمر ليلة البدر؛ من هو في المشرق يراه ومن هو في المغرب يراه من غير أن تحتاجوا إلى مزاحمة، لا ينضم بعضكم إلى بعض وتتزاحموا لرؤيته.

ففي الحديث إثبات رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، والأحاديث في ذلك متواترة، وخالف فيها أهل البدع والضلال فحرفوها.

قال المؤلف رحمه الله: **(إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رِسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ)**

قلنا هذه التسمية مأخوذة من قول النبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة"؛ فهذه الفرقة هي الناجية، هي التي نجت، من هي هذه الفرقة؟

ما كانت على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

قال: **(أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)**

هي واحدة، تسمية واحدة؛ الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، هم الطائفة المنصورة؛ كلّها تسميات لشيء واحد، أهل السنة أي: الذين اتبعوا سنة النبي ﷺ، وأهل الجماعة الذين اجتمعوا على الحقّ، اجتمعوا على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، فليس لهذا الاسم نصيب لمن خالف السنة وخرج عن الجماعة؛ وإنّما النصيب لمن تمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وبقي مع جماعة المسلمين الذين هم أصحاب النبي ﷺ.

فعلى ذلك لا يُقال بأنّ الأشاعرة من أهل السنة؛ لأنّهم يُقدمون العقل على السنة، لا يُقدمون السنّة على العقل.

ولا يُقال بأنّ الإخوان المسلمين من أهل السنة؛ لأنّ الإخوان يُقدمون الهوى مع العقل على الكتاب والسنة، انظروا إلى دينهم وانظروا إلى أحوالهم، لا يرفعون رأساً لا بكتاب ولا بسنة، عندما تأتيهم حتى الأوامر من قبل الله تبارك وتعالى ومن قبل رسوله ﷺ؛

يحاولون أن يأخذوا بأسهل الأقوال من أقوال الفقهاء؛ حتى وإن خالفت الأدلة الشرعية من أجل أن يتخلصوا من الحكم الشرعي ولكن باسم الدين؛ هذا هو دينهم، غايتهم من وراء لبس ثوب الدين هو الوصول إلى الحكم والكرسي، تعال انظر إليهم في نشر السنة، في نشر التوحيد، في محاربة الشرك، في محاربة البدعة؛ لا تجد لهم نشاطاً في هذا، ولا تجد لهم عملاً.

ما هو دين الله؟ دين الله توحيد وسنة وطاعة، وضده شرك وبدعة ومعصية، فإذا لم يشتغلوا بالتوحيد ولا بالسنة ولا بتعليم الناس الطاعات ولا اشتغلوا بتحذير الناس مما يضادها من الباطل؛ فأيّ دين هذا؟ إشغال الناس بقال الزعيم الفلاني وقال القائد الفلاني، وجمع الشباب حولهم والتدريبات وما شابه؛ أهذا دين؟ هذه سياسة، وحرص على الكراسي، ثم يأتي مخذول جاهل مِن الذين عرفوهم ويقول لك: الإخوان من أهل السنة والجماع.

قال: **(يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ)**

الطائفة المنصورة والفرقة الناجية وأهل السنة؛ هؤلاء واحد، يؤمنون بذلك؛ يؤمنون بكلّ الأحاديث التي تقدمت معنا.

قال: **(كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ)**

لا يُفرقون بين هذا وهذا، فكلّه يؤمنون به، لا يضعون سنة النبي ﷺ على ميزان عقولهم الخَرِبَة كما يفعل العقلانيون من الإخوان وغيرهم، الكثير من العقلانيين في صفوف الإخوان، كما قال أحد الدكاترة من الإخوان -عندنا هاهنا- عندما ذكر له حديث الذبابة؛ قال: (ألق به من النافذة) وكان في السيارة، قالوا له: إنّ الغرب أثبت ما قيل في الحديث، قال: (الآن نقبله)، أهذا دين؟ هؤلاء أهل سنة؟ نعوذ بالله منهم

ومما يقولون.

قال: **(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ)**

وقد تقدم شرح ذلك كلّه.

ثم قال: **(بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ[1]؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ)**

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} فكانت هذه الأمّة- أمّة الإسلام- أمّة معتدلة جاءت بين الأمم الأخرى، وكذلك أهل السنة والجماعة هم وسط ما بين فرق الغلوّ وفرق التقصير في عدّة أبواب من أبواب الاعتقاد؛ فقال المؤلف رحمه الله:

(فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفاتِ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ)

فأهل السنة والجماعة سلكوا في مسألة صفات الله تبارك وتعالى مسلك الاعتدال والتوسط ما بين الغلوّ والتقصير، وخالفوا بذلك فرقتي الجهمية والمشبهة.

الفرقة الأولى- وهي الجهمية- تُطلق بمعنيين:

الجهمية بالمعنى العام، والجهمية بالمعنى الخاص.

الجهمية بالمعنى العام: يشمل كلّ معطل عطّل صفات الله تبارك وتعالى ولم يثبتها كما أثبتها الله لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ؛ فيُقال له: جهمي، وهذا يشمل المعتزلة والأشاعرة والجهمية بالمعنى الخاص والماتريدية وغيرهم؛ فهذا المعنى معنى عام.

وبالمعنى الخاص: تطلق الجهمية على فرقة خاصة، وهي فرقة من فرق أهل التعطيل وهم أتباع الجهم بن صفوان- الذي قتله سالم بن أحوز سنة ١٢١ هـ- وذلك لتعطيله

---

[1]- في نسخة شرح الشيخ ابن عثيمين: (الأمة)

لأسماء الله وصفاته، فحقيقة قول هؤلاء القوم أنّهم ينفون وجود الله تبارك وتعالى، فلا يثبتون إلّا وجوداً مجرداً عن الأسماء والصفات، وهذا الوجود موجود في الذهن فقط لكن في الحقيقة لا وجود له، هذه الطائفة من الذين ينفون عن الله تبارك وتعالى الأسماء والصفات فلا يثبتون له اسماً ولا يثبتون له وصفاً؛ فلذلك كفّرهم العلماء، كفّرهم أكثر من ستين عالماً من علماء الإسلام، هؤلاء غلوا في التعطيل حتى وصلوا إلى هذا الحدّ؛ فعطّلوا صفات الله تبارك وتعالى، وعطّلوا أسماء الله تبارك وتعالى، وهذه الفرقة لها عدّة ضلالات.

ضلالهم ليس فقط في باب الأسماء والصفات؛ بل وفي القدر أيضاً وفي الإيمان وغيرها من المسائل العقائدية التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة؛ هؤلاء هم المعطلة.

فمعنى المعطلة: أنّهم عطّلوا الله تبارك وتعالى عن أسمائه وصفاته فنفوها عنه ولم يثبتوها له.

والمقصود من كلام المؤلف رحمه الله بالجهمية في هذا الموطن: هو المعنى العام الذي يَشمل هذه الطائفة الذين هم أتباع الجهم بن صفوان ويَشمل أيضاً:
المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء وكان من تلاميذ الحسن البصري ويُجالسه، ثم لمّا مرّت مسألة فُسّاق المسلمين؛ اعتزل مجلس الحسن البصري وقال: هم في منزلة بين المنزلتين وحكم عليهم بالخلود في نار جهنم.

وفي مسألة الأسماء والصفات أثبتوا أسماء الله تبارك وتعالى ولكنّهم نفوّا الصّفات، فهم أحسن حالاً من الجهمية الذين هم أتباع الجهم بن صفوان؛ فأولئك نفوّا الأسماء والصفات، وأما هؤلاء فلم ينفوها؛ بل أثبتوا الأسماء ولكنّهم نفوّا الصّفات، وهؤلاء أيضاً لهم أنواع من الضلالات الأخرى في القدر وفي الإيمان وفي غير ذلك.

والفرقة الثالثة التي دخلت في التعطيل وهي داخلة أيضاً في المعنى العام للجهمية: الأشاعرة: أتباع أبي الحسن الأشعري، ففي بداية الأمر هو الذي أنشأ هذا المذهب وكان على عقيدة الاعتزال قبل الأربعين، ثم بعد ذلك أعلن توبته من الاعتزال وكوّن مذهباً خاصاً به، كثير منه مأخوذ من مذهب الماتريدية، كوّن هذا المذهب وصار أصحابه ينتسبون إليه ويُسمّون بالأشاعرة وهم أيضاً معطلة؛ لكنّهم أحسن حالاً من المعتزلة، فهم يثبتون الأسماء ويثبتون سبع صفات هي:

الحياة، والعلم، والقدرة، والكلام، والإرادة، والسمع، والبصر.

لكنّ الكلام الذي يثبتونه ليس كالكلام الذي يثبته أهل السنة؛ إنما يُثبتون الكلام النفسي، يعني هو ليس بكلام ولكن يُثبتون كلاماً نفسياً، فهم يخالفون المعتزلة في ذلك، المعتزلة لا يثبتون كلاماً أصلاً وكذلك الجهمية، والأشاعرة فيُثبتون كلاماً نفسياً، أمّا أهل السنة والجماعة؛ فيُثبتون كلاماً حقيقياً بحرفٍ وصوتٍ يليق بجلال الله وعظمته.

فهؤلاء كلّهم يُطلق عليهم معطلة؛ لأنّهم جميعاً قد عطّلوا إمّا بعض صفات الله أو جميع صفات الله أو جميع الصّفات والأسماء؛ هذه حقائق القوم، فهم غلاة في مسألة التعطيل.

ويُقابلهم: المشبهة: هؤلاء أهل التمثيل الذين يقولون بأنّ الله تبارك وتعالى له صفات كما ذكر في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، وصفاته تُماثل صفاتنا؛ فيقولون: له يد كأيدينا، له سمع كسمعنا، له بصر كبصرنا، وهؤلاء انتقلوا من الإفراط إلى التفريط.

وأما أهل السنة والجماعة فقد جمعوا بين ما ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم، أولئك بعضهم أخذ بجانب وترك جانباً، والبعض الآخر أخذ بالجانب الثاني وترك الجانب الأول من قول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}؛ فالله

سبحانه وتعالى نفى المثلية عن نفسه وأثبت لنفسه السمع والبصر، فعندنا نفي وإثبات، بعض هؤلاء أخذوا بالنفي وهم المعطلة وغلوّا فيه حتى نفوّا عن الله ما أثبت لنفسه، والقسم الثاني أخذوا بالإثبات وتركوا النفي حتى أثبتوا لله تبارك وتعالى ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه من المثلية، أمّا أهل السنة والجماعة؛ فتوسَّطوا في هذا الأمر وأخذوا بما نصّ الله تبارك وتعالى عليه في كتابه الكريم في الشطرين: النفي والإثبات، فأثبتوا لله سمعاً وبصراً كما قال في كتابه، ونفوّا عنه التمثيل كما قال في كتابه؛ فكانت هي الطائفة المعتدلة بين هاتين الطائفتين.

ثم قال رحمه الله: **(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تعالى بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَ الْجَبْرِيَّةِ)**

هذه المسألة هي مسألة القدر، أهل السنة والجماعة في مسألة قدر الله تبارك وتعالى وسطٌ أيضاً بين فرقتين؛ بين فرقة القدرية وفرقة الجبرية، فأهل السنة والجماعة في هذا الباب أثبتوا أنّ الله تبارك وتعالى عَلِمَ الأشياء قبل كونها، وأنّه خالق كلِّ شيءٍ، وأنّه كتب كلّ شيءٍ، وأنّه شاء كلّ شيءٍ، وأيضاً أثبتوا أنّ للعبد فعلاً حقيقياً وله إرادة ومشيئة حقيقية، فهو يشاء ولكنّ مشيئته تابعة لمشيئة الله تبارك وتعالى {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}؛ فجمعوا بين هذا وهذا؛ يعني أنّهم أثبتوا لله تبارك وتعالى فعله وأثبتوا له تقديره وأثبتوا له علمه وخلقه، وأثبتوا أيضاً في نفس الوقت للعبد قدرة ومشيئة وفعلاً؛ ولكنّهم يقولون: بأنّ مشيئة العبد لا تخرج عن مشيئة الله تبارك وتعالى؛ فأهل السنة وسط ما بين:

القدرية الذين هم فرقتان:

فرقة منهم غلاة؛ نفوّا عن الله تبارك وتعالى أن يعلم أفعال العباد قبل كونها أصلاً؛ فالعبد إذا أراد أن يعصي، هؤلاء ينفون عن الله تبارك وتعالى أن يكون قد عَلِمَ بمعصية العبد قبل أن يفعلها، وإذا أراد العبد أن يُطيع؛ ينفون عن الله تبارك وتعالى العلم بطاعة

العبد قبل فعله؛ فهؤلاء ينفون عن الله العلم، وقد حكم بكفرهم علماء الإسلام؛ كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم منهم الإمام الشافعي رحمه الله؛ قال: جادلوا القدرية بالعلم فإن نفوّا كفروا وإن أثبتوا خُصموا؛ هذه الفرقة الأولى وهي فرقة الغلاة من القدرية.

أمّا الفرقة الثانية؛ وهم الذين أثبتوا عِلْمَ الله تبارك وتعالى؛ ولكنّهم قالوا: إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق أفعال العباد؛ يقولون العبد هو يخلق فعله، ويُوجد فعله، فأثبتوا خالقاً مع الله تبارك وتعالى؛ أرادوا من ذلك أن يفروا من مسألة الجبر، قالوا: كي لا نقع في القول بأنّ الله سبحانه وتعالى قد ظلم العباد، خلقهم وأمرهم ونهاهم ثم بعد ذلك يُجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم على ذلك؛ قالوا: لا، إذن هو لا يخلق أفعال العباد، والعبد هو يفعل الفعل باختياره الكامل ومشيئته التامة التي ليست لها علاقة بمشيئة الله تبارك وتعالى البتة، وهذا لتصوِّرهم أنّ العبد مُكرّه ومجبور على فعله، فأرادوا أن يفروا من ذلك-أي القول بالجبر- إلى ذاك إلى إثبات خالق مع الله؛ وهذه هي الفرقة الثانية من فرق القدرية.

أمّا الفرقة التي تقابل القدرية وهم:

الجبرية: وهؤلاء قالوا بأنّ العبد مجبور على فعله، ليس له اختيار، ليست له إرادة، هو مجبور على أفعاله، وأفعاله هي بمنزلة حركة أوراق الشجر في مهبّ الريح، أوراق الشجر لمّا تأتيها الريح تضربها يمنة ويسرة ليس لها اختيار، وإنّما تتحرك على حسب ما تُحرّكها الريح؛ قالوا: كذلك العبد يفعل به الله تبارك وتعالى، فهو ليست له اختيار وليست له إرادة، وقالوا الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد.

وهذا باطل وذاك باطل.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك: أنّ الله سبحانه وتعالى عَلِمَ الأشياء قبل كونها، وأنّه أرادها، وأنّه سبحانه كتبها، وأنّه خلقها؛ هذا كلّه من عقيدة أهل السنة والجماعة.

يثبتون للعبد إرادة وقدرة خلقها الله تبارك وتعالى له؛ فهو يفعل بإرادته وقدرته التي هي مخلوقة لله تبارك وتعالى، فله اختيار وله مشيئة ويفعل بإرادته، فيستطيع أن يفعل المعصية وأن يمتنع عن المعصية؛ لكنّ الإرادة والقدرة التي يكون بها الفعل هي من خلق الله تبارك وتعالى؛ لكنّ العبد يُفرّق في نفسه بين ما هو مضطر إليه مجبرٌ عليه وبين ما هو مختار فيه، فنحن نعلم أن الأعمال التي نُضطر إليها ونفعلها من غير اختيارنا، ربّنا سبحانه وتعالى لا يُحاسبنا عليها هذه؛ بينما يُحاسبنا على ما نفعله باختيارنا؛ بإرادتنا وقدرتنا، وهذا الذي يُحاسبنا عليه، لكن إذا وقع علينا أمرٌ من غير اختيارنا ومن غير قدرتنا عليه؛ فهذا لا يُعذبنا الله سبحانه وتعالى عليه، يعني الإنسان عندما يجوع أو عندما يشبع، يُدخل على نفسه ألماً، أو يُدخل على نفسه مضرّة عندما يقطع يده أو يقطع رجله، يُحاسَب إذا فعل ذلك هو بنفسه، إذا نزل عليه الأمر بقدر الله سبحانه وتعالى وهو لا يُريده؛ لا يُحاسِبه الله سبحانه وتعالى عليه، لماذا حاسبه على هذا ولم يحاسبه على هذا؟ لأنّ المكره عليه ليست له إرادة فيه؛ فلا يعاقبه الله سبحانه وتعالى عليه، أمّا الذي فعله بإرادته وقدرته؛ فهذا يحاسبه الله عليه، دلّ ذلك على أنّه غير مكره على فعل المعصية؛ هذا هو الذي يقوله أهل السنة والجماعة في ذلك، لا شكّ أنّ العبد إذا أراد أن يَعصي؛ فالله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يمنعه من المعصية، وإذا أراد أن يُطيع؛ فالله قادرٌ على أن يمنعه من الطاعة، ولكنّ الله سبحانه وتعالى لا يفعل به ذلك، إذا أراد العبد الطاعة لله تبارك وتعالى والقرب لله سبحانه وتعالى أعانه الله

على ذلك؛ هذه مسألة القدرية والجبرية، فأهل السنة وسط في أفعال الله تبارك وتعالى ما بين القدرية والجبرية.

قال رحمه الله: **(وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ والْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغيْرِهِمْ)**

في باب وعيد الله، يعني: في باب الحكم على الأشخاص، الباب الذي يُسميه العلماء بباب الإيمان والأسماء والأحكام، هذا الجزء في الحكم على الشخص، يعني: فاعل الكبيرة أو فاعل الذنب؛ ما حكمه؟

أهل السنة والجماعة يقولون: بما أنّ فعله ليس كفراً؛ فهو فاسق بذنبه مؤمن بإيمانه؛ فيجمعون له وصف الإيمان ووصف الفسق، أمّا غيرهم من المرجئة والخوارج وغيرهم؛ فهؤلاء يحكمون عليه بحكم آخر:

المرجئة: هم الذين أرجأوا الأعمال عن الإيمان، ومعنى الإرجاء: التأخير، جميع فرق المرجئة وجميع طوائفهم، عقيدتهم: أنّ أعمال الجوارح ليست من الإيمان؛ تجتمع المرجئة كلّها في هذا الجانب؛ أعمال الجوارح ليست من الإيمان، فيخرجونها عن الإيمان، ثم بعد ذلك يختلفون في تعريف الإيمان:

بعضهم يقول: هو التصديق فقط، وبعضهم يقول: المعرفة، وبعضهم يقول: الكلمة، وبعضهم يقول: التصديق مع القول؛ يختلفون في ذلك إلّا أنّهم كلّهم متفقون على أنّ أعمال الجوارح ليست داخلة في الإيمان؛ فيعتقدون أنّ من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصدّق بقلبه أنّه مؤمن كاملُ الإيمان؛ هذه عقيدة المرجئة.

فعندهم أن من ارتكب ذنباً هذا يبقى مؤمناً كامل الإيمان، من زنا، أو سرق؛ هذا يبقى مؤمناً كامل الإيمان لا يستحق دخول النّار لا دخولاً مؤبداً ولا مؤقتاً؛ فلا يضرّ عندهم مع الإيمان معصية مهما كانت.

وأمّا الجانب الآخر وهم: الوعيدية: غلّبوا جانب الوعيد وقالوا: أيّ كبيرة يفعلها الإنسان ولم يتب منها؛ فإنّه مخلدٌ في النار، إن سرق فهو كافر مخلد في نار جهنم، إن زنى فهو كافر مخلد في نار جهنم؛ وهكذا.

وهذه طريقة المعتزلة والخوارج؛ المعتزلة والخوارج يحكمون على صاحب الذنب بالخلود في نار جهنم، وأما في الدنيا فالخوارج يسمونه كافراً، والمعتزلة يقولون هو في منزلة بين المنزلتين، والمرجئة عندهم هو مؤمن كاملُ الإيمان ولا يدخل النّار أصلاً.

أما أهل السنة والجماعة؛ فيقولون المُذنِب- الزاني والسارق وما شابه- هذا مؤمن ناقصُ الإيمان، وهو يوم القيامة -إذا لم يتب- أمره إلى الله إن شاء عذَّبه بِقَدْرِ ذنبه وإن شاء عفا عنه؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الفاسق.

أمّا المرجئة والخوارج فقد خالفوا في هذه المسألة؛ هذا بالنسبة للحكم في الآخرة؛ معنى الأسماء والأحكام: الأحكام في الآخرة، أهل السنة بالنسبة للفاسق في الآخرة هو تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه، وفي النهاية هو من أهل الجنّة لا يُخلّد في نار جهنم، المرجئة يقولون: لا يدخل النّار من أصله، هو يدخل الجنّة مباشرة، الخوارج والمعتزلة يقولون: هو مخلد في نار جهنم.

من هم الخوارج؟ الخوارج هم: الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب يوم التحكيم؛ يوم أن حكّم رجالاً بينه وبين معاوية بن أبي سفيان؛ فقالوا: تُحكّم الرجال وتترك القرآن؛ فخرجوا على عليّ بن أبي طالب في ذلك الوقت وكان منهم من قَتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

صفتهم التي بها يمتازون: أنهم يُكفّرون المسلمين ويستبيحون دماءهم، هذه صفتهم، تكفير المسلمين واستباحة دمائهم، خطرهم وضررهم وفسادهم في استباحة دماء

المسلمين، ففسادهم عريض، من أعظم مقاصد الشريعة حفظ دمّ المسلم، فجاء هؤلاء وهدموا هذا الأصل العظيم من أصول مقاصد الشريعة حفظ دماء المسلمين، فخطرهم عظيم، قريب- وإن كان أقلّ- من خطر الرافضة الذين سيأتي ذكرهم، ومن أعظم فرقهم الموجودة اليوم هؤلاء الذين يُسمّون بـ: جبهة النصرة في سورية، وكذلك جماعة القاعدة، وجماعة السلفية الجهادية-كما يسمون أنفسهم-؛ كلّهم يحملون هذه الأفكار؛ أفكار تكفير المسلمين واستباحة دماء المسلمين، فلا بدّ من الحذر من هؤلاء القوم؛ فخطرهم عظيم على المسلمين.

قال: **(وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ)**

في باب الأسماء والدين؛ الأسماء التي تطلق على الفاسق، فعندنا بابين:
باب الأسماء، وباب الأحكام.
هنا صاحب الكبيرة ماذا نسميه؟ مؤمن أم كافر؟ هناك في الأحكام؛ ماذا نحكم عليه، في النّار أم في الجنّة؟ هذا الفرق بين البابين؛ فهنا القسمة ثنائية: الحرورية والمعتزلة في جانب، والمرجئة والجهمية في جانب آخر، وأهل السنة جاؤوا وسطاً بينهم.
الحرورية: هم الخوارج، سموّا بذلك نسبة إلى حروراء، منطقة في العراق أول ما خرجوا خرجوا من ذاك المكان؛ فسموّا بالحرورية، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت للمرأة: (أحرورية أنتِ؟) يعني: هل أنتِ من الخوارج؟ وأعظم صفتهم هي التكفير وسفك الدّم.
والمعتزلة كما ذكرنا في مسألة الأحكام يحكمون على الفاسق -مرتكب الكبيرة- أنّه مخلد في نار جهنم، أمّا من حيث الاسم؛ فيقولون هو في منزلة بين المنزلتين.

قال: (وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ)

الجهمية: هم الذين قالوا بأنّ الإيمان هو المعرفة، هم الذين تقدموا معنا وذكرنا قولهم في

باب الأسماء والصفات، أمّا في باب الإيمان فهم من أشد أنواع المرجئة، هؤلاء الذين يقولون: الإيمان المعرفة، مجرد ما عرف صار مؤمناً، انتهى عندهم، لا يشترطون له شرطاً آخر.

والمرجئة: هم الذين يقولون: الإيمان التصديق، وهذا قول جمهور المرجئة، يقولون: الإيمان التصديق، فمن صدّق بقلبه عندهم؛ فهو مؤمن ولو لم ينطق بلسانه ولم يعمل بجوارحه.

والمرجئة الثالثة: هم مرجئة الفقهاء؛ وهؤلاء الذين قالوا: الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان.

والمرجئة الرابعة: هم مرجئة الكرامية؛ وهم الذين قالوا: الإيمان هو نطق باللسان فقط، من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فهو مؤمن.

هذه فرق المرجئة، وكما ترون جميع الفرق هذه تجتمع في كون أعمال الجوارح ليست من الإيمان.

وأهل السنة وسط بين الطرفين، الفاسق- مرتكب الكبيرة- يُسمونه فاسقاً أو مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته؛ فهو عندهم مؤمن ولكنّه ناقص الإيمان، فأهل السنة والجماعة يعتقدون أنّ الإيمان يتبعض، أي: ينقص ويزيد، ويستدلون بآيات وأحاديث عن النبي ﷺ في ذلك.

أمّا الأصل الذي اتفق عليه المرجئة والخوارج فهو أنّ الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، فإذا نقص ذهب كلّه؛ هذا عندهم جميعاً، لكنّ الفرق بينهم: أنّ الخوارج والمعتزلة يُدخلون أعمال الجوارح في الإيمان لكنّهم يقولون إذا ذهب عمل من هذه الأعمال وصار الشخص مرتكباً لكبيرة بذلك؛ فإنّه يكفر أو يكون في منزلة بين المنزلتين.

أمّا المرجئة فيقولون: لا، الأعمال ليست من الإيمان، ولذلك إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصدّق بقلبه فهو كامل الإيمان؛ أتى بالإيمان كله، هذا الأصل الذي اجتمعوا عليه وبناءً على ذلك وقعوا في أنواع الضلال.

فعندهم جميعاً: الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كلّه؛ هذا أصلهم، وأهل السنة والجماعة عندهم الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وكلّنا يجد هذا من نفسه، ما ينكره إلّا جاحد، كلّنا يجد هذا؛ أنّه في بعض الأوقات يجد من إيمانه الشيء المرتفع، وهو يجد من نفسه أنّه أقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وفي بعض الأوقات يجد في نفسه فتوراً وضعفاً، يشعر بهذا الإيمان في قلبه، فينكرون أمراً محسوساً، ليست الأدلة الشرعية فقط التي دلّت عليه؛ بل حتى الحس هو أمر محسوس.

قال: **(وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّوافِضِ وَ الْخَوَارِجِ)**

الظاهر أنّ المؤلف هنا يُريد بالأصحاب: أصحابه من آل بيته ﷺ، وليس الصحابة عموماً؛ وذلك لأنّ الروافض والخوارج في غير آل بيت رسول الله ﷺ يتفقون على كفر الصحابة؛ فليس هؤلاء في طرف وأولئك في طرف، كلّهم في طرف واحد، أمّا في آل بيت رسول الله ﷺ فنعم، هم على طرفين؛ طرف يغلون في آل بيت رسول الله ﷺ حتى إنّهم يعبدونهم مع الله تبارك وتعالى كما حصل من الروافض.

والروافض: سموا روافض لأنّهم رفضوا زيد بن عليّ بن الحسين لمّا امتحنوه بأبي بكر وعمر، فقالوا ماذا تقول فيهما؟ قال: هما وزيرا جدي؛ فانقسموا إلى قسمين:

قسم والاه وتمسك به وسموّا: الزيدية وهم الموجودون في اليمن.

وقسم آخر رفضوه وهم: الرافضة.

هؤلاء هم الشيعة، كان يشملهم اسم الشيعة، فلمّا ذهبوا مع زيد امتحنوه هذا الامتحان ثم انقسموا إلى قسمين: منهم من والاه ومنهم من عاداه.

وهؤلاء في آل البيت عندهم غلوٌّ، حتى إنّهم يدّعون العصمة لاثني عشر إماماً من آل بيت رسول الله ﷺ، يدّعون العصمة يعني: يجعلونهم كالأنبياء يُشرّعون لهم شرائع، ثم أخذوا يكذبون على ألسنتهم، وأكثر من كذبوا عليه جعفر الصادق؛ كذبوا عليه كذباً شديداً ثم وضعوه واعتبروه ديناً.

عندما جاء هؤلاء عندنا- في الأردن- في مدة ماضية قبل سنين قليلة، أول ما بدأوا به مع الناس أنهم استغلوا نقطة حبّ الناس لآل بيت رسول الله ﷺ- من هنا يدخلون- فيبدؤون بذكر مناقب آل البيت ومكانتهم وغير ذلك، ثم بعد ذلك يدخلون عليهم بقولهم أنّ آل البيت الاثني عشر معصومون، وإذا كان الواحد منهم معصوماً يُشرّع، إذاً الشرع الذي على لسانه حقّ، كما نقول نحن في النبي ﷺ: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.

لمّا يقرروا للناس هذا؛ بماذا يقررونه؟

حصل معي موقف مع شخص- وكان رافضيّاً- في مجلس من المجالس عند الإخوة، فقلت له: هات لي دليلاً على عصمة الأئمة؟ فذكر قول الله تعالى: {لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}، قلت: هذا فيه تطهيرهم وعدم تنجيسهم، فأين الدليل على كونهم معصومين؟ التطهير وعدم التنجيس هذا لا يدلّ على العصمة؛ إنما يدلّ على التطهير؛ ليس له علاقة بمسألة العصمة، قد طهّر الله سبحانه وتعالى غير واحد من آل بيت رسول الله ﷺ وما كانوا معصومين.

فما حار جواباً، والظاهر أنّه لم يكن ملماً بمذهبهم.

على كل حال الشاهد عندنا أنّهم كانوا يُركزون على هذه النقطة بتلبيساتهم المنوّعة، ثم بعد أن يُقنعوا الناس بأنّهم معصومون يبدؤون بإدخال: كيف يدرسونهم الفقه؛ ماذا يقولون لهم؟ يقولون: المذاهب خمسة: الأربعة المعروفة ومذهب جعفر الصادق، ثم تعالوا نُرجّح، كيف نُرجّح؟ يقولون: المسألة فيها أربعة أقوال أو ثلاثة أقوال، قال مالك كذا، قال الشافعي كذا، قال جعفر كذا؛ قول من نقدم؟ قول جعفر؛ لماذا جعفر؟ لأنه معصوم، انتهى الأمر؛ إذن يضربون على جميع المذاهب فيُعلّقون الناس بمذهبهم الفاسد؛ هذا أسلوبهم الذي كانوا يمشون عليه في نشر مذهبهم هنا في هذه البلاد، لكن الحمد لله أمرٌ أراده الله سبحانه وتعالى؛ نبّه السلطات هنا على شرّهم فقمعوهم وأزالوهم بفضل الله سبحانه وتعالى.

الشاهد عندنا هنا أنّ عندهم غلوّاً في آل بيت رسول الله ﷺ حتى أنّهم ألّهوهم مع الله تبارك وتعالى، والآن يعبدون عليّاً والحسين صراحة وعلى مرأى ومسمع الجميع، في البداية- في القديم- ما كان لهم شوكة، كانوا يخافون على أنفسهم من إقامة حدود الرّدّة، اليوم ليس هناك حدود ردّة ولا شيء؛ فأخذوا راحتهم وأظهروا ما عندهم من عبادة عليٍّ والحسين، وهذه أشرطتهم وكلامهم منشور ويقرأه ويسمعه الجميع.

في الطرف الثاني- في مسألة الصحابة من آل بيت رسول الله ﷺ-:

الخوارج: وهؤلاء يكفرونهم، كانوا يكفرون عليّ بن أبي طالب وكانوا هم السبب في قتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأهل السنة في ذلك وسط؛ يُحبّون آل بيت رسول الله ﷺ ويعرفون لهم قدرهم ومكانتهم، وفي نفس الوقت يعطونهم قدرهم الذي أعطاهم الله تبارك وتعالى فلا يغلون فيهم، فلم يعطوهم حقّ العصمة ولم يعطوهم حقّ العبودية ولا غير ذلك مما فعله

الرافضة؛ إنّما هو الاحترام والتقدير ومعرفة مكانتهم في دين الله وشرعه وإعطائهم حقوقهم التي أعطاهم الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ)**

هذا أمرٌ مجمعٌ عليه، وقد تقدم معنا أنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على عرشه، قد استوى على عرشه، كما قال في كتابه الكريم: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} فهذا أمرٌ مقررٌ ومجمعٌ عليه، والأدلة عليه كثيرة جداً؛ فلا خلاف ولا إشكال فيه، وقد تقدم وتكلم عليه المؤلف في موضعين، لكنه هنا يريد أن يبين طريقة الجمع بين: علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه ومعيته لخلقه؛ فقرر القاعدة الأولى وهي علوّ الله سبحانه وتعالى على خلقه وهو أمر مجمع عليه وأدلته يقينية لا شكّ فيها ولا يدخلها الاحتمال أبداً.

ثم قال: **(وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ)**

وهذا أيضاً قد تقدم معنا؛ مسألة معية الله تبارك وتعالى على خلقه؛ فالله سبحانه وتعالى مع خلقه أينما كانوا، معهم بعلمه، معهم بسمعه، معهم ببصره، معهم بحفظه.

معيّة عامة: للخلق جميعاً: العلم والسمع والبصر والحفظ أيضاً.

ومعية خاصة: معية النصرة والتأييد مع المعيّة العامة، وهذه للمؤمنين وهي أيضاً ثابتة بالأدلة التي ذكرناها.

ولا تعارض بين علوّ الله تبارك وتعالى وأدلة العلوّ، والأدلة التي تدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى معنا؛ إذ من تأمل في الأدلة التي وردت يعلم أنّها تدلّ على مسألة العلم ومسألة السمع ومسألة القرب للعباد بهذه الأمور.

قال: (كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ)

جمع بين المعيّة بالعلم وبين علوّه على عرشه.

قال: (فِي قوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ})

فقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}: علوه، ثم يذكر العلم: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} بعلمه الذي يعلمه، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

قال: (وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: {وَهُوَ مَعَكُمْ} أنه مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ)

ليس مختلطاً ومخالطاً للخلق.

قال: (فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ)

لا تدلّ عليه اللغة العربية- أنّه معنا- بما ذكر من الآيات أنّه يجب أن يكون مختلطاً معنا.

قال: (وَهُوَ خِلاَفُ ما أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلاَفُ ما فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ)

فالخلق طبيعة عندما يُذكر الله سبحانه وتعالى، مباشرة يتوجهون إلى العلوّ.

قال: (بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخلُوقَاتِهِ وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرُ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ)

مثاله هذا للتقريب، انظر الآن إلى القمر الآن؛ هو عالٍ في السماء ومع ذلك يراه المسافر ويراه المقيم، يراه من في المشرق ومن في بالمغرب، إذن هنا قد اجتمع عندنا العلوّ مع المعية، فهو ماشٍ مع المسافر وهو مقيم مع المقيم.

قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ)

أي مراقباً وحافظاً لهم.

قال: (مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ)

أي: حاكم ومسيطر على عباده.

قال: (مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ)

فهذا هو معنى المعية.

قال: (وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ)

ليس فيه تحريف ولا تأويل ولا شيء.

قال: (لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ)

لكن يُبتعد فيه عن الظّنون الكاذبة، المهم أن نفهمه فهماً صحيحاً؛ وإلّا فهو على ظاهره.

قال: (مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: "فِي السَّمَاءِ" أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ)

يعني هذا من الظنون الكاذبة أنّك مباشرة عندما تسمع أنّه في السماء: أنّ السماء تقلّه، أي: تحمله، أو تظلّه، أي: أنّها تكون كالظّلّ له وتعلوه.

قال: (وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ الذي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)

فهو الذي يحمل السماء، هو الذي يرفعها بقدرته تبارك وتعالى، فليس بحاجة إلى سماء كي تقلّه.

قال: **({وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ})**

إذن: فالسماوات والأرض وكلّ ما في السماوات والأرض الله سبحانه وتعالى هو قيومها، فليس بحاجة إلى شيءٍ من خلقه، لا إلى عرشه ولا إلى سماء ولا إلى غير ذلك، فهذه الظّنون التي يمكن أن تطرأ على العبد ينبغي أن يُزيلها من ذهنه؛ عندئذ سيقبل ما جاء عن الله تبارك وتعالى دون تشويش.

هذا وجه الجمع بين العلوّ والمعيّة.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: وَقَد دَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ من خلقه مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ في قَوْلِهِ: {سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...} الآية)**

ما زال المؤلف رحمه الله يتحدث عن مسألة الجمع ما بين علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه وقربه ومعيته؛ فقال: (وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ) أي: فيما وصف به ربّنا تبارك وتعالى نفسه: (الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ) من خلقه بعلمه وسمعه وبصره، (مُجِيبٌ) أي: يجيب دعاءهم، (كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ) أي: بين القرب والإجابة، كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ في قَوْلِهِ: {سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...} الآية

قال: **(وَقَوْلِهِ ﷺ للصحابةِ لَمّا رَفعوا أَصواتَهُمْ بالذِّكْرِ: "أيُّها النَّاسُ ارْبَعوا على أَنْفُسِكُمْ؛ فإنَّكُمْ لا تَدْعونَ أَصَمَّ ولا غائِباً، إنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ")**

فهنا أثبت القرب لله تبارك وتعالى بقوله: "أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ"، وهذا القرب هو قربه بعلمه تبارك وتعالى، وبعض أهل العلم قال: هو قرب ملائكته، والأكثر على الثاني.

قال: (وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ)

فلا منافاة بين الأمرين؛ فهو عالٍ على خلقه بذاته تبارك وتعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، وهو أيضاً قريب من عباده، معهم بعلمه وسمعه وبصره.

قال: (فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ)

في جميع صفاته لا يُماثله شيء.

قال: (وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ)

أي: مع دنوّه.

قال: (قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ)

أي: مع علوّه، فهو عليٌّ مع دنوّه، قريب مع علوّه تبارك وتعالى؛ فلا تناقض بين علوّ الله تبارك وتعالى ومعيته لخلقه.

قال: (فصل: وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ: الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تعالى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً)

(وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ) الذي ذُكر في حديث جبريل عليه السلام، لمّا قال ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وبكتبه"، فمن الإيمان بالله أن تؤمن بأنّه تكلم بالقرآن كلاماً حقيقياً، ومن الإيمان بكتب الله تبارك وتعالى أن تؤمن بأنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى، تكلم به حقيقة، وهو مُنزل غير مخلوق، والدليل على أنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى قوله جلّ وعلا: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}، والدليل على أنّه منزل من عند الله قوله تبارك وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، فجبريل عليه السلام سمعه من الله تبارك وتعالى، ونزل به على النبي ﷺ.

كلام الله مُنزّل غير مخلوق؛ فكلام الله تبارك وتعالى هو صفة له وليس بخلقٍ خلقه تبارك وتعالى؛ بل هو صفة من صفات الله تبارك وتعالى، والدليل على أنّه غير مخلوق قول الله تبارك وتعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} ففرّق الله تبارك وتعالى بين الخلق والأمر، والأمر هذا منه القرآن؛ أي: القرآن من الأمر، فليس هو بمخلوق.

قال: (مِنْهُ بَدَأَ) أي بدأ من الله تبارك وتعالى كلاماً تكلم به، فهو صفة من صفاته، وقد تكلم به فبدأ منه، (وَإِلَيْهِ يَعُودُ) في آخر الزمان يعود إلى الله تبارك وتعالى، كما جاء في أحاديث صحيحة أنّه يسري على المصاحف في ليلة وعلى قلوب العباد فلا يبقى من القرآن شيء فيها، فيرفعه الله تبارك وتعالى إليه، فيعود إلى الله تبارك وتعالى.

قال: (وَأَنَّ اللهَ تعالى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً) أي: لا كما تقوله الأشاعرة ومن وافقهم من أنّ كلام الله كلام نفسي؛ لا، الكلام النفسي ليس بكلام؛ لأنّه ليس بحرف ولا بصوت، فهو أمرٌ في النفس فقط، هذا معنى كلامهم؛ لكنّ الصحيح أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم كلاماً حقيقياً بحرف وصوت ويسمعه منه البشر.

(وَأَنَّ اللهَ تعالى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً) بناء على أصل صفات الله تبارك وتعالى وأنّها كلّها صفات حقيقية، وقد ورد- كما مرّ معنا في الدروس السابقة- أدلة أنّ كلام الله تبارك وتعالى بحرف وصوت.

قال: **(وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلَامَ غَيْرِهِ)**

هذا تأكيد للجملة التي قبلها؛ يريد المؤلف أن يؤكدّ ردّاً على فتنة الأشاعرة التي قد قويت واشتدت في زمن المؤلف رحمه الله، الذين يقولون بأنّ الله يتكلم كلاماً نفسياً لا كلاماً حقيقياً، وذلك أنّ هذه الفتنة قد عظمت في بداية أمرها عندما نفى الجهمية

والمعتزلة صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى؛ فقالوا: الله سبحانه وتعالى لا يتكلم، لكنّ الأشاعرة كانوا أحسن حالاً منهم قليلاً، ومع أنّهم يُوافقونهم في الأصول؛ إلّا أنّهم أفضل حالاً منهم، لمّا واجهتهم أدلة الكتاب والسنة وأنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى وأنّ الله يتكلم كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، أرادوا أن يجمعوا بين أصولهم الفاسدة وبين الأدلة المتواترة التي رأوها أمامهم؛ فما وجدوا سبيلاً إلّا أن يقولوا بأنّ الله يتكلم كلاماً نفسياً.

هذا حقيقة ما أوصل الأشاعرة إلى ما أوصلهم إليه- وكما سيأتي أيضاً في مسألة الرؤية- فالأشاعرة تخبطوا تخبطاً شديداً في هذه القضايا، وسبب ذلك أنّهم تعلقوا بأصول الجهمية وتمسكوا بها، وما تخلصوا منها، ومع ذلك كان عندهم شيء من النظر إلى الكتاب والسنة خصوصاً في الأدلة التي هي قاطعة كالشمس، فما استطاعوا أن يردوها كما تجرأ على ذلك الجهمية والمعتزلة، فأرادوا أن يسلكوا مسلكاً وسطاً بين قواعد وأصول الجهمية والمعتزلة وبين نصوص الشرع ؛فتخبطوا تخبطاً شديداً، لذلك إذا ركزت في عقيدة الأشاعرة وجدتها أكثر العقائد تخبطاً- أي: من أهل الكلام- بينما لو قست الأمور أو نظرت إليها من حيث الأصول تجد أصول المعتزلة من حيث تطبيق أحكامهم على أصولهم؛ تجدهم أكثر إتقاناً في تطبيق أحكامهم على أصولهم من الأشاعرة؛ لأنّ الأشاعرة حاولوا أن يجمعوا بين الأصول العقلية التي كانوا عليها وبين نصوص الكتاب والسنة؛ أمّا أولئك فما كانوا يبالون بنصوص الشرع؛ وكان همهم الأعظم في القضية أن يحققوا العقائد عن طريق أصولهم العقلية فقط؛ لذلك وقع الأشاعرة والماتريدية فيما وقعوا فيه من هذا التخبط.

قال: (وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامَ غَيْرِهِ) أي: ليس بكلام جبريل ولا كلام محمد ﷺ ولا شيء من ذلك.

قال: (**وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عنه**)

هذا القول قول الكلّابية وقول الأشاعرة.

الكلّابية قالوا: القرآن هو حكاية عن كلام الله وليس هو كلام الله.

والأشاعرة قالوا: هو عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله.

ومعنى: (حكاية عن كلام الله) أي: مماثلة، ليس هو نفسه لكنه شيء يماثله؛ مثيل له. و(عبارة عن كلام الله) أي: شيء عبّر عن معنى كلام الله تبارك وتعالى، وهذا كلّه بناءً على أصولهم من أنّ كلام الله سبحانه وتعالى ليس كلاماً حقيقياً وإنّما هذا القرآن الذي بين أيدينا هو شيء خلقه الله سبحانه وتعالى ليعبر عن مراده أو يماثله؛ وكلّ هذا من الكلام الباطل الفاسد الذي تدلّ أدلة الشرع على بطلانه، وإنّما اعتمدوا كما ذكرنا على أصولهم العقلية.

قال: (**بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا**)

إذن كلام الله الذي تكلم به تبارك وتعالى حتى لو كُتب في المصاحف أو قرأه الناس لا يخرج عن كونه كلاماً لله تبارك وتعالى؛ فالمؤلف يقول: لأنّ الكلام يضاف إلى قائله أصلاً، فأنت عندما تنقل كلاماً عن شخص؛ تقول: قال فلان كذا وكذا، لأنّ الكلام بتركيبه ذاك هو من قول فلان، فهو الذي قاله أولاً؛ فالكلام يُرّد إلى قائله أولاً لا إلى المتكلم به ثانياً.

قال: (**وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ ومَعَانِيهِ، لَيْسَ الْحُروفُ دونَ المعاني، ولا المَعاني دونَ الحُروفِ**)

فهذا الكلام الذي بين أيدينا- الذي هو القرآن- كلّه كلام الله تبارك وتعالى؛ حروفه

ومعانيه، كلّه من عند الله تبارك وتعالى لا الحروف فقط، والمعاني ليست من الله، ولا المعاني فقط والحروف ليست من الله.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وخالفت في ذلك المعتزلة والجهمية؛ فقالوا: الكلام ليس معنى يقوم بذات الله تبارك وتعالى بل هو شيء من مخلوقاته؛ كالسموات والأرض والناقة التي أضافها لنفسه والبيت الذي أضافه إلى نفسه؛ كذلك هذا أضافه إلى نفسه إضافة تشريف كما أضاف الناقة والسماء والأرض... وإلخ، وهذا القول تعلق به- كما ذكرنا- الجهمية والمعتزلة، وهؤلاء لما ذكروه كان الكلام عندهم هو الحروف، لأنّ كلام الله عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله تبارك وتعالى ونسبها إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً فقط، فهو مخلوق، أصوات وحروف لكنّها مخلوقة أضافها إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً لها فقط.

أمّا القول الآخر وهو الذي رده المؤلف رحمه الله بقوله: (وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ) هذا مذهب الكلابية والأشعرية؛ فكلام الله تبارك وتعالى عندهم هو كلام نفسي؛ معنى في النفس لم يتكلم الله تبارك وتعالى به حقيقة بحرف وصوت، فالحروف والصوت عندهم ليس لله تبارك وتعالى، الذي لله فقط المعنى، أمّا الحرف والصوت فليس لله تبارك وتعالى عند هؤلاء، فالله سبحانه وتعالى خلق أصواتاً وحروفاً تدلّ على المعنى الموجود في النفس، إمّا عبارة وإمّا حكاية، وهذه هي الأقوال التي خرجت عن السنة في هذه المسألة.

وأمّا أهل السنة والجماعة فمتفقون جميعاً على أنّ القرآن كلام الله، تكلم به حقيقة بحرف وصوت، وهو كلامه بحروفه ومعانيه.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصل: وَقَد دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ**

وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهَ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخولِ الجَنَّةِ كَما يَشاءُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى)

هذه مسألة رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، وقد اتفق أهل السنة والجماعة في هذه المسألة على أنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وأدلتهم في ذلك كثيرة وهي متواترة؛ منها: قول الله تبارك وتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، وكذلك قوله تبارك وتعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}، وكذلك قوله ﷺ: "إنّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته" وهو حديث متفق عليه، والأحاديث في هذا المعنى متواترة، أي: أنّها أخبار يقينية لا شكّ فيها البتة؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

وخالف في ذلك طائفتان:

طائفة الجهمية والمعتزلة: وهؤلاء نفوا أن يُرى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

وحجتهم في ذلك الأصلية وهي الأساس الذي بنوا عليها مذهبهم: أنّهم إذا أثبتوا رؤية الله تبارك وتعالى؛ يلزم من ذلك إثبات الجهة، وإثبات الجهة يلزم منه التجسيم والتشبيه؛ هذا الذي جعلهم ينفون رؤية الله تبارك وتعالى، هذا قول الجهمية وهذه حجتهم الأصلية.

ثم احتجوا بعد ذلك بآيات من كتاب الله تبارك وتعالى هم يعلمون أنّه لا حجة لهم فيها، ولكن أرادوا أن يقووا قولهم بآيات من كتاب الله لأنّهم يعرفون أنّ أهل السنة لا يقنعون بفلسفتهم العقلية ويردونها عليهم، فأرادوا أن يردوا على أهل السنة بأدلة من الكتاب.

فاستدلوا بقوله تبارك وتعالى: {لَنْ تَرَانِي} هذا قاله لموسى لمّا طلب موسى رؤية الله تبارك وتعالى وهو في الدنيا، قال له ربنا تبارك وتعالى: {لَنْ تَرَانِي} أي: في الدنيا ولكن في الآخرة ستراني، فهناك فرق بين أن يطلب الأمر في الدنيا وأن يطلبه في الآخرة.

وكذلك من أدلتهم التي استدلوا بها قوله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}؛ فاستدلوا بهذه أيضاً على أنّه تبارك وتعالى لا يُرى، لأنّه لا تدركه الأبصار، وردّ عليهم أهل السنة ذلك: بأنّ الإدراك شيء والرؤية شيء آخر؛ لأنّ الإدراك تلزم به الإحاطة، والله سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء، وأنت ترى وتنظر إلى السماء فتراها ولكنك لا تدركها؛ إذن هناك فرق بين الرؤية والإدراك، فليس لهم حجة في هذه الآية أيضاً.

فإذن أقوالهم مردودة عليهم والأدلة الصريحة الواضحة تدلّ على أنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة؛ هذه الفرقة الأولى وهي فرقة: الجهمية والمعتزلة.

والفرقة الثانية التي تناقضت-كما ذكرنا وهم في الغالب متناقضون في أمر العقيدة- هم: الأشاعرة.

الأشاعرة هؤلاء قالوا بما قاله أهل السنة من إثبات الرؤية لله تبارك وتعالى، إلّا أنّهم أيضاً بناء على أصول الجهمية؛ نفوا الجهة، فقالوا: يُرى ربنا تبارك وتعالى ويراه المؤمنون ولكن إلى غير جهة؛ فقال أهل العلم: أضحكتم العقلاء من قولكم، لماذا؟ لأنّهم جاؤوا بشيء محال، شيء مستحيل لا يمكن أن يحصل أن تَرى الله سبحانه وتعالى وليس في العلوّ أو ليس في جهة كما يقولون، هذا أمرٌ لا يمكن، إذا أردت أن ترى لابد أن تراه وهو في علوّه تبارك وتعالى كما دلت على ذلك النصوص الواضحة والصريحة، أمّا أن تجمع بين أن تراه وأنّه إلى غير جهة؛ فهذا تناقض عجيب، فأضحكوا الناس منهم، وهذا من عجائب ما أُخذ على الأشاعرة في عقيدتهم.

خلاصة المسألة: أن عقيدة أهل السنة والجماعة أنّ المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة في عرصات القيامة وفي الجنّة أيضا كما ذكر المؤلف رحمه الله هنا.

والعرصات هي جمع عرصَة وهو المكان الواسع الفسيح، الذي ليس فيه بناء.

وقوله: (ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سبحانه تَعَالَى)

قال أهل العلم: الناس في رؤية الله تبارك وتعالى ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

مؤمنون خلص ظاهراً وباطناً.

كافرون خلص ظاهراً وباطناً.

مؤمنون ظاهراً كافرون باطناً وهؤلاء المنافقون.

أمّا المؤمنون فيرون ربهم تبارك وتعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنّة.

وأمّا الكافرون فلا يرون ربّهم مطلقاً على القول الراجح والبعض قال: يرونه رؤية غضب وعقوبة.

وأمّا المنافقون فإنّهم يرون الله عز وجل في عرصات القيامة ثم يحتجب عنهم ولا يرونه بعد ذلك.

هذه قسمة الناس في رؤية الله تبارك وتعالى، طبعاً تستحضر في هذه اللحظة أنّ رؤية الله تبارك وتعالى رؤية نعيم وفضل عظيم من ربّ العالمين ما بعده من نعيم، كلّ نعيم الجنة يهون ويخف أمام نعيم النظر إلى وجهه تبارك وتعالى، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل ذلك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(فَصْلٌ: وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ: الإيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ)**

قوله: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ) قد تقدم معنا ما ذكره المؤلف رحمه الله وما ورد في حديث جبريل الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان؛ فقال من ضمن ما ذكر: "أن تؤمن باليوم الآخر"؛ فالإيمان باليوم الآخر هو أن نُصدق بقيام الساعة، وهذه أدلتها واضحة وصريحة ومحكمة لا إشكال فيها، ومن أنكر هذا اليوم؛ فهو كافر خارج من ملّة الإسلام، ثم بعد ذلك أمورٌ تحصل في هذا اليوم هي داخلة في ضمن الإيمان بهذا اليوم، ويريد المؤلف رحمه الله الآن أن يبين لنا هذه الأمور، وقبل ذلك ذكر لنا أنّها داخلة ضمن الإيمان باليوم الآخر، والأمور التي سيذكرها المؤلف رحمه الله ها هنا تترتب على النحو التالي:

سيذكر المؤلف الطريق إلى هذا اليوم وهو القبر؛ فالمرحلة التي تأتي بعد الموت هي مرحلة القبر، مرحلة البرزخ وهذه المرحلة وما يمرّ به المرء أمورها غيبية.

كذلك ما يحصل بعد البعث من القبر يوم القيامة أموره غيبية.

وما يحصل قبل ذلك من علامات الساعة أمورها أيضاً غيبية.

وما يحصل من دخول الناس إلى الجنّة وإلى النّار وما فيهما، هذه كلّها من الأمور الغيبية.

والنّاس لا يتفاضلون في مسألة الإيمان بالأمور المشاهدة، فالمُشاهَدُ الكلّ يؤمن به ولا يُكذّب به؛ لكن محل التفضيل هو الإيمان بالغيبيات، وهذه الأمور المذكورة كلّها من الغيبيات، من الأمور التي لا تدرك بالفكر والعقل وإنّما تدرك بالخبر، فإذا جاء الخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ؛ لزم الإيمان به والتصديق وعدم ردّه؛ لا الردّ بالتكذيب ولا

الرّد بالتحريف والتأويل، لأنّه لم يُوافق عقلاً من العقول الخربة أو لم يُوافق رأيّاً رآه شخص؛ فهنا يبدأ المؤلف رحمه الله بتفصيل ما يمرّ به الإنسان بعد موته؛ فيقول:

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ) حتى دخول الجنّة أو النّار؛ فنحن مأمورون بالتصديق بقيام الساعة وبما يحدث في هذا اليوم مما جاء ذكره في الكتاب والسنة.

ثم قال بعد ذلك: **(فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)**

الإنسان بعدما يموت يوضع في قبره، فإذا وُضع في قبره فهو مُعرض لفتنة هناك، أخبر بها النبي ﷺ، وأيضاً إمّا عذاب وإمّا نعيم على حسب الشخص؛ فالمؤمنون وأهل السنة عقيدتهم الإيمان بفتنة القبر، وهذه الفتنة معناها الامتحان والاختبار الذي يقع على المرء من قِبَلِ ملكين؛ عندما يُوضع في قبره يأتيه الملكان فيُجلسانه ويقولان له من ربّك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرّجل الذي بُعث فيكم؟ فإذا كان مؤمنا صالحاً قال: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، وإذا كان كافراً قال: هاه هاه لا أدري.

هذا بداية الحديث، فدلّ هذا الحديث على وقوع فتنة القبر وأنّ النّاس يُمتحنون في قبورهم على ما جاء في الأحاديث الصحيحة، ومن هذه الأحاديث حديث البراء بن عازب الذي ذكرنا معناه.

ففتنة القبر حقٌّ ثابت نؤمن به، وسؤال الملكين أيضاً حقٌّ ثابت نؤمن به، والبعث بعد الموت حقٌّ كذلك.

ولكن قبل ذلك لابدّ أيضاً أن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه، فعذاب القبر ونعيمه كذلك ورد في أحاديث صحيحة كثيرة، ومنها حديث البراء بن عازب هذا الذي ذكرناه.

جاء في أحاديث كثيره ذِكر عذاب القبر، والأحاديث في ذلك متواترة، وتواترها تواتر معنوي، ومعنى التواتر المعنوي أن تأتي عدة أحاديث مختلفة في ألفاظها لكنّها بالجملة تدلّ على معنى من المعاني، عندئذ يكون تواترها تواتراً معنوياً كعذاب القبر.

فإذا نظرنا في الأحاديث التي وردت في عذاب القبر وجدنا مثلاً الحديث الذي فيه أنّ النبي ﷺ كان يقول آخر دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات "... الخ، كذلك جاء عن النبي ﷺ أنّه مرَّ بقبرين فقال: "إنّهما يعذبان وما يعذبان في كبير"، كذلك جاء عن عائشة رضي الله عنها أنّ يهودية جاءتها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة النبي ﷺ عن عذاب القبر؟ فأقر النبيُ ﷺ بعذاب القبر، وأحاديث كثيرة، جملة هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث تدلّك جميعاً على معنى واحد وهو وقوع عذاب القبر.

فالأحاديث الواردة في ذلك متواترة؛ هو خبر يقيني؛ فلا شكّ في وقوع عذاب القبر، كذلك وجود نعيم في القبر هو أمر ثابت لا شكّ فيه.

قال: (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)

حديث البراء المتقدم ذُكر فيه النعيم وذكر فيه أيضاً العذاب، ولعلنا نذكره تاماً إن شاء الله بعد أن ننتهي من كلام المؤلف.

قال: **(فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ)**

أي: يُمتحنون في قبورهم.

قال: **(فَيُقَالُ للرّجُلِ: مَن رَّبُكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟ فيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)**

يشير المؤلف هنا إلى أنّ هذه الآية فيها إشارة إلى إثبات هذا الامتحان؛ هذا الاختبار، قال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} فقالوا من ذلك فتنة القبر.

قال: **(فَيَقُولُ الْمؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ)**

معنى المرتاب: الشاك الذي يشكّ.

قال: **(فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ)**

المرزبة هي: المطرقة الكبيرة، نسميها نحن: (المهدّة) ويسميها بعض أهل المغرب (الماصة)، هذه هي المرزبة.

قال: **(فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصُعِقَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ)**

كلّ هذا ورد في أخبار صحيحة عن النبي ﷺ فالواجب الإيمان بها.

حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

عن البراء بن عازب؛ قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ) خرجوا مع النبي ﷺ إلى جنازة قال: (فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ) يعني: وصلوا إلى القبر، (وَلَمَّا يُلْحَدْ) أي: ولم يحفروا اللحد بعد، (فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ) ينتظرون أن يُتِم الحافر الحفر، (وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ) هدوء وسكوت يسمعون، (فِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ) أي: النبيُ ﷺ؛ (فَقَالَ: "اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) وهذا أيضاً من الأحاديث التي تثبت عذاب القبر، (ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ

أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ) هذه النفس الطيبة؛ النفس المؤمنة، (فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ) يعني رائحة طيبة (فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي مكانه فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ) يعني: من أين لك؟(فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ عز وجل فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ) هذا فيه إثبات نعيم الجنّة في القبر (فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قال :وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ رب أقم الساعة حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: (وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ

عز وجل وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ) كأنّك تضع شوكاً في صوف ثم تنزع هذا الشوك (الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}، قال: ثم يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا.

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ")

هذا الحديث بطوله، وفيه كلّ ما ذكر المؤلف رحمه الله من فتنة القبر ومن نعيمه وعذابه.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصل: إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ)**

أي: يبقى العبد في قبره على هذا الحال إلى أن تقوم القيامة الكبرى؛ ففرّق المؤلف رحمه

الله بين القيامة الكبرى والقيامة الصغرى بقوله هنا: القيامة الكبرى، فالقيامة الصغرى هي موت العبد، ولكلّ عبد قيامته الخاصة، فكلّ عبد يموت تقوم قيامته الصغرى فإنّه إذا وضع في قبره بدأ النعيم أو بدأ العذاب- نسأل الله أن يعافينا وإياكم-.

وقد ورد حديث في تسمية الموت بأنه الموتة الصغرى التي هي القيامة الصغرى، لكنه حديث ضعيف لا يصح، ووردت آثار ثابتة عن حذيفة وغيره.

(إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى) وهي التي يقوم الناس فيها من قبورهم ويُبعثون بعد موتهم؛ فتُعاد الأرواح إلى الأجساد؛ يعيدها الله تبارك وتعالى ثم يقومون.

قال: **(وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهُ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ)**

وأدلتها من الكتاب والسنة مشهورة معلومة؛ منها قول الله تبارك وتعالى: {الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}، والأحاديث التي فيها ذكر قيام الساعة كثيرة جداً ومشهورة، والإجماع منعقد على ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً)**

يقوم الناس من قبورهم كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ وكما جاء أيضاً في كتاب الله تبارك وتعالى: حفاة لا يلبسون النّعال، عراة: أي ليس عليهم ثياب، غرلاً: أي ليسوا مختونين؛ فخلقهم تام لا ينقص منه شيء.

قال: **(وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ)**

يعني تقترب الشمس منهم في المحشر، عندما تقوم الساعة ويحشر الناس تقترب الشمس من الناس ثم تصيبهم بحرّها ويعرَق البشر، فمنهم من يصل عرَقه إلى الكعبين ومنهم إلى الركبتين ومنهم ما هو أعلى من ذلك ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً.

جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرصَة النقي ليس فيها عَلَم لأحدٍ"، كقرصة النقي يعني: كالرغيف المنخول، وقال الله

تبارك وتعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}، وجاء عن النبي ﷺ أنّه قال: "إنّكم تحشرون حفاةً عراةً غرلاً"، ثم قرأ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}، وجاء في حديث آخر قال: "يُحشر الناس يوم القيامة عراةً غرلاً بُهْمَاً"، قلنا: وما بُهْمَاً؟ قال: "ليس معهم شيء".

قال المؤلف: **(وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ)**

أي: يصل منهم إلى موضع اللجام من الفرس، يعني إلى الفم، وهذا أيضاً وردت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ، والحديث مذكور في الصحيح[1].

قال: **(فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد)**

قال الله عز وجل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}، وجاء عن النبي ﷺ أنّه قال: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"، وحديث البطاقة المشهور بأنّ الصحائف توزن فتطيش بهم صحيفة: لا إله إلّا الله، وكذلك جاء في الحديث بأنّ الرجل لا يزن عند الله جناح بعوضة؛ فكل هذه الأحاديث تدلّ على أنّ أعمال العباد توزن وصحائفهم أيضاً توزن ولا تعارض في ذلك؛ فكلّه يوزن.

قال: **{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}**

كل هذه الأدلة تدلّ على أنّ أعمال العباد توزن.

قال: **(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ)**

(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ) أي: يُعطى الناس صحائفهم في أيديهم، كما قال الله سبحانه وتعالى:

---

[1]- الحديث في "صحيح مسلم" (٢٨٦٤) عن المقداد بن الأسود؛ قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ)

{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} فهؤلاء الملائكة يكتبون في الصحف، ثم بعد ذلك جاء في الحديث أنّ الناس يأخذون هذه الصحف بأيديهم، وجاء في الآيات ما يدلّ على ذلك أيضاً، فمن كان من أهل الإيمان؛ أخذ كتابه بيمينه، ومن كان من أهل الكفر؛ أخذ كتابه بشماله.

قال: **(فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّراءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا})**

{طائره} أي: عمله.

وهذا من عدل الله تبارك وتعالى؛ أن يُوكِّل الحساب إلى الإنسان نفسه، ينظر في عمله ويحاسب نفسه بنفسه.

قال: **(وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ)**

يحاسب الله سبحانه وتعالى الناس كما في قوله تبارك وتعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا}.

قال: **(وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ)**

هذه طريقة الحساب؛ يخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه؛ أي: يقول له: أنت فعلت كذا وفعلت كذا وفعلت كذا.

قال: **(كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)**

جاء في الحديث أنّ الله سبحانه وتعالى يخلو بالعبد المؤمن ويطلعه على أعماله، ثم يقول له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك.

قال: **(وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُم لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا ويخزون بها)**

يعني: إنما يُفعل بهم هذا كلّه نكاية بهم وخزياً لهم، وإلّا هم أعمالهم ليست محلاً للوزن؛ أعمالهم كلّها تذهب هباءً منثوراً بكفرهم، ولكن يقررون بها ويَطَّلِعون على أعمالهم من أجل إيقاع الخزي والعار عليهم.

وأمّا الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}؛ هكذا جاء الحديث في الصحيحين.

هذه بعض الأمور التي تقع يوم الحساب- يوم القيامة-، ومن عادة المؤلفين أن يذكروا أيضاً علامات الساعة قبل أن يدخلوا على ذكر هذه المسائل، فأيضاً من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها: علامات الساعة التي أخبر النبي ﷺ بها ووردت في الأحاديث الصحيحة؛ كنزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج؛ هذه كلّها أيضاَ أخبار غيبية ذكرت في أحاديث النبي ﷺ، وكما ذكرنا؛ فمن عادة أهل العلم أن يضعوا مثل هذه الأمور في كتبهم؛ لأنّها أخبار غيبية يجب الإيمان بها.

ثم قال رحمه الله: **(وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمحمد ﷺ؛ ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا)**

مما سيحدث بعد البعث ويوم القيامة ما ذكره المؤلف رحمه الله في هذه الفقرة.

ومراده بعرصات القيامة: الساحة، المكان المتسع الذي يُحشر الناس فيه؛ لأنّ العرصات جمع عَرْصة، وهي المكان المتسع الذي يكون بين البنيان، وعرصات القيامة فيها الحوض المورود لمحمد ﷺ.

والمورود: أي الذي يرده الناس ليشربوا منه؛ يرده المؤمنون ليشربوا منه، والحوض مجمع الماء، المكان الذي تجتمع المياه فيه، يرده المؤمنون ويشربون منه وهو للنبي ﷺ.

وأحاديث الحوض متواترة، جاء ذكر الحوض عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة منها ما هو في "الصحيحين".

ومن هذه الأحاديث حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ حوضي أبعد من أَيْلَة من عدن، لهو أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصدّ الناس عنه كما يصدّ الرجل إبل الناس عن حوضه"، قالوا يا رسول الله: أتعرفنا يومئذ؟ قال: "نعم، لكم سيما"- يعني: علامة- قال: "ليست لأحدٍ من الأمم".

ما هي هذه السمة؟

قال: "تردون عليّ غرّاً محجلين من أثر الوضوء"، يعني: بياض يكون في الوجه وفي اليدين وفي القدمين، وهي الأماكن التي تغسل بماء الوضوء؛ تكون بيضاء، ويأتي المؤمنون بهذه الصفة فيعرفهم النبي ﷺ فيذود عن حوضه من لم يكن من أمته.

وجاء في حديث آخر أيضاً في "الصحيح" عن أبي حازم؛ قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "أنا فَرَطُكم على الحوض، من وَرَدَ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليَرِدَنَّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم"، أي: أنّهم لا يشربون من الحوض.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة في "الصحيح"، وكما ذكرنا هي متواترة وقد جاءت عن بضع عشر من أصحاب النبي ﷺ.

قال المؤلف: (ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ)؛ هذا على ما جاء الوصف به في حديث أبي هريرة المتقدم.
(آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ) أي: أنّها كثيرة جداً، والآنية التي هي الكؤوس التي يُشرب

من الحوض بها.

(طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا) ثم بعد ذلك شربهم في الجنة؛ ماذا يكون؟ يكون نعيماً، ذاك شرب للنعيم وليس للظمأ؛ لأنّ الظمأ ينتهي هنا في هذا الموطن.

هذه الصفات التي ذكرها المؤلف هي التي ذُكرت في الأحاديث التي ذكرناها، وغيرها كذلك؛ كحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: "حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء" يعني: طوله كعرضه، "وماؤه أبيض من الوَرِق"؛ أي: الفضة، "وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه؛ فلا يظمأ بعده أبداً".

وفي حديث عقبة بن عامر أنّ رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر؛ فقال: "إنّي فَرَطٌ لكم"؛ يعني: الذي يتقدمنا على الحوض، قال: "وأنا شهيد عليكم، وإنّي والله لأنظر إلى حوضي الآن"، وهذا يدلّ على أنّ الحوض موجود في الوقت الذي تكلم فيه النبي ﷺ، قال: "وإنّي قد أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض "... إلى آخر الحديث.

وقال في طريق أخرى لحديث عقبة بن عامر: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: "إنّي فَرَطُكُم على الحوض، وإنّ عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكنّي أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوا فيها وتقتتلوا؛ فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم"، يحدثنا عما يقع اليوم بالحرف الواحد؛ وهذا الذي يحصل الآن تنافس وقتال على الدنيا والله المستعان.

الشاهد: أنّ هذه الأحاديث وغيرها كثير تدلّ على إثبات الحوض؛ فأهل السنة والجماعة متفقون على إثبات الحوض، وأنّ للنبي ﷺ حوضاً يشرب منه المؤمنون يوم

القيامة.

وخالف في ذلك بعض الخوارج وبعض الروافض وبعض المعتزلة؛ وقالوا: هو خبر ثبت بالآحاد، والعقيدة لا تؤخذ عندهم بالآحاد، فأنكروا ذلك وحرّفوه- كما هي العادة- على معنى الكرم والعطاء؛ وكلامهم باطل.

فأولاً: الأحاديث التي وردت في الحوض أحاديث متواترة، قد نصّ على أنّها متواترة غير واحد من أهل العلم.

ثانيا: لو كانت آحاداً؛ فالسلف ما كانوا يُفرّقون بين الأحكام والعقائد في القبول؛ فكلّها مقبولة وكلّها معمول بها إذا ثبتت عن النبي ﷺ.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ)**

الصراط: هو جسر على نفس جهنم يمرّ الناس عليه.

وأمّا وصفه فقد جاء في بعض الأحاديث بأنّه: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّة، وأنّه: أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، هكذا جاء وصف هذا الصراط.

وأحاديثه التي تدلّ عليه كثيرة أيضاً في "الصحيحين"؛ منها: ما أخرجه مسلم في "صحيحه" من حديث أبي هريرة وحذيفة؛ قالا: قال رسول الله ﷺ: "يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ"، إلى أن قال النبي ﷺ: "فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ" أي: في لحظة، "ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ" يعني: الرجل

الذي يجري بسرعة، "تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ"، الضابط والفارق بين شخص وآخر هو أعماله ليست سرعته في الدنيا؛ لا؛ بل الضابط في ذلك هي أعماله.

قال: "تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا "، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ اُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ".

هذا من الأحاديث التي وردت في ذكر الصراط، وهي كثيرة أيضاً.

قال المؤلف: (وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ).
الطريق إلى الجنّةِ: النّارُ، فلابدّ أن تمرّ بها كي تصل إلى الجنّة، وهذا الجسر منصوب على جهنّم، فإذا مررت؛ لابدّ أن تمرّ عن طريق هذا الصراط كي تتجاوز إلى الجنّة، وهذا معنى قول الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} والورود: هو المرور على الصراط على الصحيح في تفسير هذه الآية.
قال: **(يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ)**

أي: سرعتهم وتجاوزهم النّار على حسب أعمالهم، كما جاء في الحديث الذي ذكرناه.

قال: **(فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا)**
كلّ على حسب أعماله.

قال: **(وَمِنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا؛ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم)**

يعني: يُؤخذ بسرعة، وذلك بالكلاليب التي على الجسر تخطف الناس بأعمالهم، فيُلقى في جهنم، فتأخذه هذه الكلاليب وترمي به في جهنم، والكلاليب حديد معكوف الرأس حادٌّ، جاء وصفها في الحديث في الصحيح مثل شوك السعدان، والسعدان نبت من النباتات له شوك عظيم ومتفرع، هذه الكلاليب يكون لها رؤوس معكوفة تأخذ الناس على قدر أعمالهم.

وقوله: (وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم) بناء على الحديث الذي ذكرناه.

قال: **(فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**

أي: قد نجى وتجاوز النار فيدخل الجنة.

قال: **(فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ)**

بعد أن يتجاوز الناس الصراط؛ توجد مرحلة أخرى، وهي مرحلة القنطرة، هذه القنطرة هي عبارة عن جسر صغير أيضاً، جسر آخر يقفون عنده وهو أيضاً بين الجنّة والنّار، بعد أن يتجاوزوا النّار يقفون عند هذا الجسر.

قال: **(فَيُقْتَصّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ)**

فهؤلاء المؤمنون الذين سيدخلون الجنّة؛ لكن هنا يوجد أخذ حقوق، المؤمنون هؤلاء بينهم حقوق: دماء، أموال، أعراض؛ كلّ هذه لابد أن تُصفى؛ فيقتص لبعضهم من بعض، كلّ واحد يأخذ حقّه من الآخر لكي يذهب الغلّ والحقد الذي بين قلوبهم، ولا يظلم أحد.

قال: **(فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا)**

صُفّوا تماماً وما بقي عليهم خطيئة.

قال: **(أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ)**

لحديث أبي سعيد في صحيح البخاري؛ قال ﷺ: "يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا" يعني: الواحد منهم عندما يدخل الجنّة يكون عارفاً بمنزله ومكانه في الجنّة أكثر من معرفته بمنزله الذي في الدنيا، هذا الحديث الذي أخرجه البخاري هو الذي دلّ على ما ذكره المؤلف رحمه الله.

قال المؤلف: **(وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ)**

الدليل ما ثبت في "صحيح مسلم"؛ قال: "أنا أَوَّلُ شَفيعٍ في الجَنّة"، وفي لفظ: "أنا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجنّة"، وفي لفظ: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ"، فهذه كلّها تدلّ على أنّ النبي ﷺ هو أول من يستفتح باب الجنّة.

قال: **(وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ)**

يعني: أمة النبي ﷺ، وهذا لقوله ﷺ: "نَحْنُ الآخِرونَ الأَوَّلونَ يَوْمَ القِيامَةِ"، نحن آخر الأمم- أمّة محمد ﷺ آخر الأمم- الأمم السابقة كلّها قبلها، لكن هذا في الدنيا، وأما عند دخول الجنّة؛ فيكونون هم الأمّة الأولى، فنحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنّة، وقال ﷺ: "نحن الآخِرونَ السَّابِقونَ يَومَ القِيامَةِ".

قال: **(وَلَه ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ)**

الشفاعة هذه ثابتة للنبي ﷺ؛ فله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات.

الشفاعة في أصلها في اللغة: جعل الشيء شفعاً، الشيء إذا كان واحداً يكون وتراً، فإذا كان معه ثانٍ يصبح شفعاً، وأمّا في الاصطلاح: فهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

والشفاعة قسمان:

القسم الأول: شفاعة باطلة؛ وهي التي يتعلق بها المشركون، فيعبدون آلهتهم وأصنامهم بدعوى أنّها تشفع لهم عند الله تبارك وتعالى قال تبارك وتعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، وقال: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} هذه الشفاعة الباطلة؛ الشفاعة الباطلة هي الشفاعة التي تكون من غير رضى ولا إذن.

إذا الشفاعة المثبتة هي التي تكون برضى من الله سبحانه وتعالى وبإذن منه؛ رضاه أن يرضى في أن يُشَفَعَ في فلانٍ من الناس مثلاً، وبإذن منه: أن يَأذن لمن أراد أن يَشفع بالشفاعة؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} إذن لابدّ من الإذن والرضى، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} فلا أحدّ له أن يشفع عند الله إلّا أن يأذن الله تبارك وتعالى له بالشفاعة.

وممن أذن الله له بالشفاعة: النبيَ ﷺ؛ لكن أيضاً عندنا أمر آخر وهو أن يرضى الله سبحانه وتعالى بأن يُشفع في الشخص، مثلاً عندما يطلب النبي ﷺ أن يَشفع في شخص من الأشخاص؛ لابدّ أن يرضى الله سبحانه وتعالى أن يَشفع النبي ﷺ في هذا الشخص، وإذا لم يرضَ؛ فلا يُمكن للنبي ﷺ أن يَشفع فيه؛ فلابدّ من تحقق شرطين: أن يتحقق شرط الرضى، وأن يتحقق شرط الإذن.

هذا الفرق بين الشفاعة التي أبطلها الله سبحانه وتعالى وردّها وبين الشفاعة التي أثبتها الله تبارك وتعالى؛ والشفاعة الباطلة هي التي يتعلق بها المشركون لعبادة الأوثان والأصنام ويعتقدون أنّها ستتشفع لهم عند الله تبارك وتعالى؛ وهذا باطل كما ذكرنا.

وهنا المؤلف يقول إنّ النبي ﷺ له في القيامة ثلاث شفاعات؛ إذن هو ممن أذِنَ له ربنا تبارك وتعالى بالشفاعة.

قال: **(أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ)**

المؤلف ذكر ثلاث شفاعات للنبي ﷺ؛ وهذه الشفاعة الأولى؛ وهي الشفاعة في أهل الموقف.

والشفاعة الثانية: التي سيذكرها هي الشفاعة في أهل الجنّة أن يدخلوا الجنّة.

والشفاعة الثالثة: الشفاعة فيمن استحق النّار أن يخرجوا منها؛ وهذه الثالثة ليست خاصة بالنبي ﷺ؛ هي له ولغيره من الأنبياء؛ بل وللمؤمنين أيضاً.

فالأولى والثانية هما خاصتان بالنبي ﷺ، وهناك شفاعة أخرى خاصة بالنبي ﷺ؛ وهي شفاعته في أبي طالب، قد شفع النبيُ ﷺ في أبي طالب فأُخرج من قعر النّار إلى ضحضاح من النّار، فوُضعت جمرتان في أُخمص قدميه يغلي منهما دماغه، وهذا أهون أهل النّار عذاباً نسأل الله السلامة والعافية.

والشفاعة الأولى التي ذكرها المؤلف وهي الشفاعة لأهل الموقف، نحن نذكر الحديث كاملاً لما فيه من الفوائد التي لابدّ لطالب العلم من معرفتها؛ وهو حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، جاء فيه تفصيل طويل في مسألة الشفاعة وما يحدث يوم القيامة.

عن أبي سعيد الخدري: أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قال رسول الله ﷺ: "نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ"، قَالُوا: لاَ، قَالَ: "وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟": قَالُوا: لاَ، قال: "مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا".

أي: إنّكم كما ترون القمر والشمس بوضوح؛ سترون ربّكم تبارك وتعالى كذلك.

قال: **"إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَى اليَهُودُ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيقولونَ: عَطِشْنا يا رَبَّنا فَاسْقِنا، قال: فَيُشارُ إِلَيْهِمْ: أَلا تَرِدونَ؟ فَيُحْشَرونَ إلى جَهَنَّمَ كَأَنَّها سَرابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطونَ في النَّارِ، حَتَّى إذا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كانَ يَعْبُدُ الله تعالى مِنْ بَرٍّ وفاجِرٍ، أَتاهُمْ رَبُّ العالمينَ سبحانه وتعالى في أَدْنى صُورَةٍ مِنَ التي رَأَوْهُ فيها، قال: فماذا تَنتَظِرونَ؟ تَتْبَع كُلُّ أُمَّةٍ ما كانتْ تَعْبُدُ، قالوا: يا ربّنا، فارَقْنا النَّاسَ في الدُّنْيا أَفْقَرَ ما كُنَّا إليهم، ولَمْ نُصاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ".**

يعني: كنا في غربة الدنيا وبُعدٍ عن الناس وكنا بحاجة إلى مصاحبتهم.

"فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟"

يعني: علامة.

"فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً"

يعني المنافقين.

"إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ"

هذا هو الصراط

"وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ"

يعني: أنّ الأقدام لا تستقر عليه، ولا يستطيع المرء أن يمشي عليه بسهولة.

"فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ".

يعني: مخدوش، يُخدش ويُطلق ويذهب يستمر في مشيه

"وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"

يسقط في جهنم

"حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ"

انظروا! الذين في النّار يُصلون ويُصومون ويحجُّون.

"فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}.

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"

فيه إثبات شفاعة الملائكة وشفاعة النبيين وشفاعة المؤمنين

"فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟" فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: "فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا ".

هذا حديث من أحاديث الشفاعة، وقد جاءت أحاديث كثيرة؛ منها أيضاً حديث أبي هريرة وغيره؛ وفيها: أنّهم يأتون الأنبياء ويطلبون منهم الشفاعة في أن تقوم الساعة،

فيقول كلّ نبيٍّ من الأنبياء: نفسي نفسي، حتى يأتون إلى النبي ﷺ فيذهب ويشفع فيقبل الله تبارك وتعالى شفاعته.

قال في حديث أنس: قال رسول الله ﷺ: **"يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو الْخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ قَالَ: " فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى ﷺ ، الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ "، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ " - قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ - قَالَ " فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ".**

هذا يدلّ على الشفاعات المذكورة في كلام المؤلف رحمه الله.

قال المؤلف: (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّة)

هذا كما جاء في الحديث الذي ذُكر آنفاً: "يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تُزلف لهم الجنّة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنّة..."، وذكر الحديث، وفيه: "فيأتون محمداً فيقوم فيُؤذن له"، أي: باستفتاح الجنّة، وفي حديث أنس في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك".

قال: (وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا، وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ)

كما تقدم في حديث أبي سعيد.

قال: (وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ)

وهذا كما صحّ أيضاً في الصحيحين عن النبي ﷺ.

قال: (وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ)

التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وغيرها.

قال: (وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ)

فمن أراد هذه الأخبار فليبحث عنها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وليعتقده وليأخذ به ولا يردّه كما تفعله المبتدعة، فالخوارج والمعتزلة خالفوا في مسألة الشفاعة التي ذكرناها آنفاً، ولم يثبتوا الشفاعة لأهل الكبائر بناءً على أصلهم الذي يؤصلونه من أن مرتكب الكبيرة مُخلّد في نار جهنم؛ فهم يردّون هذه الأحاديث المتواترة الكثيرة التي ثبتت عن النبي ﷺ.

مبحث القدر.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصل: وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**

أمّا تعريف القدر فهو في اللغة: مصدر قدّرتُ الشيء، أُقدِّره، إذا أحطتُ بمقداره، وأمّا القضاء لغة فهو: الحكم والفصل، وشرعاً هو: ما قضى به الله سبحانه في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير؛ هذا تعريف القضاء والقدر شرعاً ولغة.

وقد اختلف العلماء في التفريق بين القضاء والقدر؛ فبعضهم قال: من الناحية الشرعية لا فرق بين القضاء والقدر.

والصحيح: أنّهما كلمتان إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا، بمعنى أنّ القضاء والقدر إذا اجتمعتا في الكلام افترقتا في المعنى، فيكون معنى القدر غير معنى القضاء على ما بيّنا سابقاً، وإذا افترقتا في الكلام اجتمعتا في المعنى؛ فيدخل في كلمة القضاء القدر ويدخل في كلمة القدر القضاء، ويكون المعنى شاملاً للخلق والإيجاد والإعدام والتغيير ولتقدير ذلك في الأزل، يكون المعنى شاملاً لهذا وهذا؛ هذا هو القول الصحيح في المسألة.

ونزيد توضيح الفرق بين القضاء والقدر بالمثال- ولله المثل الأعلى-: لو أنّك أردت أن تبني بيتاً أول أمرٍ تفعله هو أنّك تذهب إلى مهندس ليرسم لك خريطة البيت؛ طوله، وعرضه، وعدد غرفه، أين يقع المطبخ؟ أين يقع الحمام؟ ...إلخ؛ هذا يُسمى تقديراً، ثم تذهب إلى المقاول كي يباشر العمل، فيُطبق الخريطة على الواقع؛ هذا الذي يسمى القضاء، ولله المثل الأعلى؛ هذا مثال فقط لتقريب المعنى للأذهان.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن يؤمنوا بالقضاء والقدر؛ لقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}؛ وهذا كلّه وغيره كثيرٌ يدلّ على إثبات القضاء والقدر، وجاء في حديث جبريل في "الصحيحين" عندما سأل النبيّ ﷺ عن الإيمان قال في آخره: "وأَنْ تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ"؛ كلّه من عند الله تبارك وتعالى.

الخير: ما يُلائم طبيعة الإنسان.

والشرّ: ما لا يلائم طبيعة الإنسان.

وهل يُقال إنّ في قدر الله شرّاً؛ وقد قال ﷺ: "والشرّ ليس إليك"؟

أجاب أهل العلم عن هذا فقالوا: الشرّ في القدر ليس باعتبار تقدير الله له؛ لكنّه باعتبار المقدور له، يعني: ما قدّره الله سبحانه وتعالى- ما هو من فعل الله- لا يكون شرّاً أبداً، فعندنا قدر ومقدور كما عندنا خلق ومخلوق، فباعتبار تقدير الله له؛ ليس بشرٍّ، بل هو خير حتى وإن كان لا يُلائم الإنسان ويؤذيه ويضرّه، لكن باعتبار المقدور؛ فنقول: المقدور إمّا خير وإمّا شرٌّ، فـ "القدر خيّره وشرّه" يُراد به المقدور خيره وشرّه.

وضرب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه على "الواسطية" مثلاً لهذا الكلام الذي تقدم؛ فقال: (ونضرب لهذا مثلاً في قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا

كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}؛ قال: ففي هذه الآية بيّن الله عزّ وجل ما حدث من الفساد وسببه والغاية منه، فالفساد شرٌّ وسببه عمل الإنسان السيء والغاية منه: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} فكون الفساد يظهر في البرّ والبحر فيه حكمة، فهو نفسه شرٌّ؛ لكن لحكمة عظيمة بها يكون تقديره خيراً، كذلك المعاصي والكفر شرٌّ وهو من تقدير الله؛ لكن لحكمة عظيمة، لولا ذلك لبطلت الشرائع، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً).

هذا ما يتعلق بمبحث الخير والشرّ.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصلٌ: وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ: فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ ما الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا)**

إذن: عندنا للقدر مراتب، من آمن بهذه المراتب؛ فهو مؤمن بالقدر، ومن لم يؤمن بها؛ فليس بمؤمن بالقدر، هذه المراتب هي أربع مراتب جعلها المؤلف رحمه الله في درجتين، وجعل لكلّ درجة مرتبتين؛ هي بالجملة أربع مراتب:

الأولى: الإيمان بأنّ الله عَلِمَ ما الخلق عاملون بعلمه القديم، أي: مرتبة العلم، أن تؤمن بعلم الله في كلّ شيء، الله سبحانه وتعالى عَلِمَ كلّ شيء، فالله سبحانه وتعالى لا يجهل شيئاً؛ لا أفعال العباد ولا غيرها، {أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}، {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة متواترة، ولا يُنكر هذه المرتبة مؤمن، ومن أنكرها كفر؛ فهو يصف الله تبارك وتعالى بالجهل، وممن أنكرها القدرية القدامى: نُفاة العلم، وهؤلاء الذين ينفون العلم كفّرهم السلف، فبالاتفاق أنّهم كفّار وليسوا مسلمين.

(الإيمان بأنّ الله عَلِمَ ما الخلق عاملون بعلمه القديم) أي: عِلمُه الأول الذي لا ابتداء له.

(الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً) العلم: عِلم الله تبارك وتعالى، الله سبحانه وتعالى موصوف بالعلم أزلاً، يعني: من القدم، ليس عندنا وقت في الماضي نستطيع أن نقف عنده ونقول بدأ العلم من ذاك الوقت، لا، ما له بداية، من القديم وهو موصوف بالعلم، وأبداً: أي إن علمه باقٍ إلى الأبد، ليس عندنا وقت ينتهي إليه، نقول سينتهي علمه عند ذاك الوقت؛ لا.

قال: **(عَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ)**

كلّ ذلك معلوم كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود: "إنّ أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ"، ثم ذكر أطوار الجنين في بطن أمّه، ثم قال: "ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكَاً فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ وَيُقالُ: اكْتُبْ: عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وشَقيٌّ أَوْ سَعيدٌ"، كلّ هذا يُكتب بناءً على عِلم الله تبارك وتعالى بهذا كلّه؛ هذه المرتبة الأولى، وكما ذكرنا: خالفت فيها غلاة القدرية الذين ينفون عِلم الله تبارك وتعالى وهؤلاء كفّار بالاتفاق، وهؤلاء- تقريباً- لا وجود لهم اليوم.

قال: **(ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ)**

هذه المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة؛ كتب الله تبارك وتعالى في اللوح المحفوظ- لوح عند الله تبارك وتعالى؛ هذا ما وُصف لنا منه- كتب فيه ربنا تبارك وتعالى مقادير كلّ شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الأدلة الصحيحة.

قال: **(فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**

هكذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ؛ قال له: اكْتُبْ؟ قال القلمُ: ما أكتُبُ؟ قال: اكْتُبْ ما هو كائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ"، إذن فالله سبحانه وتعالى

عَلِم ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، وكتبه عنده في اللوح المحفوظ؛ وهذا يشمل ما الخلق فاعلون من كفرٍ وإيمان وطاعة ومعصية وغير ذلك.

قال: **(فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلاَمُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قالَ سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ})**

لأنّ كلّه مكتوب عند الله تبارك وتعالى ومقدّر عليه، كما قال النبي ﷺ لابن عباس: "واعْلَمْ أَنَّ النّاسَ لو اجْتَمَعوا على أنْ يَنْفَعوكَ بِشَيء لَنْ يَنْفَعوكَ إلّا بِشَيء قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ، ولو اجْتَمَعوا على أَنْ يَضُرّوكَ بِشيءٍ لَنْ يَضُرّوكَ إلّا بِشَيء قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"، انتهى كلّ شيء، من آمن بهذه الكلمات حقَّ الإيمان؛ توكل على الله تبارك وتعالى، واعتمد عليه في كلّ أمره بحقٍّ، ولم يتعلق قلبه في طلب الرزق والحاجات بالناس والمخلوقين.

قال: (جَفَّتِ الأَقْلاَمُ) أي: أقلام القدر التي كتبت بها المقادير.

قال: (وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ) التي كتبت فيها المقادير.

قال: (كَمَا قَالَ سبحانه تَعَالَى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ})

هذه الأدلة يسوقها المؤلف: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} إذن: هذا عِلم الله تبارك وتعالى واسع لكلّ شيء، {إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} قد كتب كلّ ذلك في كتاب عنده، أي: في اللوح المحفوظ، {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} لا يعسر عليه شيء تبارك وتعالى.

قال: (وَقَالَ: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ})

{مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها} أي: من قبل أن نخلقها وهي موجودة في الكتاب.

قال: (وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ)

أي: هذا التقدير من أين جاء؟ هو تابع لعِلم الله، عَلِمَ الله سبحانه وتعالى؛ فكتب.

قال: (يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً)

في بعض المواضع يَكتبه بالتفصيل، وبعض المواضع يكتبه بالجملة.

قال: (فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؛ وَنَحْوَ ذَلِكَ)

إذن كلّ شيء يُكتب؛ لكنه في بعض المواضع يُكتب بالتفصيل وفي بعض المواضع يُكتب بالجملة، وهذا الحديث الذي ذكره المؤلف في "الصحيحين" هو حديث عبد الله بن مسعود؛ حديث الكتابة.

قال: (فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ)

الذي هو العلم والكتابة.

قال: (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ)

وضع المؤلف العلم والكتابة اللذان هم مرتبتان في درجة واحدة- مرتبة العلم ثم مرتبة الكتابة وضعهما في درجة واحدة-، ثم انتقل إلى الدرجة الثانية ووضع فيها مرتبتين؛ وهما مرتبة المشيئة ومرتبة الخلق.

قال: **(فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُن)**

هذه الدرجة الثانية: درجة المشيئة، أن تؤمن أنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً}، وقال:{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا}، وقال: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، هذه الآيات كلّها وغيرها من الآيات والأحاديث تدلّ على مشيئة الله تبارك وتعالى النافذة.

قال: **(وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ؛ إلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ)**

لا شيء يخرج عن مشيئة الله تبارك وتعالى في هذا الكون، كلّ شيء يشاؤه الله سبحانه وتعالى، كُفر الكافر يشاؤه الله سبحانه وتعالى، لو لم يشأ الله كفر الكافر لما كَفَر.

بعض الناس يفهم من هذا: الجبر؛ أنّ الله سبحانه وتعالى جبره وألزمه بالكفر؛ لا، هذا باطل، هذا الفهم غير صحيح، العبد يفعل بقدرته وإرادته التي أعطاه الله سبحانه وتعالى إياها، فهو يختار ما بين الكفر والإيمان؛ لكنّه إذا اختار الكفر لا يعني ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد الايمان لا يقدر على أن يجعله مؤمناً، لا؛ كلّ شيء يحصل في هذا الكون فهو بمشيئة الله تبارك وتعالى.

قال: **(لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ)**

لا يمكن أن يكون في مُلك الله ما لا يريده الله.

والإرادة قسمان: إرادة شرعية وإرادة كونية.

الإرادة الشرعية: هي ما يحبه الله ويرضاه، فكلّ ما أمر الله تبارك وتعالى به في الكتاب أو في السنة فهو يحبّه ويرضاه، فهو يريده شرعاً أن يكون، لكن لا يلزم أن يكون أي يوجد، فالله سبحانه وتعالى يريد من النّاس جميعاً أن يؤمنوا إرادة شرعية، لكن آمن البعض وكفر البعض.

والإرادة الثانية: الإرادة الكونية؛ وهذه تتعلق بما وقع، فكلّ ما يقع في هذا الكون فيريده الله كوناً، لا شيء يخرج عن إرادة الله الكونية، والمشيئة بمعنى الإرادة الكونية، فكلّ شيء واقع؛ أراده الله كوناً، كُفر الكافر أراده الله كوناً ولم يرده شرعاً، بهذا تُفرّق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؛ فالكفر يَبغضه الله، لا يحبه، فليس هو مراداً شرعاً له، ولكن كونه وقع؛ إذن فيريده الله كوناً؛ لأنّه لا شيء يخرج عن إرادة الله تبارك وتعالى الكونية.

قال: **(وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ)**

الله سبحانه وتعالى قدرته تامة كاملة، {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} سواء كان هذا الشيء موجوداً أو كان معدوماً؛ فالله سبحانه وتعالى قادر على كلّ شيء.

قال: **(فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ)**

إذن كلّ شيء في هذا الكون من المخلوقات فهو مخلوق لله تبارك وتعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}، {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} فكل هذا الخلق خلقٌ لله تبارك وتعالى بما في ذلك أفعال العباد؛ كلّها مخلوقة لله، لكنّ العبد لا يُكره على الكفر، عندما يَكفر يَكفر بإرادته، ومعنى أنّ الله سبحانه وتعالى خلقه، ففعل العبد من كفر وإيمان لا يحصل إلّا بإرادته وقدرته، وإرادته وقدرته مخلوقة لله تبارك وتعالى.

قال: **(لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ)**

هو الذي خلقهم، وهو الذي أمرهم بطاعته، فمنهم من يُطيع ومنهم من لا يُطيع، فالله سبحانه وتعالى خلقهم؛ خلق لهم إرادة وخلق لهم قدرة، ولهم اختيار، وأمرهم بالطاعة ونهاهم عن المعصية.

قال: **(وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ)**

أي: العادلين في أحكامهم {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}

قال: **(وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ)**

أي: الأفعال القبيحة والسيئة والمنكرة.

قال: **(وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُمْ)**

كيف تجمع بين أنّ الله سبحانه وتعالى قدّر أفعال العباد وأرادها كوناً وبين كون العبد فاعلاً حقيقة ؟

بأن تعلم أنّ العبد لا يفعل أفعاله إلّا بإرادته وقدرته، والإرادة والقدرة مخلوقتان لله، فأفعال العبد مخلوقة لله لكنّ العبد يفعل فعلاً حقيقياً؛ يختار ما بين الكفر والإيمان حقيقة، والله خالق أفعالهم، كما قال الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وبيّن أنّه خالق كلّ شيء وأنّه خلق العباد وخلق أفعالهم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ)**

انظر! المؤلف يحاول أن يبين لك كيف تفهم هذه الحقيقة وهي: أنّ الله سبحانه وتعالى خالق كلّ شيء، ومن ذلك أفعال العباد، وأنّ العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة؛

قال: (وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً وَاللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم) لا يُؤمن العبد بالقدر إيماناً تاماً حتى يؤمن بهاتين الفقرتين:

الأولى: العباد فاعلون حقيقة.

الثانية: الله خالق أفعالهم.

لا بد أن تجمع بين هذين الأمرين حتى تُخالف أهل البدع والضلال.

قال: (وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ) إذن فهو يفعل حقيقة، يفعل إيمانه، يفعل كفره؛ كله بيده.

(وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ) البرّ: الصالح المطيع، والفاجر: العاصي.

قال: **(وِلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ)**

خلقها الله سبحانه وتعالى لهم.

قال: **(وَلَهُمْ إِرَادَةٌ)**

ويفعلون بقدرتهم وإرادتهم.

قال: **(وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخالِقُ وَقُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ})**

{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} أثبت الله تبارك وتعالى له مشيئة، ثم قال: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فلا يمكن للكافر أن يكفر والله سبحانه و تعالى لا

يشاء له الكفر أبداً؛ لأنّه لا شيء في هذا الكون يخرج عن مشيئة الله، لو أراد الله له الإيمان لآمن، لكنّ الله سبحانه وتعالى تركه واختياره.

قال: **(وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ)**

هذه الدرجة التي هي درجة المشيئة والخلق؛ أنّ الله سبحانه وتعالى شاء أفعال العباد التي وقعت من إيمان وكفر وغير ذلك، وهو الذي خلقها؛ هذه الدرجة يُكذب بها عامة القدرية.

وقوله: (الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ) هو حديث ضعيف في هذا لا يصحّ، ولكنهم يشتركون مع المجوس في كون المجوس قد أثبتوا خالقين وهؤلاء كذلك قد أثبتوا خالقين، يقولون: الله سبحانه وتعالى خالقُ الأشياء كلّها والعباد خالقون لأفعالهم، أفعال العباد هذه ليست داخلة تحت خلق الله، الله سبحانه وتعالى لم يخلقها ولا هي داخلة تحت مشيئته، فالعبد هو يشاء من نفسه ويخلق بنفسه أفعاله، فلو شاء الله سبحانه وتعالى من العبد الإيمان وشاء العبد الكفر؛ يحصل الكفر ولا يحصل الإيمان؛ فجعلوا مشيئة العبد أقوى من مشيئة الله في هذا.

قال: **(وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ)**

هؤلاء الجبرية الذين خالفوا في هاتين المرتبتين؛ هم: القدرية والجبرية.

القدرية: عامتهم- جميع القدرية- يُخالفون في هذه المسألة وهي المشيئة والخلق، فالقدرية لا يُثبتون أنّ الله سبحانه وتعالى شاء أفعال العباد ولا خلقها.

الجبرية: بالعكس يقولون الله سبحانه وتعالى شاءها وخلقها، والعبد لا قدرة له على شيء، وحركاته وتصرفاته بمنزلة تحرك ورقة الشجر في مهبّ الريح، لا حول لها ولا قوّة، كذلك بالنسبة للعبد عندهم، فالعبد مجبور على كلّ شيء؛ وهذا باطل وذاك

باطل، وقد ذكرنا طريقة الجمع بين الأمرين، ولكنّ أهل البدع كعادتهم يأخذون ببعض الأدلة ويتركون البعض الآخر.

قال: **(وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا)**

يعني: أنّ الله سبحانه وتعالى لا يفعل لحكمة ولا يفعل لمصلحة، هكذا عندهم الأمر، فهو يفعل ويحكم لمجرد مشيئته، لأنّه شاء فعل فقط، ولهذا يُثيب المطيع وإن كان المطيع مجبراً على فعله، ويعاقب العاصي وإن كان العاصي مجبراً على فعله، ويقولون: هذا ليس بظلم؛ لأنّ الظلم عندهم: التصرف في ملك الغير، فالله سبحانه وتعالى متصرف في ملكه- هكذا عندهم هؤلاء- وهذا ضلال عريض، والحقّ ما ذكرناه من عقيدة أهل السنة والجماعة وبها تجتمع الأدلة.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ)**

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان.

الإيمان في اللغة: هو التصديق، وقال بعض أهل العلم: هو الإقرار، والذي يهمنا هنا: هو المعنى الشرعي.

الإيمان بالمعنى الشرعي: هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان؛ هذا هو تعريف الإيمان، فإذا تحققت هذه الأركان الثلاثة في العبد؛ صار مؤمناً، وإذا لم تتحقق هذه الثلاثة الأركان؛ لا يكون مؤمناً، كما قال الإمام الشافعي: لا يجزئ أحد هذه الثلاثة عن الآخر؛ أي: كلّ واحد لا بدّ أن يكون أصله موجوداً عند المؤمن حتى يُسمى مؤمناً، هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ فهو مكوّن من ثلاثة أركان: الاعتقاد والقول والعمل، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال: "الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعونَ شُعْبَةً؛ أَعْلاها لا إِله إِلَّا الله، وأَدْناها إِماطَةُ الأَذى عَنِ الطَّريقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ"؛ فجمع هذا الحديث: الاعتقاد والقول والعمل، ودلّت أدلة الكتاب وأدلة السنة المتواترة على أنّ الإيمان يكون بهذه الثلاثة.

أجمَلَ المؤلف رحمه الله عند تعريف للإيمان؛ فقال: (قَوْلٌ وَعَمَلٌ)؛ ثم فصَّل وبيّن ما مراده من القول والعمل، فقال: (قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ)؛ فالقول للقلب وللسان، والعمل للثلاثة.

والمقصود بقول القلب: الذي هو التصديق- تصديقه-.

والمقصود بقول اللسان: هو النطق بالشهادتين.

والمقصود بعمل القلب: هو أعمال القلوب من: الإخلاص والحبّ والبغض والخوف والرجاء والتوكل وما شابه؛ كلّ هذه من أعمال القلوب، وتسمى عملاً للقلب.

وعمل اللسان هو: الأذكار؛ التسبيح والتهليل والاستغفار وما شابه؛ هذا من عمل اللسان.

وأمّا عمل الجوارح فمعلومة؛ كالصلاة والصيام والحجّ وما شابه.

فالإيمان يتكون من هذه الثلاثة: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان.

قال: **(وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ)**

الإيمان عند أهل السنة يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، كلّما تعبد العبد زاد إيمانه، وكلّما ترك عبادة أو فعل معصية نقص إيمانه، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة كثيرة؛ منها قول الله تبارك وتعالى: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} ، ومنها قوله: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}، ومنها قول إبراهيم عليه السلام لمّا قال له ربنا تبارك وتعالى: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}؛ زيادة في الإيمان، إذن: فالإيمان يزيد وينقص، وفيه نقصان كما قال النبي ﷺ في النساء: "ما رَأَيْتُ مِنْ ناقِصاتِ عَقْلٍ وَدينٍ مِنْ إِحْداكُنَّ"،

فينقص الإيمان ويزيد؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

خالف في ذلك طائفتان:

الطائفة الأولى: الخوارج؛ وهؤلاء هم الذين يقولون كما يقول أهل السنة والجماعة بأنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، لكن ما الفرق بينهم وبين أهل السنة؟

أهل السنة يقولون: أعمال الجوارح من الإيمان، لكن إذا ذهب بعضها لا يذهب الإيمان بالكلية، يعني إذا كان الشخص تاركاً للصوم لا يذهب إيمانه، إذا زنى لا يذهب إيمانه، أمّا الخوارج فيقولون: يذهب إيمانه؛ لأنّ الإيمان عندهم لا يتبعض، إذا ذهب بعضه ذهب كلّه، وهذا الأصل هو نفسه الأصل الموجود عند أعدائهم ومن يضادهم في عقيدتهم وهم المرجئة؛ المرجئة أيضاً قالوا: الإيمان لا يتبعض، ولكن الفرق بين المرجئة والخوارج أنّ الخوارج قالوا: بأنّ الإيمان هو اعتقاد وقول وعمل.

وأمّا المرجئة فقالوا: لا؛ الأعمال - أعمال الجوارح - لا تدخل في الإيمان؛ فصار الإيمان عندهم الإيمان: هو اعتقاد فقط- على خلاف بينهم أنفسهم-، فقال هؤلاء المرجئة: هو جزء واحد أيضاً لا يتبعض.

فصار عندنا طرفان ووسط:

الخوارج قالوا: الإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ لكنّ الأعمال كلّها من أصل الإيمان، فإذا زال عمل من الأعمال؛ زال الإيمان.

أما المرجئة؛ فقالوا: أعمال الجوارح ليست من الإيمان؛ إذن فمحل الخلاف هو أعمال الجوارح- هي محل الخلاف-.

وأما أهل السنة؛ فقالوا: بأنّ أعمال الجوارح من الإيمان.

جميع طوائف المرجئة تتفق في هذا الأصل؛ وهو إخراج أعمال الجوارح عن الإيمان، الخوارج يُدخلون أعمال الجوارح؛ لكنهم يقولون: إذا ذهب عمل؛ ذهب الإيمان، إذا

ذهب عمل كالصوم والصلاة والزكاة وما شابه ذهب الإيمان، إذا ارتكب الشخص معصية كبيرة ذهب إيمانه كالزنى والسرقة وشرب الخمر وما شابه؛ هذه عقيدة الخوارج وتلك عقيدة المرجئة.

وأهل السنة وسط بينهما، يقولون: أعمال الجوارح من الإيمان ولكن لا يَكفر الشخص إلّا بأن يترك أعمال الجوارح بالكلية، أمّا إذا ترك عملاً أو عملين أو ارتكب ذنباً أو ذنبين؛ فهنا لا يكفر، ونعني بالذنوب: كشرب الخمر وما شابه.

هنا مسألة مهمة: تقريباً هذه المسائل التي ذكرناها من عقيدة أهل السنة في مسائل الإيمان معلومة عند الجميع وأدلتها أصبحت واضحة، لكن لمعنى الإيمان هذا لوازم تلزم على تعريف الإيمان؛ تعريف الإيمان هذا له لوازم:

إذا قلت بتعريف الخوارج لزمتك لوازم، وإذا قلت بتعريف المرجئة لزمتك لوازم، وإذا قلت بتعريف أهل السنة لزمتك لوازم؛ ماهي؟

أهم ما نريد أنّ نركز عليه في هذا هو مسألة الكفر.

تعريف الكفر عند أهل السنة والجماعة هو: ما يضاد الإيمان، وعند المرجئة: ما يضاد الإيمان، وعند الخوارج: ما يضاد الإيمان؛ لماذا؟ لأنّ المسألة لازمة لتعريف الإيمان، فإذا قلت في الإيمان تعريفاً يكون ضدّه الكفر.

مثال ذلك: أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، والكفر ضدّه، فيكون الكفر عندهم بالاعتقاد والقول والعمل، كما أنّ الإيمان عندهم بالاعتقاد والقول والعمل.

كذلك الخوارج يقولون: الكفر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، لكن بناء على أصلهم بما أنّ الكفر يكون بالعمل سواء كان مما يُكفّر به أهل السنة أو لا يكفرون به كارتكاب الكبائر.

أما المرجئة فيقولون: الكفر لا يكون بالعمل؛ لأنّ تعريف الإيمان عندهم ليس فيه عمل؛ أعمال الجوارح ليست من الإيمان عندهم، يقولون: الإيمان هو التصديق، فإذا قلت الإيمان هو التصديق؛ فيكون عندك الكفر ضد التصديق؛ وهو التكذيب، فإذا قلت بأنّ الكفر هو التكذيب؛ فأنت تقول ولابد بأنّ الإيمان هو التصديق؛ فتخرج أعمال الجوارح من الإيمان؛ فيلزمك أحد أمرين لا ثالث لهما:

إمّا أنّك تقول بهذا القول وهو قول المرجئة الصارخ، أو أنّك رجل متناقض لا تعقل ما يخرج من رأسك جاهل بالمسائل العلمية؛ لا ثالث لهما؛ لأنّ الكلّ علم أنّ الإيمان والكفر ضدان والتزموا بهذه اللوازم حتى جئت أنت وتخبطت وأتيت بأقوالٍ مشرقاً ومغرباً.

فإذا فهمنا هذا؛ فهمنا التخبطات التي تحصل عند بعض المتعالمين في زمننا هذا، يأتي ويقول: (الإيمان اعتقاد وقول وعمل) فتفرح وتقول له: جزاك الله خيراً، تبارك الله هذا الرجل من أهل السنة، فإذا جاء يعرف الكفر؛ قال: الكفر هو التكذيب، وعندما أراد أن يُحسّن الوضع قليلاً فرّق بين الكافر كفراً أصلياً وبين الكافر كفراً مرتداً بذلك، فقال: الكفر الأصلي هو أنواع كما يقسّمه أهل السنة: كفر شك، كفر تكذيب، كفر جحود، كفر استكبار ... إلخ، لكن كفر الرّدّة هذا لا يكون إلّا بالتكذيب، فلسفة جديدة وبدعة جديدة من هذا الرجل؛ لذلك وصفه أهل العلم بالإرجاء، وبأنه قائد المرجئة في المملكة.

لماذا هذا التخبط الجديد الذي نتج عن جهل بمسائل الإيمان؟

لأنّ الرجل لم يأخذ المسائل العقائدية عن العلماء، ما درسها دراسة، إنما هي ثقافة من هنا وهناك؛ لذلك وقع في هذا التخبط العجيب، المهم في الموضوع، هذه منها.

الآن لمّا علمنا بهذا اللازم، إذن ننضبط فنقول: إذا اعتقدنا بأنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ فيكون الكفر عندنا اعتقاد وقول وعمل، من سبّ الله تبارك وتعالى؛ كَفَرَ كُفراً عملياً، من سجد للصنم كفر كفراً عملياً.

ماذا يقول المرجئة في مثل هذا؟

الكفر عندهم لا يكون بالعمل؛ يقولون لمّا حكم الشارع عليه بأنّه كفر علمنا بذلك أنّه دليل على الكفر الذي في القلب؛ فالكفر عندهم لا يكون إلّا بالتكذيب، فبناء على ذلك الأعمال لا تكون كفراً، لكن أشكل عليهم الأمر؛ كيف لا تكون الأعمال كفراً وقد حكم الله على مثل هذه الأفعال بأنّها كفر؟

قالوا: هو دليل على الكفر الذي في القلب؛ لذلك سُمي كفراً.

تحريف ولف ودوران؛ هذا ضابطهم في الكلام، يأتي ويقول: هذا ليس كفراً؛ بل هو دليل على الكفر؛ لماذا؟ لأنّه يلتزم بهذا.

ونحن مشكلتنا اليوم مع المتناقضين؛ لأنّ دعوة أهل السنة- بحمد الله- قوية لها شوكتها؛ لذلك يتلبس بها من ليس من أهلها، ومن وجدت في قلوبهم عقيدة أهل البدع فخافوا أن يُصرحوا بهذا؛ فأخذوا يذكرون ما يستنكره صغار أهل السنة قبل كبارهم، يذكرونه بناء على السنة؛ لكنهم بعد ذلك يذكرون اللوازم التي في نفوسهم؛ فنحن نَحذر من هذه المسألة.

قال المؤلف: **(وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ)**

أي: مع قولهم أنّ الإيمان قول وعمل.

قال: **(لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ)**

هذا فارق هنا؛ لماذا قال: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ)؟

لأنّه وإن التقى الخوارج معهم في تعريف الإيمان؛ إلّا أنّهم يختلفون معهم في هذه المسألة؛ وهي: التكفير بالكبيرة، الخوارج يُكفّرون بالكبيرة، وأهل السنة وإن أدخلوا الأعمال في الإيمان إلّا أنّهم لا يُكفّرون صاحب الكبيرة، ومقالة ابن تيمية رحمه الله هنا دقيقة، أدقّ من مقالة صاحب الطحاوية عندما قال: (ولا يُكفّرون بذنب مالم يستحله) العبارة هنا

هي الدقيقة، قال: (لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ)، أي: لا يُكفّرون بأي معصية أو أي كبيرة، فمن المعاصي ما هي كفر، ومن الكبائر ما هو كفر، فيُكفّرون به، فيُكفّرون من حكم عليه الشارع بالكفر، ومن لم يحكم عليه بالكفر فلا يُكفّرونه، فمرتكب الزنى أو الرّبا أو غيرها من المعاصي مثل هذا لا يُكفّرونه؛ هذا مرتكب لكبيرة؛ والخوارج يُكفّرونه.

(لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ) يعني المسلمين الذين يشهدون الشهادتين ويستقبلون قبلة المسلمين، لا يُكفّرونهم بأيِّ معصية أو أيِّ كبيرة، (كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ)؛ فإنهم يُكفّرون بأي كبيرة.

قال: **(بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي)**

يعني صاحب المعصية هو أخ للمؤمن وإن ارتكب معصيته؛ فهو مؤمن مثله، لكن الفرق بينهما في الزيادة والنقصان، أما أصل الإيمان؛ فثابت في الاثنين.

قال: **(كَمَا قَالَ سُبْحَانَه فِي آيَةِ القِصَاصِ: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ})**

القاتل إذا قَتَل؛ فهو مرتكب لكبيرة، وصاحب الدم إذا عَفى عن الدّم الذي له- عَفَى عن القاتل-؛ قال: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ} فسمّى صاحب الدّم والقاتل إخوة، أثبت لهم الأُخوة، أيّ أُخوة؟ الأخوة الدينية؛ ليس عندنا في الإسلام إلّا أخوة واحدة؛ هي: أخوة الدين التي يُعقد عليها الولاء والبراء؛ ليس عندنا غير هذا؛ لا وطنية ولا حزبية ولا غير ذلك، نوالي ونعادي على الدّين فقط.

{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ} أي: أخيه المؤمن، فلمّا أثبت لهما الأخوة الإيمانية؛ دلّ على أنّ مرتكب الكبيرة ليس بكافر.

قال: (وَقَالَ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ})

فسمّاهم كلّهم إخوة بالإيمان {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} وهم المتقاتلان.

قال رسول الله ﷺ: "إذا التقى المُسْلِمانِ بِسَيْفَيْهِما؛ فالقاتِلُ والمَقْتولُ في النَّارِ"؛ فقد ارتكبا كبيرة من الكبائر، لكن مع ذلك أثبت الله تبارك وتعالى لهما الإيمان، إذن فمرتكب الكبيرة مؤمن وليس بكافر؛ وهذا بالنسبة للكبيرة التي لم يثبت بالشرع أنّها كفر.

قال: (ولاَ يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمِ الايمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ)

الفسق هو: الخروج في أصله، والفاسق في الشرع هو مرتكب الكبيرة أو المصرّ على الصغيرة، فالفاسق الملي؛ هو الذي من ملّة الإسلام- فهو فاسق ملّي؛ يعني من ملّة الإسلام-؛ ولكنّه مرتكب لذنب فَسَقَ به، فأهل السنة لا يسلبونه الإسلام بالكلية، يعني: لا يقولون هو كافر، لا يُكفّرونه بما فعل من معصية وذنب لا يَكفر به.

قال: (وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ.)

فلا يقولون: هو كافر ولا يقولون: هو مخلد في النّار، الذين يقولون هو كافر: الخوارج، والذين يقولون هو مخلد في النّار: الخوارج والمعتزلة، المعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، بين الإيمان والكفر، فأثبتوا منزلة وسطى ليست في الشرع، ويقولون: هو في الآخرة مخلد في نار جهنم، يعني في النهاية وافقوا الخوارج.

أمّا أهل السنة فيقولون: هو فاسق بذنبه- بكبيرته- مؤمن بإيمانه، فيُسمّونه فاسقاً ولا يسمونه كافراً.

(وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار كَمَا تَقولُ المُعْتَزِلَةُ) والخوارج أيضاً.

قال: (بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الايمَان المطلق)

هنا الإيمان المطلق ليست على المعنى الاصطلاحي المعروف؛ إذا قلت الإيمان المطلق فالمراد منه الإيمان الكامل، وإذا قلت مطلق الإيمان فالمراد أصل الإيمان، هنا أطلق المؤلف هذه الكلمة ليس على هذا الاصطلاح؛ فالفاسق يدخل في اسم مطلق الإيمان يدخل في اسم أصل الإيمان، عند إطلاقك للاسم تقول المؤمنون فيدخل الفاسق ضمن هذا- إذا أطلقت الاسم- هذا معنى كلامه.

قال: (كَمَا فِي قَوْلِهِ: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ})

هل يدخل الفاسق أم لا يدخل؟

نعم يدخل؛ لأنّه أطلق اسم الإيمان، وهذا التمثيل فسر كلام المؤلف الذي يريده؛ يريد من ذلك أنّك إذا أطلقت اسم الإيمان فيدخل فيه الفاسق ويدخل فيه كامل الإيمان.

قال: (وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا})

{إنّما المؤمنون} هنا أطلق الإيمان؛ هل دخل فيه الفاسق أم لا؟

لا لم يدخل قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}) هذا الوصف هو وصف المؤمنين كاملي الإيمان، وليس المؤمن الفاسق داخلاً في مثل هذا؛ لذلك قال: (وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ) يعني: إذا أُطلق اسم الإيمان؛ فتارة يدخل الفاسق وتارة لا يدخل.

قال: (وَقَوْلُه ﷺ: "لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

ما المقصود هنا من هذا؟

المقصود هو الإيمان الكامل، من عنده إيمان كامل لا يزني حين يزني وهو مؤمن، وهنا الآن أطلق الإيمان ولا يدخل فيه الفاسق.

قال: (وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

كذلك لا يكون مؤمناً كامل الإيمان ويسرق؛ إنما يسرق عندما يكون ناقص الإيمان، كذلك الزاني يزني عندما يكون ناقص الإيمان، حين يكون كامل الإيمان لا يزني.

قال:(وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

كذلك.

قال: (وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

كذلك النهبة، والمقصود بالنهبة: أخذ المال على وجه الغنيمة؛ تأخذ المال كأنّك غنمته، هذا نَهْبٌ، أخذٌ للمال من غير وجه حقٍّ، هذا نهب ومحرم فلا يفعله المؤمن في حال كمال الإيمان عنده؛ وإنّما يفعله وهو ناقص الإيمان.

قال: (وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ: مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، ولا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ)

هؤلاء هم أهل السنة، لا يعطونه الاسم المطلق؛ يعني: الاسم الكامل؛ فلا يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان، لكنّه مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، كذلك: (لا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ) أي: أصل الاسم؛ يعني: لا يُنفى عنه الإيمان، فيسلب أصل الاسم تماماً، يبقى الإيمان موجوداً ولكنّه ناقص الإيمان.

هذه عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة، أمّا المرجئة فيقولون: هو مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمان جبريل وكإيمان أبي بكر وعمر، وأمّا الخوارج فيكفرونه، وأهل السنّة وسط بين الطرفين.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)**

هذا أصل عظيم عند أهل السنة والجماعة وهو سلامة قلوبهم؛ أي: أنّهم يحبون أصحاب النبي ﷺ ويترضون عنهم ويتولونهم- هذا معنى سلامة قلوبهم لهم-، وسلامة ألسنتهم: لا يذكرونهم إلّا بخير، ويثنون عليهم.

والصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك- هؤلاء هم الصحابة-، ونحن نَعرِف لهم فضلهم ونعرف لهم مكانتهم لكثرة الأدلة التي وردت في ذلك؛ منها قوله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، ومنها قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا}، وقال: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} وقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} وقال:{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} والآيات في هذا المعنى كثيرة، والسنن عن النبي ﷺ كثيرة؛ منها قوله ﷺ: "لوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍّ ذَهَبَاً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ"، وقال: "إذا ذُكِرَ أَصْحابي فَأَمْسِكوا"، هذا كلّه يدلّنا على فضل الصحابة وعلى مكانتهم.

من أين حصل الصحابة على هذه الفضيلة وعلى هذه المكانة؟

من نصرتهم للنبي ﷺ، ومن نصرتهم للإسلام؛ فالوقت الذي نصروا فيه الإسلام، يختلف عن وقتنا اليوم مثلاً، فنصرتك تختلف عن نصرة الصحابة رضي الله عنهم، في

وقت كان الدين في بدايته وكانت الدعوة في أولها، وقد تنكّب لها الكثيرون وأدار ظهره لها كثيرون أيضاً، هم ضحوا بالغالي والنفيس، ضحوا بأَنْفَسِ ما يملكون من أجل حمل راية لا إله إلا الله ومن أجل الدفاع عن النبي ﷺ فحصلوا على المكانة التي حصلوا عليها، انتبه للحديث الذي ذكرناه: "لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبَاً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ"؛ لماذا؟ لأنّ نفقة الواحد منهم، هذا المُدّ الذي كان في وقتٍ وزمنٍ الحاجة إليه أشدّ وأكبر من إنفاقك لجبل من الذهب؛ فالمسلمون كانوا محتاجين لمثل هذه النفقات، يحتاجون للأسلحة والطعام والشراب، فكان الواحد منهم إذا أنفق؛ كانت نفقته أعظم من نفقة من بعدهم؛ لذلك نال الصحابة هذا الشرف العظيم الذي نالوه.

قال المؤلف: **(كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِـهِ تَعَالَى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ})**

هكذا ينبغي أن يكون المؤمن {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} فيدعون لهم بالمغفرة، {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} فيدعون الله سبحانه وتعالى أن يُحبّب أولئك القوم إلى قلوبهم وألا يكون في قلوبهم غلٌّ عليهم، {رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}؛ إذن: هذه هي العقيدة التي يجب أن يحملها المسلم لأصحاب النبي ﷺ.

وقد خالف في ذلك الخوارج والرافضة؛ فالخوارج قالوا بتكفير الصحابة، والروافض كذلك كفّروا أكثر أصحاب النبي ﷺ، نجّوا منهم بضعة عشر فقط من الكفر، والباقي كلّهم عندهم كفّار، ومرادهم من وراء هذا هدم الشريعة؛ لأنّهم ما يستطيعون أن يأتوا للناس مباشرة ويقولون لهم: القرآن مُحرّف، السنة خطأ؛ لا؛ لأنّ الناس مباشرة

ستدور عليهم، لكن أرادوا أن يهدموا الواسطة بيننا وبين القرآن والسنة، الذين أوصلوا لنا القرآن والسنة وهم الصحابة، فإذا كفّروهم انتهى كلّ شيء؛ لذلك هم يقولون بتحريف القرآن؛ لأنّ الذين نقلوا القرآن هم الصحابة، فتلاعب الصحابة بالقرآن- هكذا يقولون-؛ هذا الذي يريدونه أصلاً، وهذا الذي خططوا له من البداية؛ فقالوا: هو مُحرّف، والسنة نقلها الصحابة؛ إذن: الصحابة كفّار يلعبون بالسنة كما يشاؤون، إذن: انتهى لا يوجد دين، أين الدين إذن؟ الدين الذي جاء به آل البيت، ما هو الدين الذي جاء به آل البيت؟ أكاذيب وضعوها من رؤوسهم، لا يوجد ما يثبت عن آل البيت من الذي عندهم، وليس عند أهل السنة، الذي ثبت عن آل البيت موجود عند أهل السنة.

هذه هي عقيدتهم وهذا هو دينهم.

اليوم كما ذكرنا مصيبتنا في التناقض، نفس ما ذكرنا في الإيمان نذكر في الصحابة الآن؛ تجد شخصاً يأتيك يقول لك ما عقيدتك في الصحابة؟ عقيدتنا في الصحابة نحبهم ونتولاهم وألسنتنا تكون سليمة عليهم وندعو لهم.. إلخ؛ ثم تجده في مجالسه الأخرى يقول لك الصحابة أصابتهم غثائية، ما معنى غثاء، يعني لا خير فيهم، الغثاء مثل هذا الزبد الذي يخرج عند تلاطم المياه، شيء ليس من ورائه منفعة، ليس من ورائه فائدة.

وآخر يقول لك: الصحابة أصابهم عُجْبٌ، يُخطب بها على المنابر هنا، الصحابة أصابهم عُجب، الله المستعان، ويقول لك: نحن نحترم الصحابة، في زمن قد عظمت فيه الفتنة من قبل أعداء الصحابة، يعني: حتى لو كنا نريد أن نتساهل مع البعض- حصل منا

تقصير وتساهلنا مع هؤلاء القوم في بعض الأزمنة-، في زماننا هذا لا يجوز التسامح معهم لأنّ الفتنة قد عظُمت في هذه المسألة بالذات، منذ متى كنا نسمع العامة يأتي ويتكلم في معاوية ويسبّ معاوية ويلعن معاوية ويلعن أبا سفيان وهندا؛ منذ متى؟ ما سمعنا إلّا في زماننا هذا؛ لماذا؟ لأنّ فتنة الرافضة قد اشتدت وعظُمت وانتشر مذهبهم، فصاروا يُلَبِّسون على الناس، فيأتي أمثال هؤلاء ممن يَدّعون السنة ومحبة السنّة وحمل عقيدة السنّة ويتكلمون بمثل هذا الكلام الباطل.

قال: **(وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ)**

إذن هم يعتقدون وجوب هذا الأمر ويطيعون النبي ﷺ فيه، وأنّهم لا يسبون أصحاب النبي ﷺ، ثم يقول لك غثائية ليست سباً! يا أخي لو جاءك شخص وقال لك: أنت غثائي؛ هل تفرح؟ تضحك له؟ لو جاءك وقال لك: أنت رجل مليء بالعُجب، وأصابك العُجب؛ تضحك له؟ ستقول له: لماذا تتكلم فيّ وتطعن فيّ؟ تتكلم فيهم بما هو أقل من هذا ويقوم ويحتج ويزبد ويرعد، ثم يقول لك غثائية وعُجب ليس فيه سبٌ.

قال: **(وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ)**

يُسلّمون بهذا كلّه.

قال: **(وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ- وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ)**

{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}؛ ما المقصود بالفتح؟

بعضهم قال: المقصود بالفتح فتح مكة، والبعض قالوا: بل الفتح هو صلح الحديبية؛ لأنّه كان هو بداية الفتح حقيقة، وهو الذي يذهب إليه المؤلف رحمه الله؛ فيقول:
(وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ)؛ يعني: من أنفق وقاتل قبل صلح الحديبية أفضل عندهم ممن أنفق وقاتل من بعد صلح الحديبية، وهو الآن في صدد الحديث عن التفضيل بين الصحابة، كلّ الصحابة أصحاب فضل وكلّ الصحابة عدول وكلّ الصحابة نحبهم ونتولاهم؛ لكن هل يتفاضلون في مرتبة الفضل؟ نعم؛ فمن أفضل ممن؟

يجيبك بقوله: يُفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعد الفتح وقاتل؛ استدلالاً بالآية التي ذكرناها.

قال: **(وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ)**

المهاجرون هم الذين هاجروا إلى المدينة في عهد النبي ﷺ قبل فتح مكة؛ لأنّ الهجرة بعد فتح مكة انتهت؛ قال النبي ﷺ: "لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ؛ ولكنْ جِهادٌ ونِيَّةٌ"، فمن هاجر قبل الفتح؛ فهؤلاء هم المهاجرون، هاجروا إلى النبي ﷺ.

والأنصار هم الذين هاجر إليهم النبي ﷺ إلى المدينة ونصروه، فيُقدّمون المهاجرين على الأنصار.

قال: **(وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ- وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**

من أين جاءت لأهل بدر هذه الفضيلة؟ هذا حديث معروف في "الصحيحين"، لمّا عَمِل أحد الصحابة ذنباً واسْتُأذِن النبيُّ ﷺ في قتل هذا الرجل؛ قال ﷺ: "دَعْهُ؛ لَعَلَّ

اللّهَ اطَّلَعَ إلى أَهْلِ بَدْرٍ فقال: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"، إذن: أهل بدر مغفور لهم؛ هو أمرٌ مسلمٌ بنصِّ حديث النبي ﷺ، بماذا نالوا هذا الشرف وهذه المغفرة؟ بنصرتهم للإسلام وللرسول ﷺ، في أول معركة وقعت في الإسلام -معركة بدر- وكان فيها نكاية بالكفّار، وكانوا قلّة وصبروا وجاهدوا حتى فتح الله تبارك وتعالى عليهم.

قال: (وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ)

أصحاب الشجرة هم أصحاب بيعة الرضوان، الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة؛ هؤلاء جاء ذكر عددهم في حديث في "الصحيحين" أنّهم كانوا ألفاً وأربعمائة.

قال: (وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَـهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالْعَشَرَةِ)

من عقيدة أهل السنة أن لا يشهدوا لأحدٍ معين بجنّةٍ ولا نار؛ لأنّنا لا ندري حقيقةَ ما مات عليه الرّجل، فالرّجل يكون عمله من عمل أهل الجنّة حتى يغلب عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النّار فيموت على ذلك، والعكس؛ لذلك نحن لا ندري نهاية هذا الرجل؛ نهايته على ماذا؟ لذلك لا نشهد لأحدٍ بجنّة ولا نار إلّا من شهد له النبي ﷺ بذلك؛ ومن هؤلاء: العشرة المبشرون بالجنّة، وليس المعنى: "المبشرون بالجنّة" أنّهم فقط هم الذين بُشروا بها وغيرهم لم يبشروا؛ فالذين بُشروا بالجنة كثير؛ لكن هؤلاء الذين جاء ذكرهم مسروداً في حديث واحد؛ وهم:

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي- هؤلاء الخلفاء الأربعة- وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح؛ هؤلاء عشرة.

وقد جُمعوا في هذه الأبيات:

وقل: إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزيراهُ قِدْماً، ثُمَّ عُثْمَانَ الارْجَحُ
ورابِعَهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عليٌ حَليفَ الخَيْرِ بالخَيْرِ مُنْجَحُ
وإنَّهُمُ للرَّهْطُ لا رَيْبَ فيهِمُ على نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بالنُّورِ تَسْرَحُ
سَعيدٌ وَسَعْدٌ وابنُ عَوفٍ وطَلْحَةٌ وعامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

قال: **(وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسِ)**

هذا أحد خطباء النبي ﷺ وهو من الأنصار، لمّا نزلت آية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} جلس في بيته يبكي وظنّ أنّه المقصود بهذه الآية، وأنّ عمله قد أُحبط، فلمّا سأل عنه النبي ﷺ؛ قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أنا في النّار، قال: وما ذاك؟، قال: صوتي عالٍ ويرتفع عندك فأُحبط عملي، قال: "بل أنت في الجنّة"، فشهد له النبي ﷺ بالجنة.

قال: **(وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ)**

كالحسن والحسين اللذين قال فيهما النبي ﷺ: "سيدا شباب أهل الجنّة"، وعائشة التي قال له جبريل بأنّها زوجتك في الدنيا وفي الآخرة، وخديجة بُشرت ببيت في الجنّة، وأبو الدحداح وبلال وعكاشة بن محصن؛ وكثير شهد لهم النبي ﷺ بالجنّة، فنشهد لهم بذلك.

هل هؤلاء فقط الذين يُشهد لهم بالجنّة أم يُشهد أيضا بالجنّة لكلّ من أثنى عليه المؤمنون وذكروه بخير؟

المسألة محلّ خلاف، والراجح أنّه يُشهد بالجنّة أيضاً لمن شهد له المؤمنون بخير، وذلك لحديث الرجل الذي مُرَّ بجنازته فقال فيه النبي ﷺ: "وجبت"، ومُرَّ بجنازة ثانية وقال: "وجبت"، قالوا: يا رسول الله وما ذلك؟ قال: " هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ

الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ"؛ فهنا لمّا أثنى عليه المؤمنون بخير كان من أهل الجنّة بشهادة المؤمنين، وهم إذا شهدوا له يشهدون له بأعماله وأقواله؛ لكن ليس المقصود من ذلك شهادة كلّ من هبّ ودبّ، فالناس اليوم يشهدون حتى للكافر وتجدهم يثنون عليه ثناء عطراً؛ لا؛ أهل الإيمان الذين هم أهله، الذين يعرفون كيف يُفرّقون بين الصالح والطالح.

قال: **(وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا : أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ)**

هنا التقديم ما بين الخلفاء الأربعة، تقديمهم في الخلافة كتقديمهم في الفضل؛ فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، هم في الفضل كذلك ولما تولوا الخلافة؛ تولوا بهذا الترتيب، والدليل على الفضل ما ذكره ابن عمر في حديثه؛ قال: كنا نقول في عهد النبي ﷺ: "أفضل هذه الأمّة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت"، واتفق العلماء على أنّ عليّاً هو رابعهم، وفي الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتي وسُنَّةَ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْديِّينَ مِنْ بَعْدي، عَضُّوا عليها بِالنَّواجِذِ"، وكانت مدّة هذه الخلافة أربعين سنة كما جاء في حديث سفينة، فأبو بكر ثم عمر ثم عثمان ورابعهم عليّ كما دلّت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، فعثمان مقدم على عليّ في الفضل وفي الخلافة أيضاً.

قال: **(مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ)**

يعني: عثمان أم علي؟

قال: **(فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ)**

الكلام هنا في التفضيل؛ فقدم قوم من أهل السنة عثمان رضي الله عنه.

قال: **(وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا)**

توقفوا في المقارنة بين عثمان وعليّ في التفضيل، لكن طبعاً هؤلاء مخطئون؛ والصواب مع من قدّم عثمان على عليّ بنص الحديث الذي ذكره ابن عمر.

قال: **(لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ)**

ثُمَّ عَلِيٍّ، وإن كان حصل خلاف ولكن هذا الخلاف قديم وانتهى.

قال: **(وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ- مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، ولَكِنِ المسألة الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثم عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ الأَئمَة؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)**

إذن الإجماع منعقد على تقديم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ في الخلافة، ومن خالف في ذلك فهو أضل من حمار أهله، كما قال المؤلف رحمه الله؛ هل يفهم الحمار شيئاً؟ لا يفهم شيئاً؛ وهذا أضل منه.

أمّا مسألة التفضيل بين عثمان وعلي؛ فقال المؤلف: لمّا حصل خلاف بين بعض أهل السنة من المتقدمين؛ فهذه المسألة لا يُضَلَّل فيها، إذن أفادنا ابن تيمية رحمه الله هنا فائدة هي أنّ من المسائل ما يضلل بها ومن المسائل ما لا يضلل بها؛ كيف نعرف ذلك؟

نعرفه من خلال الأدلة ومن خلال ما كان عليه السلف رضي الله عنهم، فما حصل فيه إجماع من السلف؛ فمن خالفه يضلل به، وما كانت أدلته محكمة معمول بها عند السلف ولم يُخالف في العمل بها أحد من السلف.

فإذا خالف فيها أحد؛ يضلل بذلك، كما قال نُعيم بن حماد: "من ترك حديثاً معروفاً ولم يعمل به وأراد له علّة فهو مبتدع".

وهذا في حديث واحد، ثم لا يأتينا شخص يقول: الشخص لا يخرج من السلفية بمسألة أو مسألتين أو ثلاث او أربع، عدّ، كم مسألة ستصل؟ خمسة عشرة، عشرين؟ تقول: سبعة، لكن ما هو الدليل على الستة والسبعة، ما هو الدليل على أنّ صاحب الستة والسبعة لا يخرج وصاحب الثمانية يخرج؟ من أين تأتي بهذه التفصيلات، هذا لم يكن عليه السلف رضي الله عنهم، هذا كلام السلف واضح، ولإسحاق بن راهويه كلمة قريبة من معنى كلام نُعيم بن حماد، هذا منهجهم؛ فليست مسألة التضليل عندهم خاصة بالعقيدة أو متعلقة بعدد المسائل؛ لا، البعض الآن يقول: لا تضلل إلّا إذا خالف في العقيدة، هل نتركه يُفسد بعد ذلك في المنهج كما يشاء؟ الأمر واسع سهل؟ خرّب الدين كما تحب، بما أنّك متمسك بمسائل العقيدة؛ إذن انتهى الأمر؟

هذا الكلام فاسد غير صحي، العقيدة والمنهج متلازمان.

قال: **(وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ)**

يحبون آل بيت النبي ﷺ، وآل بيته المقصود بهم: أقرِباءه من بني هاشم، وزوجاته أيضاً يدخلن في آل البيت؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى كان يتحدث عن نساء النبي ﷺ ثم قال بعد ذكرهنَّ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} فنساء النبي ﷺ داخلات في آل بيته، فأهل السنة يحبّون أهل بيت رسول الله ﷺ، وسيذكر المؤلف الدليل على ذلك.

قال: (وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)

لأنّ النبي ﷺ أوصى بهم خيراً.

قال: (حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: "أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي")

(خم): مكان، ويُنسب غدير إلى رجل يسمى خُم، وهو الآن مكان، وعندما كان النبي ﷺ في ذاك المكان ذكر هذا الحديث: "أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"، فهذه وصية النبي ﷺ في آل بيته، والمقصود بآل بيته هم المؤمنون وليسوا الكافرين، الكافرين هؤلاء لا نتولاهم أبداً، ولا نحبّهم، نبغضهم في الله سبحانه وتعالى، كأبي لهب وما شابه، أمّا المؤمنون فنحبهم ونتولاهم لإيمانهم ولقرابتهم من النبي ﷺ.

قال: (وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ)

يعني عندهم جفاء لآل بيت النبي ﷺ.

قال: (فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي.

وَقَالَ ﷺ: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)

انظر! لازال يصطفي إلى أن اصطفى النبي ﷺ من بني هاشم، فبنو هاشم هم مصطفون من غيرهم؛ فهم من حيث الأفضلية- من آمن منهم- أفضل من غيرهم؛ لنسبهم.

قال: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ)

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} فهم يحبون أزواج النبي ﷺ، وهن أمهاتهم ويتولونهم، والتولي بمعنى المحبّة والنصرة.

قال: (وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ)

لأحاديث صحت في ذلك.

قال: (خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ)

أول من آمن به هي خديجة، (وعاضده على أمره) يعني: ساندته وأعانته على دعوته.

قال: (وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ)

كان النبي ﷺ يحبّها، ولها عنده منزله عالية ومكانة سامية.

قال: (وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: "فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ")

يعني: لها فضل، وهي مقدمة على بقية النساء، والثريد كان من أجوّد الأطعمة، وهو مقدم على بقية الأطعمة، واختلف العلماء في تفضيل عائشة على خديجة أو خديجة على عائشة؛ والصحيح التفصيل: فمن ناحية النصرة والمعونة؛ كان لخديجة الفضل على عائشة، ومن ناحية العلم ونشره؛ كان لعائشة فضلاً على خديجة.

قال: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ)

يتبرؤون من الروافض ويتبرؤون من طريقتهم، وسُمّيَ الروافض بهذا الاسم؛ لأنّهم رفضوا زيد بن الحسين، رفضوه لمّا كانوا قد وعدوه أن يخرجوا معه وأن يساندوه، فامتحنوه بأبي بكر وعمر؛ فقال: هما وزيرا جدّي، فانقسم الشيعة عليه إلى قسمين، قسم هم الرافضة الذين رفضوه، وقسم هم الزيدية، نسبة إلى زيد، وهؤلاء الذين تولوه بعد أن قال ما قال، لذلك لا تَجِدُ عند الزيدية الآن حقداً على أبي بكر وعمر بخلاف الرافضة.

فأهل السنة يتبرؤون من هؤلاء القوم، وهؤلاء قد نصبوا العداء والبغض لأصحاب النبي ﷺ فكفّروهم إلّا قليلاً منهم، وأمّا عائشة فرموها بالزّنا بعد أن برأها الله تبارك وتعالى منه، ومن رمى عائشة بالزّنا بعد أن برأها الله منه؛ فقد كذّب الله في كتابه؛ فهو كافر خارج من ملّة الإسلام بإجماع علماء الإسلام، لذلك كفّرهم العلماء بهذا، وكفّروهم بتكفيرهم للصحابة، وكفّروهم بقولهم بتحريف القرآن، فالإجماع منعقد على أن واحدة من هذه الثلاثة من وقع فيها فهو كافر، وهؤلاء ارتكبوا هذه الثلاثة، مع ما عندهم من عبادة الحسين وعبادة عليّ واعتقادهم في الحسين مالا يجوز إلّا في الله تبارك وتعالى، أشياء كثيرة جداً؛ فالقوم كفّار يتزيّون بزيّ الإسلام وليسوا من الإسلام.

قال: **(وَمِنْ طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ)**

يعني أهل السنة يتبرؤون من طريقة النواصب، والنواصب هم الذين نصبوا العداء لآل بيت النبي ﷺ، وكان بعضهم من أتباع الدولة الأموية.

قال: **(وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ)**

يعني من نزاع وخلاف، لا يتكلمون في هذا، يعرفون أنّ للصحابة فضلاً ومكانة، وكونهم بشراً؛ فيجتهدون ويخطؤون ويصيبون، ومن أخطأ يُكَفِّرُ الله سبحانه وتعالى عنه خطأه بما له من حسنات ومن خيرات.

قال: **(وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ)**

يعني الآثار التي وردت أنّهم فعلوا أشياء غير مرضية.

قال: **(مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ)**

وهذا حال الكثير منها؛ وضعه الرافضة وغيرهم.

قال: **(وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ الصريح)**

يعني أصل الأثر تجده صحيحاً؛ لكن وجدت فيه زيادة أو نقص بحيث يُصبح مذمّة.

قال: **(وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ)**

الصحيح من هذه الآثار التي وردت؛ الصحابة فيه معذورون.

قال: **(إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ)**

والنبي ﷺ قال: "إذا اجْتَهَدَ الحاكِمُ فَأَصابَ؛ فله أجْرانِ، وإذا اجْتَهَدَ فأخطأ؛ فله أجر"

قال: **(وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ)**

يعرفون أنهم ليسوا معصومين، فيقعون في الأخطاء.

قال: **(بَلْ تجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ- إِنْ صَدَرَ-)**

يعني هذه الذنوب وإن وجدت منهم فهي مغفورة بما لهم من الخيرات والحسنات {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}.

قال: **(حَتَّى أَنَّهُ يَغْفِرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يَغْفِرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ)**

كما حصل لأهل بدر.

قال: **(لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ)**

كما قال ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، وفي رواية: "خير القرون قرني" لكن هذه الرواية تحتاج إلى نظر في صحتها، المهم أن الحديث في الصحيحين: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم...".

قال: (وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ)

فهو على خير على كلّ حال.

قال: (أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِين هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ)

يعني هذه كلّها أسباب لتكفير الذنب.

قال: (فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بالأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ، ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ؛ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ)

يعني الأشياء التي صحّت وتُنكر عليهم أو يُنكَر فعلهم لها؛ قليلة جداً، فهي مغمورة في فضائلهم وحسناتهم.

قال: (مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهم هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ)

والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعة: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ

الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ)

من أصول أهل السنة والجماعة التي يؤمنون بها ويعتقدونها: التصديق بكرامات الأولياء.

والكرامة: هي أمرٌ خارق للعادة يجريه الله تعالى على يدِ وليٍّ من أوليائه.

وأمّا الوليّ فقد عرّفه ربنا تبارك وتعالى في قوله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} إذن فالوليّ هو الذي يؤمن بالله تبارك وتعالى ويتق الله، وهذا يكون مطيعاً لله تبارك وتعالى.

كيف تكون التقوى؟ بفعل ما أمر الله تبارك وتعالى به واجتناب ما نهى الله تبارك وتعالى عنه، فإذا كان المرء كذلك؛ كان ولياً لله تبارك وتعالى، وهذا يكون بفعل الواجبات وفعل المستحبات أيضاً، "ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه"، فكثرة النوافل تُقرّب العبد إلى الله تبارك وتعالى وتُصيّره ولياً من أولياء الله تبارك وتعالى، فمن يتق الله تبارك وتعالى ويكون مؤمناً؛ يكون وليّاً لله تبارك وتعالى.

هؤلاء الأولياء لهم كرامات، يمنّ الله تبارك وتعالى عليهم ببعض الأفعال أو الأشياء التي تُعتبر خارقة للعادة المعروفة كوناً؛ مثلاً البحر لا يستطيع أحد من الناس أن يمشي على الماء؛ ولكن العلاء بن الحضرمي مشى على الماء بجنده وهذه كرامة من الله تبارك وتعالى للعلاء بن الحضرمي، وهي خارقة للعادة الكونية، فالعادة الكونية أنّ الناس لا يستطيعون المشي على الماء.

وكذلك من العادة أنّ الناس إذا خرجوا في ظلمة وليس معهم نور يبقون في الظلمة ولا يرون شيئاً، ولكن اثنين من أصحاب النبي ﷺ كانا عنده في البيت وعندما انتهوا من مسامرة النبي ﷺ خرجا في ظلمة دامسة، فذهبا ليرجعا إلى بيوتهما، وهما في الطريق أضاءت عصا كلّ واحد منهما؛ أضاءت عصا واحدة في البداية ثم لمّا تفرقا أضاءت عصا الآخر، والحديث موجود في "صحيح البخاري"، وهذه كرامة من كرامات الأولياء.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الكرامات لورود الأدلة الشرعية على ذلك، والأدلة كثيرة، ذكر المؤلف منها شيئاً وستأتي إن شاء الله، وجمع الكثير منها اللالكائي صاحب كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، في كتاب اسمه: "كرامات الأولياء" وقد جمع من ذلك الشيء الكثير من كرامات للأولياء مذكورة أدلتها في الكتاب وفي السنة وآثار عن أصحاب النبي ﷺ وعمن بعدهم من التابعين ومن اتَّبَعهم بإحسان.

وخوارق العادات: هي الأشياء التي تخرج عن العادة المألوفة والمعلومة، أي: العادة الكونية.

قال: (فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ)

يعني هذه العادة التي تُخرق إمّا تكون في العلوم أو في المكاشفات فيحصل للإنسان من العلوم مالا يحصل لغيره، ويحصل له أيضاً كشف ورؤية لأشياء لا تحصل لغيره، كما حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رأى جيش سارية، وقال له: يا ساريةُ الجبل: يعني عليك بالجبل، خذ الجيش إلى الجبل كي يحميهم من أذى العدو، فسمعه سارية؛ ومال بالجيش إلى ناحية الجبل، هذه مكاشفة؛ كشف الله تبارك وتعالى لعمر عن حال ذاك الجيش فصرخ عمر لسارية: يا ساريةُ الجبل([1]).

ومعنى قوله: (وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ) يعني أيضاً الكرامة تكون في القدرة على الشيء والتأثير فيه؛ كما وقع لمريم أمّ عيسى عندما أنجبت هزّت بجذع النّخل وتساقط الرّطب عليها؛ هذه كرامة من كراماتها، فالمرأة التي تكون في المخاض أو أنجبت حديثاً تكون في حالة من الضعف شديدة- مع ضعف المرأة أساساً، وهي في هذه الحال تكون أشد

---

[1] قال الشيخ الالباني رحمه الله في الصحيحة: فتبين مما تقدم أنه لا يصح شيء من هذه الطرق إلا طريق ابن عجلان وليس فيه إلا مناداة عمر " يا سارية الجبل " وسماع الجيش لندائه وانتصاره بسببه.

ومما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر، وليس ذلك بغريب عنه، فإنه " محدث " كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس فيه أن عمر كُشف له حال الجيش، وأنه رآهم رأي العين. انتهى المراد، فالرواية التي فيها الرؤية لا تصح فتنبه.

ضَعفاً-؛ ومع ذلك قال الله تبارك وتعالى لها: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} هذا الهزّ بجذع النخلة بالنسبة لها كرامة من كراماتها؛ لأنّ هذا الهزّ حقيقة لا يُؤثر شيئاً بسبب ضَعفها ولكنه كرامة من الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **(كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا)**

يعني كما ورد عن سالف الأمم، كالذي حصل مع أصحاب الكهف؛ هذه أيضاً من الأمور الخارقة للعادة.

قال: **(وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ)**

أي: عن مقدمة هذه الأمّة.

قال: **(مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**

أي: هذه الكرامات موجودة في هذه الأمّة إلى يوم القيامة، وقد ذكر اللالكائي رحمه الله في كتابه "كرامات الأولياء" مجموعة من الكرامات، ومما ذكر قصة مريم: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} هذه من كراماتها أنّه كان كلّما دخل عندها وجد رزقاً من الله سبحانه وتعالى ومن غير كسب، قال ابن عباس رضي الله عنه: (وجد عندها الفاكهة الغضّة حين لا توجد الفاكهة عند أحد، فكان زكريا يقول: {يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}) وذكر صوراً كثيرة في كتابه ذاك، من أراد ان يتوسع يراجعه.

والذين أنكروا الكرامات وخالفوا هذا الأصل من أهل البدع هم: المعتزلة، ووافقهم ابن حزم؛ قال المعتزلة: لا تُخرق العادة لأحدٍ إلّا لنبيّ، وكذّبوا بما يُذكر من خوارق السحرة والكهّان وبكرامات الصالحين، وحجّتهم العقل، وهذه أمور بما أنّها ثبتت واقعياً وثبتت

بأدلة الكتاب والسنّة؛ فلا يُرجع فيها إلى مسائل العقل؛ فإنك لو أخذت تُشاد وتخاطب شخصاً بالمسائل العقلية ما تذكر له شيئاً إلّا وهو يرد عليك شيئاً آخر، وتذكر غيره ثم هو يرد عليك بشيء ثالث؛ ولا ننتهي، فالقضية أن مخاطبتهم تكون بالكتاب والسنة وبالواقع المحسوس، فنحن عندنا قرآن وعندنا سنة وعندنا واقع محسوس في ذلك؛ فلا يُنكر مثل هذا الأمر.

وخالفت أيضاً في ذلك الصوفية فغلت في مسألة كرامات الأولياء؛ غلوا في ذلك حتى صاروا يعدّون أفعال أولياء الشياطين من الكرامات.

ونحن لا بدّ أن نُفرّق بين خارق العادة الذي يكون على يد وليِّ الشيطان، وخارق العادة الذي يكون على يد وليِّ الرحمن.

وذلك بأن تنظر إلى أفعال الذي صدرت منه هذه الخوارق، فإن وجدته على الكتاب والسنة؛ فاعلم أنّها كرامة، ثم إن صاحب الكرامة من أولياء الرحمن لا يستغل هذه الكرامة لإخضاع الناس له واعتقادهم فيه؛ بل هو يمنعهم من ذلك ويحثّهم على اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، أمّا الخوارق التي تحصل على يد أولياء الشياطين؛ فهؤلاء يكونون بعيدين جداً عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ ويستغلون هذه الكرامات في إخضاع الناس وطاعتهم لهم؛ هذا الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا)**

هذا منهجهم؛ منهج أهل السنة والجماعة: هو اتباع طريق النبي ﷺ، لا يحيدون عنه يمنة ولا يسرة، سواءً كانت في الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام وما شابه، أو الأعمال

الباطنة كأعمال القلوب- الخوف والرجاء والحب والتعظيم.. إلخ-؛ كلّ هذا هم فيه متّبعون لآثار النبي ﷺ، يحرصون على معرفة السنّة وتعلمها، وعلى معرفة الصحيح من الضعيف منها، وعلى العمل بها واتباع النبي ﷺ بالاقتداء به.

قال: **(وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ)**

القضية عند أهل السنة والجماعة قضية اتباع وليست قضية ابتداع، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم)، عندما نريد أن نعتقد في مسألة الأسماء والصفات نجد أنّ السلف رضي الله عنهم يثبتون لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات في الكتاب أو في السنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل؛ فنحن نتبعهم في ذلك، ولا نخالف.

لا يأتينا شخص فيقول: أنا أثبت هذه الصفة وأنفي هذه الصفة بناء على اجتهاد من عندي؛ لا، لامجال للاجتهاد هنا، انتهينا؛ الأمور قد بُيّنت والحقّ قد ظهر فلا داعي لإعمال جهدك في هذا الأمر فقد كُفيت؛ كفاك أصحاب النبي ﷺ بيانَ الحقِّ من الباطلِ، وأظهروا لك الأمور فلِمَ تدخل نفسك في أمور ليست مطلوبة منك، فما عليك إلّا اتباع ما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه أصحابه الكرام، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} إذن: القضية قضية اتباع.

ما معنى الاتباع؟ هم مشوا في طريق تمشي خلفهم، هذا معنى الاتباع، فإذا قالوا قولاً قلنا به، إذا فعلوا فعلاً فعلناه؛ هذا معنى الاتباع.

(وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) للآية التي ذكرنا، فالمسألة مسألة اتباع.

وعندنا أيضاً حديث عن النبي ﷺ يقول فيه عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ"، وفي حديث آخر قال فيه النبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟، قال" :الجماعة"، وفي رواية: "ما أنا عليه وأصحابي"، وكما ذكرنا الأثر الذي جاء عن ابن مسعود؛ قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) وكما جاء عن أكثر من واحد من السلف قولهم: (اتبعوا آثار من سلف)، وهذا كثير في كتب أهل السنة والجماعة؛ كـ "شرح أصول السنة" للالكائي، و"شرح السنة" للبربهاري، و"الشريعة" للآجري، و"الإبانة" لابن بطة، و"أصول السنة" للإمام أحمد، وغيرها من كتب السنة كثيرة، فيها من مثل هذا الكلام.

والمهاجرون هم الصحابة الذين هاجروا مع النبي ﷺ، وهاجروا من بلدانهم إلى المدينة، والأنصار هم: الذين نصروا النبي ﷺ وآزروه.

قال: **(وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيثُ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)**

أي: الزموا سنتي، الزموا طريقتي، الزموا ديني، الزموا هديي الذي أنا عليه، والزموا سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، من هم الخلفاء الراشدون؟ هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

هؤلاء هم الخلفاء الراشدون بدليل أنّ سفينة رضي الله عنه- وهو صاحب النبي ﷺ- روى حديثاً أنّ الخلافة من بعده ثلاثون سنة، والخلافة استمرت ثلاثون سنة على عهد هؤلاء الأربعة، فهؤلاء الأربعة هم المقصودون بالخلفاء الراشدين، فحثّ النبي ﷺ على اتباع سنته وسنة هؤلاء الأئمة؛ إذن هناك سنة لابد من اتباعها مع سنة النبي ﷺ وهي سنة أصحاب النبي ﷺ، فعندما لا توجد سنة عن النبي ﷺ؛ نأخذ بما فعله

أصحاب النبي ﷺ، وعندما توجد سنة عن النبي ﷺ؛ ننظر أصحاب النبي ﷺ كيف فهموها وكيف عملوا بها؛ هكذا يكون الاقتداء في مثل هذا.

قال: **(وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)**

أي: احذروا من محدثات الأمور؛ وهي المسائل المحدثة الجديدة في دين الله تبارك وتعالى، التي لا يدلّ عليها دليل لا من الكتاب ولا من سنة النبي ﷺ، هذه أمور محدثة؛ يعني: حصلت بعد أن لم تكن، ما جاءت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا عُرف دين على عهد أصحاب النبي ﷺ؛ فمن أين جاءت؟ فهي محدثة مبتدعة؛ فالنبي ﷺ قال: "وإياكم" فهذا تحذير، "إياكم" أي: احذروا من الوقوع في مثل هذا، ماذا نحذر؟ قال: "فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة"، وفي رواية" :وكلّ ضلالة في النّار"، أي: الضلالة وصاحب الضلالة في نار جهنم- أعاذنا الله وإياكم من ذلك-؛ هذه البدع والمنكرات.

ما هي البدعة: أيُّ عبادة تتقرب بها إلى الله وليس عليها دليل من الكتاب والسنة ولم يكن عليها العمل عند السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فهي بدعة منكرة يجب عليك أن تحذرها وأن تبتعد عنها؛ هذا هو دين أهل السنة والجماعة؛ لخّصه المؤلف في هذه الكلمات: اتباع الكتاب والسنة على منهج سلف هذه الأمة، الذين هم أصحاب النبي ﷺ ومن اتبعهم بإحسان.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ)**

لا شك أنّهم يعتقدون هذا اعتقاداً جازماً؛ أنّ أصدق الكلام كلام الله تبارك وتعالى، ولن تجد كلاماً أصدق من كلام الله تبارك وتعالى.

قال: **(وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ)**

لن تجد طريقاً يوصلك إلى الله تبارك وتعالى، يوصلك إلى الفوز بالدار الآخرة؛ إلّا

الطريق الذي كان عليه النبي ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر الآية: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} ثم خطّ ﷺ خطاً مستقيماً وخطّ على جنبي هذا الخط خطوطاً؛ ثم قال: "هذا سبيل الله".

أي: الصراط المستقيم، والصراط: هو الطريق، قال: (وعلى جنبتيه سبل) هناك قال: "سبيل" يعني: واحد؛ مفرد، وهنا قال: "سبل" وهي الطرق؛ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} إذن: فهناك طرق- وقد جاءت بصيغة الجمع- طرق مختلفة كثيرة تؤدي إلى الهاوية، والطريق الذي يوصل إلى الجنّة هو طريق واحد، طريق مستقيم لاعوجاج فيه، الطريق الذي كان عليه النبي ﷺ، هذا هدي النبي ﷺ.

وتلك الطرق على كلّ منها شيطان يدعو إليها، ولكلّ منها داعٍ من الدعاة يدعو إلى هذا الطريق، فدعاة الضلال كثير وكثير جداً ودعاة الحق قلّة خصوصاً في زمننا، قال النبي ﷺ: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا"؛ الجهل عندما يعمّ ويطمّ يحصل الضلال والإضلال.

وهذا الحديث يُبين لنا قلّة العلماء، والعلماء طبعاً لا ينتهون لأنّ الذين يحملون راية الحقّ هم العلماء فلا يُمكن لجاهل أن يدعو إلى حقّ؛ لأنه يجهل الحقّ فكيف يدعو إليه، والنبي ﷺ قال: "لاتزال طائفة من أمتي على الحقّ ظاهرين"، إذن: لابد أن تبقى هذه البقية من العلماء لكنّهم قلّة.

والذين يكثرون هم رؤوس الجهل، رؤوس الضلال، فعندما نُحذرك من زيد وعبيد وعمرو وبكر؛ لا تقل: أكثرتم علينا من الكلام في الرجال وما أبقيتم أحداً، والفلسفة

الفارغة التي نسمعها اليوم، هذا حديث النبي ﷺ قد أخبرك أنّ هذا العصر هو عصر الجهل، العصر الذي يكثر فيه دعاة الضلال؛ فكيف تفعل بعد ذلك؟

وذكر لك أن سُبل الضلال كثيرة، وعلى كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليها.

وفي حديث حذيفة لما سأل النبي ﷺ عن ذاك الخير: أبعده شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها".

هذه أحاديث النبي ﷺ؛ أين أنت منها؟ لا تحكم على المسائل بهذه الطريقة، انظر إلى: (قال الله) (قال رسول الله ﷺ)، تَعلّم منهج السلف رضي الله عنهم؛ ثم بعد ذلك احكم على الناس بنفسك، وانظر من سار على الطريق ومن زاغ عنها، لا تتكلم بمجرد الهوى والجهل؛ ما أبقيتم أحداً، وما بقي لنا أحد، وكلام فارغ نسمعه من هنا وهناك.

قال المؤلف: **(وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى كَلامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ)**

هذه علامتهم التي يتميزون بها، لا يُعظّمون كلام أحدٍ من الخلق كائناً من كان إلّا كلام النبي ﷺ؛ لأنّه وحي من الله تبارك وتعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} إذن هو وحي من عند الله تبارك وتعالى، لذلك يُعظّمونه ويُقدّمونه على كلّ شيء، يُقدّمون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على قول أيّ أحدٍ وعلى عقل أيّ أحدٍ، ما عندهم تقديم العقل على النقل، عندهم تقديم النقل، يُعظّمون كلام الله، يُعظّمون كلام رسول الله ﷺ؛ لتعظيمهم لربّ العزة تبارك وتعالى، ولتعظيمهم للنبي ﷺ، يُعظّمون كلام الله ويُعظّمون كلام رسوله ﷺ فيُقدمون النقل على العقل لا العكس، مع اعتقادهم أنّ النقل الصحيح لا يمكن أن يخالف العقل الصريح، وهذا التناقض إن حصل إنّما يحصل في العقول الخربة، العقول المعوجة، هذه التي يحصل فيها تناقض مع أحاديث النبي ﷺ، ومع آيات كتاب الله تبارك وتعالى، أمّا العقل الذي نظُف من الهوى وخلُص من شائبة التفكير السقيم؛ فهذا الذي لا يتعارض مع أدلة

الشرع.

قال: (وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ)

لا يسيرون خلف أي أحدٍ مسيرةً عمياء كما يفعل الإخوان وكما يفعل التبليغ ويفعل غيرهم؛ ما عندهم إمام إلّا محمد ﷺ، هذا هو الإمام المعصوم، غير هذا لا إمام، ليس عندهم ولاء وبراء إلّا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بعد ذلك عندهم علماء يسمعون لهم ما وافقوا الحقّ، وإذا خالفوا الحقّ؛ قالوا: أخطأتم ورددنا عليكم كلامكم، لا معصوم عندهم من الخطأ إلا النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)

لماذا؟ لأنّهم يُقدّمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كلّ شيء، يُعظّمون كتاب الله ويُعظّمون سنة رسوله ﷺ، هل يصحُّ بعد هذا أن تسمي أهل البدع والضلال أهل الكتاب والسنة؟ لا والله، ما يستحقون هذا، أيصحّ أن تسمي الأشاعرة من أهل السنة والجماعة وهم يصرخون وينادون ليل نهار بأنّ العقل مُقدّم على النقل، لا يصحّ مثل هذا أبداً، لا يصحّ مثل هذا من إنسان منصف عالم بما يقول.

قال: (وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ)

سمّوا أهل الجماعة لأنّهم مجتمعون لا يفترقون؛ لكنّهم لا يُقدّمون الاجتماع على السنّة كما يفعل أهل البدع، وكما ينادي بذلك حتى الجهال من أتباع أهل البدع؛ يقولون: يا شيخ لا تتكلم في الناس، لا تُحذّر من ضلالهم، لا تُحذّر من بدعهم، اتركهم ينشرون بدعهم وضلالهم كما يريدون من أجل الجمع.

أي: نعمل بقاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وهذه قاعدة فاسدة مفسدة.

هذه القاعدة تأتي على كلّ أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومع ذلك عندما تأتي لأتباع هذا الرجل الذي قعّد هذه القاعدة؛ يُقدّمونها على الكتاب والسنة، انظر هذه الحزبية الخبيثة، هؤلاء يُسمّون أهل سنة وجماعة؟! لا والله، لا يستحقون ذلك.

فنحن ندعوا إلى الجماعة، ندعوا الناس إلى أن يجتمعوا وأن يتآلفوا وأن يتحابّوا؛ لكن على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، هذا الاجتماع الذي ندعوا إليه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} الاعتصام بماذا؟ بحبل الله، ما قال: اعتصموا على قواعد حسن البنا، ولا قال: اعتصموا على قواعد محمد إلياس، ولا اعتصموا على قواعد سيد قطب، قال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، ولاتفرقوا عن ماذا؟ عن كتاب الله وعن سنة رسوله ﷺ.

فمن خالف الحقّ وقعّد قواعد تُخالف الكتاب والسنة وأتى ببدع وضلالات تُخالف الكتاب والسنة؛ فقد فرّق الجمع وشتت جمع المسلمين؛ فوجب على أهل السنة أن يُبيّنوا عواره وأن يُظهروا ما عنده من ضلال لحماية دين الله تبارك وتعالى.

فلو سَكتُّ أنا وسَكتَّ أنت وسَكتَ الثالث؛ فمتى يَعرف الناس المُحقَّ من المُبطل، ومتى يعرفون الحقّ من الباطل، ومتى يعرفون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟!

فالاجتماع مطلوب والإئتلاف مطلوب؛ لكن على الحقّ لا على غيره.

وقد كانت كلمة كفار قريش واحدة، وكانوا مؤتلفين مجتمعين على عبادة الأوثان، فجاء النبي ﷺ وفرَّق كلمتهم؛ هذا تفريق ممدوح أم مذموم؟ هذا تفريق ممدوح؛ لأنّ فيه دعوة إلى التوحيد، والمطلوب منهم جميعاً أن يجتمعوا على التوحيد.

فلمّا خَرَج البعض عن هذه الكلمة؛ كان هو المُفرّق لجماعة الناس التي كانوا مجتمعين عليها، فالاجتماع مطلوب ولكن على الحقّ، فإذن الدعوة إلى الحقّ والتمسك بالحقّ مُقدّم

على الدعوة للاجتماع، الاجتماع مطلوب ولكن على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ، فمن ابتدع في دين الله بدعة؛ فقد فرّق الجماعة؛ فوجب التحذير منه وبيان حاله- وإن تعصب له من تعصب وإن انحرف معه من انحرف- فهذا ليس تفريقاً مني أنا عندما أبين الحقّ من الباطل؛ بل التفريق منه عندما ابتدع في دين الله بدعة خرج بها عن جماعة المسلمين؛ هكذا تُفهم الأمور وهكذا يُعرف الدين.

قال: **(وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ)**

يعني نفس القوم المجتمعين صاروا أهل جماعة.

ثم قال المؤلف: **(وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ)**

هذا أصل عند أهل السنّة والجماعة؛ الكتاب والسنّة وإجماع علماء الأمّة؛ لأنّ النبيّ ﷺ قال: "لا تجتمع أمتي على ضلالة"، هذا الحديث فيه خلاف لكن أقوى منه حديث: "لاتزال طائفة من أمتي على الحقّ ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ومن خذلهم حتى يأتي أمر الله"، فإذن لا يمكن أن يخفى الحقّ في زمن من الأزمان، فإذا اجتمعت الأمّة على شيء فهو حقّ ولابد.

قال: **(وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ)**

التي هي الكتاب والسنة والإجماع.

قال: **(جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ)**

أيُّ مسألة لها تعلق بالدين؛ فمقياسهم في معرفة أنّها حقٌّ أم باطل: إرجاعها وردّها إلى الكتاب والسنّة والإجماع، أيُّ مسألة تعبدية سواءً كانت من العبادات الظاهرة أو العبادات الباطنة، العبادات القولية أو العبادات الفعلية، كلّ العبادات، مقياسهم فيها هو كتب الله وسنّة رسوله ﷺ وإجماع سلف هذه الأمة وإجماع الأمّة.

قال: (وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَت الأُمَّةُ)

يعني: ما هو الإجماع الذي نستطيع أن نقف عليه وأن نعلمه؟

قال: هو إجماع السلف، إجماع القرون الثلاثة الأولى، والبعض قال إجماع الصحابة؛ لأنّه كان من الممكن ضبطه، فالعلماء لم يكثروا للدرجة التي لا يمكن معها معرفة أقوالهم، بخلاف العصور التي بعد ذلك فقد انتشر العلماء وتفرقوا في الأرض وكثروا جداً بحيث صار من العسير الوقوف على أقوالهم في المسائل؛ لذلك قال: الاجماع الذي ينضبط هو إجماع السلف رضي الله عنهم.

قال: (فَصْلٌ: ثُمَّ هُم مَعَ هّذِهِ الأُصُولِ)

مع هذه الأصول التي ذُكرت وهي أصول أهل السنة والجماعة التي من خالف في أصل منها صار مبتدعاً ضالاً مفرقاً لجماعة المسلمين؛ قال:

(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)

أي: كما أمر الله.

أولاً: المعروف: كلّ ما أمر به الشرع فهو معروف، والمنكر: كلّ ما نهى عنه الشرع فهو منكر.

وأدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} هذا أمرٌ من الله تبارك وتعالى، وقال النبيُّ ﷺ: "لتأمرن بالمعروف ولتنهوّن عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم"، فهنا أمرٌ بماذا؟ أمرٌ بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، والأدلة على ذلك كثيرة؛ فهذا من الأصول عند أهل السنة والجماعة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يُبطله قاعدة:

نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، فإذا عذر بعضنا بعضاً في المنكرات التي وقعنا فيها وخالفنا فيها الحقّ؛ إذن أين يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إذا عذر بعضنا بعضاً في ترك الواجبات التي شرعها الله؛ من أين يأتي الأمر بالمعروف؛ إذن: مثل هذه القاعدة تُعتبر مبطلة لأصلٍ من أصول أهل السنة والجماعة.

قال: **(وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا)**

لأنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بطاعة الأمراء، فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}.

حتى وإن كان هؤلاء الأمراء فجرة، يعني أنّهم فساقٌ ظلمةٌ، حتى لو كانوا كذلك؛ فواجب علينا أن نطيعهم وأن لا نخرج عن كلمتهم؛ لأنّ الخروج على الحاكم يؤدي إلى مفاسد عظيمة ووخيمة من سفك للدماء وانتهاك للأعراض وتضييع للأموال وتشتيت للأمّة ولقوّتها وجعلها لُقمة سائغة لأعدائها؛ فهذه مفاسد كبيرة وعريضة، فمع وجود مفسدة ظلم الظالم من الحكام؛ إلّا أنّها لا تعتبر شيئاً أمام تلك المفاسد التي ذكرنا.

لذلك حثّ الشارع على السمع والطاعة لهم في طاعة الله وعدم الخروج عليهم.

ولمّا استشار الصحابةُ النبيَّ ﷺ فيمن كان هذا حاله، أمرهم بالصبر؛ فقال: "اصبروا حتى تلقوني على الحوض"، وفي حديث آخر لما استأذنوه في الخروج عليهم؛ قال: "لا، ماصلوا" أي: لا تخرجوا عليهم ما أقاموا فيكم الصلاة، وفي حديث آخر قال: "إلّا أن تروا كفراً بواحاً"، يعني: ظاهراً لا يخفى؛ إذن: هنا لا يجوز الخروج على الحاكم والواجب السمع والطاعة له، والواجب أيضاً إقامة الحجّ وإقامة الصلاة وإقامة الجهاد معه مادام أن هذا كلّه في طاعة الله تبارك وتعالى وليس في معصيته.

قال: (وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ)

يحافظون على إقامة الصلوات الخمس في جماعة؛ لأنّ النبي ﷺ أمر بذلك، فلمّا جاءه الأعمى قال له: "أتسمع النّداء؟" قال: نعم، قال: "إذن فأجب"، وكذلك توّعد الذين لا يحضرون صلاة الجماعات أن يُحرّق عليهم بيوتهم لولا الأطفال والنساء.

قال: (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ)

لقول النبيّ ﷺ: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن يا رسول الله؟، قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

وما هي النصيحة؟ أن تبين الحقّ وأن توضحه وأن تبين للناس ما يصلحهم ويصلح لهم أمر دينهم، وأن تنصح للدين بأن تُبينه بحقٍّ كما جاء به النبي ﷺ، ومن النصيحة أن تُبين للناس الداعي إلى الخير والداعي إلى الشر، ومن النصيحة لسنّة النبي ﷺ أن تذبّ عنها وأن تدافع عنها وأن تظهرها وتنشرها بين الناس، وكذلك من النصيحة لكتاب الله أن تعلمه للناس وتبينه لهم وتعمل به- هذه من النصيحة لكتاب الله-، ومن النصيحة للأمراء أن تنصحهم بالسر دون أن تهيّج عليهم الناس وأن تعمل ما يعينهم على طاعة الله تبارك وتعالى.

قال: (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا"، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ)

يعني أنّه يوالي المؤمنُ المؤمنَ ويُحبّه ويُعينه ويُساعده، قال: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان"، انظر للبنيان، انظر للحجر كيف يُرَصُّ بجانب الحجر ويُبنى بعضه على بعض، فيقوم الحجر بالحجر الآخر، فلا يقوم للجدار قائمة إلّا بمجموع الحجارة، كلّها تتكاتف وتتعاون حتى يقوم هذا الجدار؛ وكذلك المؤمنون يعين بعضهم بعضاً ويُساعد بعضهم بعضاً ويُحب بعضهم بعضاً كما هو حال البنيان.

قال: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)**

(توادهم) يعني وجود المودة والمحبّة بينهم.

(وَتَرَاحُمِهِمْ) يرحم بعضهم بعضاً.

(وَتَعَاطُفِهِمْ) يعطف بعضهم على بعض.

(كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ) انظر إلى جسد الإنسان إذا مَرِض منه عضو من أعضائه؛ كلّ الجسد تصيبه الحمى ويصيبه السهر- عدم القدرة على النوم-.

فالمؤمنون ينبغي أن يكونوا هكذا، كالجسد الواحد، يُحب بعضهم بعضاً، ويرحم بعضهم بعضاً، ويعطف بعضهم على بعض.

فالحبّ والولاء يكون في الإسلام لا في غيره، الولاء والبراء في الإسلام لا في الإنسانية كما تدّعيه العلمانية، الله سبحانه وتعالى لمّا خلق الإنسان ردّه إلى أسفل سافلين، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..} فالإنسانية ليست بشيء، الإنسان إذا لم يكن مؤمناً مطيعاً لله تبارك وتعالى؛ فلا قيمة له، فالمحبّة والأخوة تكون بالإيمان، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} ولم يقل: إن الناس إخوة، قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} فإذن الحبّ والبغض يكون في الإيمان في دين الله تبارك وتعالى.

قال: **(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ)**

كما جاء في كتاب الله وفي سنّة رسول الله ﷺ، {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} فهم يأمر بعضهم بعضاً بالصّبر، عندما يموت شخص لآخر تأتيه وتقول له: اصبر واحتسب، تُصبّره، تأمره بالصّبر، {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} يُوصي بعضهم بعضاً بالصبر.

قال: **(وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ)**

أي: يوصي بعضهم بعضاً بالشكر عند الرخاء، عند المصائب تحتاج إلى الصبر وعند الرخاء تحتاج إلى الشكر.

وكيف يكون الشكر؟ يكون بالعمل بطاعة الله تبارك وتعالى، فإذا رزقك الله مالاً تشكر الله سبحانه وتعالى بأن تتصدق من هذا المال، وأن تنفقه في وجوه الخيرات والطاعات؛ هكذا يكون شكراً.

ومِن شُكر الله تبارك وتعالى أن تطيعه وأن تعبده، تشكر الله على ما أعطاك من عافية ومن صحّة ومن فراغ، فتعبد الله سبحانه وتعالى وتطيعه، هكذا يكون الشكر، {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} الشكر يكون بالعمل وليس فقط بالقول.

قال: **(وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ)**

الرضا أعلى من الصّبر، الصّبر واجب عند المصائب، والرِّضا مستحب؛ الرضا درجة عالية رفيعة.

و(مُرّ القضاء): هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان، فيكون مريراً عليه، صعباً، فيرضى به ويُسلم؛ فيكون في المقامات العالية.

قال: (وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ)

(مكارم الأخلاق) هي الطّيب من الخُلق، وحثّ الشارع على الخلق الحسن، التخلق بالأخلاق الحسنة، يتخلَّق الإنسان بالأخلاق الحميدة المحبوبة.

و(محاسن الأعمال) أي: الأعمال الحسنة، والأعمال الحسنة هذه تكون حسنة إذا كانت على وفق الكتاب والسنة وما شرع الله تبارك وتعالى.

قال: (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)

هذا حثّ على محاسن الأخلاق.

قال: (وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ)

أي: يدعون ويحثون على صلة الرحم وإن قطعك صاحب الرحم.

قال: (وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ)

أي: من منعك.

قال: (وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)

تعفو عن الظالم الذي اعتدى عليك، لكن هذا ليس دائماً، إذا علمت أنّ الظالم هذا مسترسل في ظلمه ومُكثر من ذلك وليس له رادع يردعه؛ عندئذ لا يُستحسن منك أن تعفو عنه، لا بد من القضاء على ظلمه؛ فلذلك لا تعفو عنه، بل يُعاقب؛ علّه يرتدع.

لكنّ الأصل بينك وبين المسلمين أن يكون بينكم عفو وتسامح، قال النبي ﷺ: "ما زاد الله عبداً بعفو إلّا عزاً".

قال: (وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ)

كما أمر الله تبارك وتعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

قال: **(وصِلَةِ الأَرْحَامِ)**

أي: يأمرون أيضاً بصلة الأرحام؛ كما دلّت على ذلك الأدلة الكثيرة، منها قوله ﷺ: "لا يدخل الجنّة قاطع رحم".

قال: **(وَحُسْنِ الْجِوَارِ)**

كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "لازال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه".

قال: **(وَالإِحْسِانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)**

اليتامى: جمع يتيم، واليتيم: هو الذي مات أبوه ولم يبلغ.

(والمساكين) إذا ذُكرت وحدها هكذا هي بمعنى الفقير، وهو الذي لا يملك كفايته.

قال: **(وَابْنِ السَّبِيلِ)**

يعني: المسافر الذي انقطعت به السبل.

قال: **(وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ)**

يعني: العبد الذي يُملَك؛ يوصينا بالرفق به، وذلك بأن تُطعمه إذا طعمت وأن تكسوه إذا اكتسيت ولا تكلفه من العمل مالا يطيق كما جاء في حديث عن النبي ﷺ.

قال: **(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ)**

(الفخر): أن يتفاخر الإنسان على غيره، (والخيلاء): أن يختال في مشيته وفي وجهه وما شابه، وكلّها فيها معنى الكبر، (والبغي): يعني التطاول على الغير والعدوان عليهم.

قال: (وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)

كذلك التطاول.

قال: (وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفاسِفِهَا)

(يأمرون بمعالي الأخلاق) يعني: الأخلاق العالية الرفيعة؛ كالصدق والعفاف وأداء الأمانة وما شابه، (وينهون عن سفاسفها): يعني الدنيء منها.

قال: (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)

كلّ هذا قد جاء في الكتاب والسنّة.

قال: (وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي"؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)

يعني: لمّا حصل الافتراق والاختلاف؛ صار لابدّ من التميز ما بين أهل السنة وأهل البدع والضلال، وهذا التميز أمره مهم وضروري جداً؛ إذ بتميز أهل الحقّ من الباطل يبقى الحقّ ظاهراً ويبقى الباطل معروفاً؛ لذلك أهل السنة والجماعة تميزوا عن أهل الباطل بأن سُمّوا أهل السنة والجماعة.

فعندما خرجت هذه الفرق صارت كلّها تتسمى بالإسلام، فكلّهم من المسلمين، لكن لا بدّ من التميز والاختلاف ما بين الحقّ والباطل، فلذلك سُمي أهل السنّة بأهل السنّة والجماعة، ولمّا صار أصحاب تلك الفرق والطوائف يدّعون أنّهم من أهل السنّة والجماعة؛ احتجنا إلى التسمي بالسلفية.

لماذا هم يدّعون هذا؟

لأنّ الشوّكة عادة والقوّة والظهور تكون لأهل الحقّ، فيُصبح أصحاب الاسم هم الظاهرون ودعوتهم هي المقبولة عند الناس؛ فيدخل فيها عادة من أهل البدع والضلال من يحاول أن يتلبس بهذا الاسم من أجل أن يسحب الناس إلى ناحيته- وهذه عادتهم-.

فدخل في هذا الاسم من ليس منه فاحتجنا بعد ذلك إلى التسمي بالسلفية؛ للتفريق بين من يدّعي دعوة دخوله إلى أهل السنة والجماعة، ومن هم بحقّ من أهل السنة والجماعة.

فأهل السنة والجماعة هم الذين كانوا على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، ومن لم يكن كذلك؛ فلا، والآن صار يدخل في السلفية ويدعيها من ليس من أهلها، كما فعلوا في اسم أهل السنة والجماعة؛ فعلوا الآن في اسم السلفية؛ لذلك لا بدّ من التميز ولابد من بيان المحقّ من المبطل بتسمية الطوائف والفرق والجماعات بأسمائها الحقيقية.

قال: **(وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ)**

الصِّدّيق: هو الذي يصدق في إيمانه وفي طاعته ويكون قريباً من الله تبارك وتعالى، فهو صادق في اعتقاده، صادق في قوله، صادق في فعله، مُخلص لله تبارك وتعالى؛ وهذه الدرجة- درجة الصدّيق- هي أعلى درجة بعد درجة النبوة، يأتي الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء بعد ذلك؛ كما قال النبي ﷺ: "عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، ولا يزال الرّجل يصدق ويتحرى الصّدق حتى يُكتب عند الله صديقاً"؛ الصدق في كلّ شيء.

قال: **(وَالشُّهَدَاءِ)**

الشهداء: جمع شهيد، وهو قتيل المعركة، وقد اختلف العلماء: هل العلماء أفضل من الشهداء أم الشهداء أفضل من العلماء؟

والظاهر: أنّ العلماء الصديقون أفضل من الشهداء.

قال: **(وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ)**

الصالح ضد الفاسد؛ وهو الذي قام بحقّ الله وحقّ عباده.

قال: **(وَمِنْهُمُ أَعْلامُ الْهُدَى)**

أصل العَلَم هو الجبل، وسُمي الجبل عَلَماً؛ لأنه يُهتدى به، فإذا أردت أن تصف لشخص طريقاً تقول له: عند الجبل الفلاني؛ لأنه مرتفع ويراه الجميع، فسُمي عَلَماً، فأعلام الهدى أي: الذين هم منارات للطريق الحق.

قال: **(وَمَصَابِيحُ الدُّجَى)**

الدّجى: هو الظّلمة؛ فهم مصابيح يُنيرون للناس الطريق المظلمة ويبينون لهم طريق الحقّ.

قال: **(أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ والْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ)**

أولوا المناقب: يعني أصحاب المناقب، والمنقبة: هي المرتبة، والفضائل: من الفضيلة، يعني الصفة الحسنة التي يتصف بها الإنسان كالعلم والزهد وما شابه.
و(أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ) يعني التي وجدت منهم.

قال: **(وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ)**

الأبدال: هؤلاء هم قوم من العُبّاد؛ أناس لهم عبادة عظيمة، لكن وردت فيهم أحاديث لا يصحّ منها شيءٌ؛ فأحاديثهم ضعيفة.

قال: **(وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ)**

(على هدايتهم): أنّهم على طريق الحقّ، (ودرايتهم): معرفتهم بالحقّ كأئمة الإسلام: الإمام مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك، ومن بعدهم كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعليّ بن المديني، ومن بعدهم كابن خزيمة وما شابه كابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب، ومن تبع هؤلاء كمحمد بن عبد الوهاب وكثير من أحفاده وإخوانه من العلماء، ومن بعدهم كأئمة الهدى اليوم: ابن باز رحمه الله والعثيمين والألباني والوادعي والشيخ صالح الفوزان وغيرهم من علماء الأمة؛ هؤلاء من نظر في عقائدهم وعبادتهم ودينهم؛ وجد أنّهم على الطريق وعلى الهدى، نعم لا يمنع ذلك من وجود أخطاء؛ فهم بشرٌ؛ لكن هم بالجملة على الجادة وعلى الطريق المستقيم.

قال: **(وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ)**

لقوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي على الحقّ لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله"، قال الإمام البخاري: (هم أهل العلم)، وفي كتابه: "خلق أفعال العباد" عندما ذكر من هم أهل العلم ذكر أهل الحديث، الأئمة الذين ذكرنا منهم: مالك والشافعي وأحمد وعليّ بن المديني ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم، كلّهم أئمة الحديث في وقته، أئمة أهل السنة والجماعة في وقتهم، هؤلاء أهل العلم الذين ذكرهم الإمام البخاري رحمه الله.

إذن: لابد أن يجتمع فيهم وصفان:

وصف العلم، ووصف السنة- التمسك بالسنة-؛ أن يُعرفوا بها ويشتهروا بها، هؤلاء هم المقصودون بالطائفة المنصورة، ومن اتبعهم وسار على نهجهم؛ هو معهم أيضاً.

قال: **(الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظاهرين)**

هم باقون على الحقّ ثابتون عليه ظاهرون به مُظْهِرون له.

قال: **(لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ)**

إذن: هناك مُخَذِّلون، خاذلون لهم، يخذلونهم، بدل أن يُعينوهم ويساعدوهم على الحقّ الذي هم عليه؛ لكنهم لا يضرونهم شيئاً؛ لأنّ النبي ﷺ قال: "لا يضرهم من خذلهم".

قال: **(ولا مَنْ خالَفَهُمْ)**

من أهل البدع والضلال الذين يحاربونهم ليل نهار؛ لا يضرونهم.

قال: **(حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)**

إلى قرب قيام الساعة؛ فقد جاء في حديث آخر: أنّ الساعة لا تقوم إلّا على شرار الخلق؛ إذن: فهم عند قيام الساعة لا يكونون، والصحيح أنّ قوله: "حتى تقوم الساعة"، أي: حتى يقْرُب قيام الساعة، وعندما تأتي تلك الريح الطيبة وتأخذ أرواح المؤمنين جميعاً ينتهي وجودهم في تلك اللحظة، ثم بعد ذلك تقوم الساعة على شرار الخلق كما جاء في الحديث.

قال: **(فَنَسْأَلُ اللهَ العَظيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا)**

آمين.

(وألا يُزيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا) يعني: أن لا يضلنا عن طريق الحق بعد أن بينه لنا وسيرنا عليه.

قال: **(وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً)**

أي: يعطينا رحمة من عِنده ويمُنّ علينا بها.

قال: **(إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا)**

والحمد لله ربّ العالمين.